

# رسالة القرآن

إسلامية ثقافية شاملة



العدد الخامس والأربعون - السنة الثانية عشرة - محرم ١٤٣٧ هـ - أكتوبر ٢٠١٥ م

- ◆ مع الحسين ﷺ ... حوار مع سماحة آية الله الأستاذ السيد عادل العلوى
- ◆ الخطاب الحسيني أمام تهمة الخرافية
- ◆ مذاهب أهل الكوفة وعلاقتهم بقتل الحسين ﷺ
- ◆ عاشوراؤنا
- ◆ الشعائر الحسينية بين النص والمحذور
- ◆ في رثاء الحسين ﷺ

دور العدد: عاشر

# رسالات القلم

Resalat - Alqalam

مجلة طلابية فصلية  
تهدف إلى نشر الثقافة الإسلامية

علماً بأن المقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

نستقبل ملاحظاتكم وانتقاداتكم حول المجلة عن طريق المراسلة

# رسالة القلم

إسلامية ثقافية شاملة



فصلية تصدر عن  
طلاب البحرين في الحوزة العلمية  
بمدينة قم المقدسة

برعاية  
مكتب البيان للمراجعات الدينية

- الهيئة الاستشارية:
  - الشيخ عبد الله علي الدقاق
  - الشيخ علي فاضل الصدقي
  - الشيخ غازي عبد الحسن السماك

- المشرف العام :  
الشيخ عبد الرؤوف حسن الربع
- رئيس التحرير :  
الشيخ محمد علي خاتم
- مدير التحرير :  
الشيخ عباس علي الصايغ
- رئيس هيئة التحرير :  
الشيخ عزيز حسن الخضران
- هيئة التحرير :  
السيد جلال عدنان علوى  
الشيخ علي عقيل الجمري  
الشيخ منصور إبراهيم الجبيلي

## كلمة العدد

رئيس التحرير

دُمَّهُ حِبُّ الْعَاشِقِينَ

٣

## حوار العدد

٦

مع الحسين... حوار مع سماحة آية الله الأستاذ السيد عادل العلوى (خطه الله)

## محور العدد: عاشوراء

٢٠ الشیخ علی احمد الجفیری

الخطاب الحسینی امام تھمة الخرافۃ

٣٣ مذاہب أهل الكوفة وعلاقتهم بقتل الحسین ﷺ الشیخ عربی حسن الخفران

الشیخ قصی الشیخ علی العربی

٦١ عاشوراءنا

الشیخ حسن هلال الرکی

٧١ الشعائر الحسینیة بین النص و المحدثون

الشیخ علی إبراهیم عبدالعال

٨٦ فی رثاء الحسین ﷺ

## بحوث ومقالات أخرى

٩٨ لقاء مع آية الله الشیخ عیسیٰ قاسم (خطه الله) عن طلب العلم الشیخ حسین الاعرج

اللقاء علی احمد الجفیری

١٠٩ المسئلرون والقرآن الكريم

الشیخ عقبل ابراهیم المقوی

١٣١ الوفاء بالعقود [القسم الثاني]

الشیخ جعفر سلمان آل طوق

١٦١ نقد المنهج القصدي في تفسیر القرآن الكريم

الشیخ غازی عبدالحسن السماسک

١٩١ أول تعقیب بعد الصلاة ما هو؟

الشیخ محمد علی خاتم

٢٠٠ فلسفة التقييم في حیاة الإنسان

الشیخ علی فاضل الصدی

أرشيف مقالات الرسالة

٤٥



## دُمُّهُ حِبْرُ الْعَاشِقِينَ

قبل ما يزيد عن الألف عام أريق دم سبط الرسول ﷺ في أرض كربلاء، وتأثر الكون كله من تلك الدماء، وصار دماً يجري على خيوط الظلام ليهدى لها نوراً، وعلى الخذلان ليبدلها عنفواناً. دمُ جرى على الأرض ليميز الحق من الضلال ويهدي من العمى، ويحيي نفوس الصائرين، ويُلهب مشاعر الوالهين، ويوجد في قلوب العارفين حرارة لا تجد لها بردأً حتى يوم الدين.

وكلّ من استنار بنوره وعشّقه لا يجد من نفسه إلا أن يسظر كلمات في الحسين وثورته، فتتسارع الأقلام لتصرف حبرها في هذا المجال على أمل أن تأخذ من دمه حبراً لها لتستمرّ مسيرة العطاء بوهج دمه الطاهر، فلا عجب إن لم تقف الكتابات والمؤلفات حول الحسين عليه السلام وثورته مسلطة الضوء على مختلف جنبات الثورة المباركة.

إلا أنه مع ذلك كله فلا زال أمام الكتاب الوع في الكتابة حول الإمام وثورته فالحديث حوله حديث لا ينفك عن الحديث عن الإسلام.

أما ما يخصه فهو الإمام المعصوم الذي لا بد من قراءة سلوكه وأقواله قراءة دقيقة فاحصة عن المعاني الراقية التي يمكننا استثمارها في حياتنا في مواجهة ظلم النفس وظلم الآخرين، واستلال القيم التي انطلق منها عليه السلام دافع عنها.



تعالَ أيُّها الكاتب لتكتب حول المنهج الإصلاحي الذي سار عليه الحسين عَلَيْهِ الْحُسْنَى ، ولتكتب كيف تحدّث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ عن سبطه الحسين عَلَيْهِ الْحُسْنَى مع تحليله، ولتكتب حول علاقته مع أبيه وأمه وأخيه وأخته بجمع الروايات والأخبار منتجاً من ذلك كله المفاهيم الاجتماعية العميقية، ولتكتب حول ما كتبه المخالفون والملحدون عنه وعن ثورته التي ملاً صداتها الأرجاء وبيان كيف أنَّ الحق يُذعن له أصحاب العقول الناضجة لنبحث عن سبب نضجهم وتشجيع العقل الناضج في العالم كله للاطلاع على فكر الحسين عَلَيْهِ الْحُسْنَى وثورته المباركة.

أما ما يخص ثورته المباركة فمجاها لا ينتهي ففي كل خطوة خطتها الحسين عَلَيْهِ الْحُسْنَى نحو كربلاء يوجد بإزائها درس وعبرة ولو كتب فيها لأمكن أن ننتاج المجلدات الضخمة، فمن الجيد أن يُكتب في مجال التأصيل القرآني لهذه الثورة الخالدة، وكذا في تحديد المصادر التي يمكن اعتمادها في البحث حول هذه الثورة وبيان الطرق الصحيحة لمعالجة الروايات التاريخية وضوابط قبولها من عدمه بطرح الثورة الحسينية وما جرى فيها مثلاً على ذلك، وهذا لا يقف عند بعض الأحداث التي صارت مثراً للجدل بل يتعداها إلى الأحداث التي وقعت بعد المقتل الشريف وحتى رجوع السبابا إلى المدينة وما جرى بعد ذلك كي لا تبتذر هذه الثورة العظيمة في بعض الأحداث وكأنَّ الثورة كانت لها ولم تكون للإسلام والإصلاح الأمة على مر العصور.

تعالَ أيُّها الكاتب لتبث عن يزيد ودولته وكيف سيطر على الناس وأعمامهم، كيف نشأت دولته كمثال لنشوء الظلم وانتشاره بين الناس، وهذا يفتح باباً آخر للبحث حول نظام الحكم الإلهي والبشري والنماذج المختلفة التي صار لها وجود في عالم الدنيا وبيان الحق فيها والأصلاح لكل الشعوب وعلاج ما فيها من إشكاليات فهل الحكم بالتنصيب الإلهي أم بالانتخاب البشري أم بالتوريث أم بغيرها؟ والمرأة لها حضور ودور بارز في كربلاء قبل وأثناء وبعد عاشوراء ومن حق الأمة الإسلامية معرفتهم لاستفادة الدروس منها.

أما ما يخص ذكراء، فالشعار عنوان لا يُغفل في الكتابة فيه ببيان ضوابطه

وحدوده، والكتابة في طرق تبليغ ثورته إلى كل العالم بلا استثناء لأحد مهما كان ما يدين به، ولا بد من الكتابة حول ما يثار من شبكات وردّها كي لا يفسح المجال أمام المضللين والمشوّهين لهذه الثورة الإلهية.

ناهيك عن الأبحاث العقائدية والفقهية التي يمكن استفادتها وبحثها.

فأين مدادك أيها الكاتب! خذ حبراً من دم الحسين علّك تكتب وسطر عمق ثورته  
وانشرها لتحقيق أهدافه.

رئيس التحرير

## مع الحسين عليه السلام

حوار مع سماحة آية الله الأستاذ السيد عادل العلوى عليه السلام

حاوره: أسرة المجلة

كثيرة هي الأحداث التاريخية وكثيرون هم العظماء وقصصهم بقيت حبيسة الكتب -هذا إن بقى بعضها في الكتب-، لكن لم نر حادثة وثورة تأثرت بها البشرية قبل حدوثها وبعد حدوثها بل حتى الحيوانات والجمادات وحتى السماوات ومن فيها، وزلزلت عروش الظالمين وسطرت شعاراً يكتب على الذهب أنَّ الدم ينتصر على السيف، كيف لا تكون كذلك وصاحبها وقائدها سيد الشهداء عليه السلام ضحي بكل شيء وهو فلذة كبد رسول الله عليه السلام ونور الله، فإذا أصاب نور الله شيء تأثر له كل شيء، ولم تكن شهادة الحسين عليه السلام وتضحياته إلا للإصلاح في هذه الأمة ولكي نستضيء بنوره، ففي كل عام من إحيائنا لعاشوراء ننهل من هذا النور المسيحي الرباني.

### مقدمة

• كلمة -من القلب- يحب سماحة السيد قوله إلى كل شيعي تتعلق

بأيام الحسين عليه السلام .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله كما هو أهله ومستحقه بعدد ما أحاط به علمه وأحصاه كتابه، رب أنطقني بالهدى وأهمني التقوى.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثُلُّ نُورٍ كَمِشْكَأَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ مِصْبَاحٌ فِي رُجَاجَةِ الرُّجَاجَةِ كَانَهَا كَوْكَبٌ دُرْرِيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ رَّتْتُونَةٍ لَا شَرْقَيَّةٍ وَلَا غَرْبَيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْلَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْتَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ﴾<sup>(١)</sup>، وقال رسول الله ﷺ: «كتب على عرش الله بلون أخضر وهو لون المعرفة: الحسين مصباح هدى وسفينة نجاة»<sup>(٢)</sup>، صدق الله العلي العظيم وصدق رسوله الكريم ونحن على ذلك من الشاكرين الشاهدين، والحمد لله رب العالمين.

أحسن الله لنا ولكم العزاء بهذا المصاب الجلل العظيم، هذه المصيبة الكبرى التي أبكت السماوات والأرض حتى المور في الجنان، هذه المصيبة في يوم عاشوراء وكرباء إتّما كان من البلاء الذي لم يتحمله لا ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا سيد الشهداء عليه السلام قد تحمل هذه المصيبة وكما قال سليمان لربه أن يأتيه ملكاً لم يكن لأحد من قبله ولا من بعد، كذلك الإمام الحسين عليه السلام آتاه الله ملكاً لم يكن لأحد من قبله ولا من بعده، حتى يكون مقتدى يقتدى ويتأسى به، إذ إنّ الأسوة الأولى في كل الكائنات هو الرسول الأعظم عليه السلام وهذه الأسوة الحمدية تحجلت في الإمام الحسين عليه السلام حيث إنّه قال: «حسين مني وأنا من حسين»<sup>(٣)</sup>، فهذه الأسوة من مصاديق حسين مني وأنا من حسين.

سيد الشهداء عليه السلام قد كرمه الله بكرامات وكرائم ومكارم لم تكن لأحد، ومن ثم زين الله عزّوجلّ عرشه بالإمام الحسين عليه السلام، ووصفه بأنه مصباح هدى وسفينة نجاة؛ وهذا يعني أنّ من أراد الهداية سواء الهداية الابتدائية أو الهداية الجزائية، لأنّ الله

تعالى هو الهدى ابتداء من رحمانيته كما هو الهدى جزاء من رحيميته، فإنه رحمان للمؤمن والكافر، وبرحمانيته يهدي البشر بل يهدي الخلق فهو تعالى يهدي بهداية بدوية لكل البشر، وكما أن القرآن هدى للناس كذلك الإمام الحسين عليه السلام هدى للناس فهو القرآن الناطق كما أن الله تعالى هداية جزائية بمعنى أن من يقبل الهدایة الأولى فيجازيه بالجزائية فيزيده هدى، هذه تسمى هداية جزائية وهي هداية المتقين كما أن القرآن هدى للمتقين فتارة القرآن هدى للناس وتارة هدى للمتقين، والأول من الكرم والهيبة والجلال، والثاني من الحب والأنس والجمال، فالله سبحانه له الأسماء الحسن الجلالية والأسماء الحسنة الجمالية، وكل هذه الأسماء الإلهية تجلّت في الرسول الأعظم عليه وآله وآل بيته عندما يسأله جابر الأنصاري: ما خلق الله أولا؟ فقال الرسول عليه وآله وآل بيته: «إن أول ما خلق يا جابر نور نبيك»<sup>(٤)</sup>، فبدأ الله الخلق بالرسول الأعظم فإذا قال الرسول الأعظم عليه وآله وآل بيته «حسين مني وأنا من حسين»، فعندها يكون الإمام الحسين عليه السلام مع الرسول الأعظم عليه وآله وآل بيته في بداية الخلق -طبعاً ما نعتقد في مذهب أهل البيت عليه السلام أن الحقيقة الحمدية وهي الرحمة الإلهية السارية في كل الخلائق وفي الكون قد تجلّت في أمير المؤمنين عليه السلام إذ إنّ الرسول عليه وآله وآل بيته قال: «خلقني الله من نوره، ومن نوري علياً، ومن نورينا فاطمة، ومن أنوارنا الحسن والحسين عليهما السلام، ومن الحسين التسعة الأئمة عليهما السلام»<sup>(٥)</sup> تارة بالخلق النوري وتارة أخرى بغيره فلا منافات أن يكون الإمام الحسين عليه السلام هو من رسول الله، فإذا كان أمير المؤمنين هو نفس رسول الله عليه وآله وآل بيته بنص آية المباھلة، فكذلك الإمام الحسين عليه السلام وكذلك بقية المعصومين هم من نفس رسول الله عليه وآله وآل بيته إلا أن الإمام الحسين عليه السلام من خصائصه وكراماته وكراماته أن الله تعالى كرمّه بكرامات لم يكرم أحداً مثل ما كرمّه، فمن كراماته أنه جعل يومه لا ك أيام أنبياء الله وأوصيائهم كما قال الأئمة الأطهار عليهما السلام: «لا يوم كيومك يا أبا عبدالله»<sup>(٦)</sup>.

فسيد الشهداء عليه أمتاز بهذا اليوم وهو يوم عاشوراء -وكما أعتقده- أن عاشوراء ليس حدثاً تاريخياً في عام ٦١ من الهجرة فحسب، وإنما هو حدث تاريخي في عالم الإثبات يتعلق بتاريخ البشرية، بل هو حدث تكويني في عالم الثبوت -طبعاً هذا يحتاج إلى توضيح أكثر ببيان الفرق بين عالم الثبوت الذي هو في اللوح المحفوظ، فإن الواقع التي تقع في عالم الإثبات كلها إنما تكون في عالم الثبوت بدواً في علم الله الأزلية، وبعد ذلك يتحقق في الخارج، ويكون الخارج مطابقاً لما في الواقع ونفس الأمر، وما في علم الله تعالى.

فعاشوراء إنما هو في عالم الثبوت وفي علم الله تعالى، وهذا يعني أن الكون كله يتفاعل مع قضية عاشوراء، إذ ورد في الحديث الشريف بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام في سنة ٦١ من الهجرة في اليوم العاشر من المحرم الحرام في عالم الإثبات في الدنيا، أنه بكته السماوات والأرض وما فيها ومن فيها، الخلق كله في عالم التكوين يبكي على سيد الشهداء عليه، وهذا يعني أن الخلق كله يتفاعل مع قضية عاشوراء، لذا فإن قضية عاشوراء هي قضية فوق التصور البشري، وهي من القضايا التي لا تدرك ولا توصف فالقضايا تقسم إلى أقسام ثلاثة: فمنها ما يدركه الإنسان بمدركاته العقلية كالعلم والظن والشك ثم بعد ذلك يمكنه أن يصفه، وهناك قضايا تدرك ولكن لا يمكن أن توصف، لأن الكلمات تكون قاصرة عن توصيفها، ومن القضايا ما هي فوق التصور البشري والعقل البشري، وقضية سيد الشهداء عليه مما لا يدرك ولا يوصف، فعندما نرجع إلى الروايات الصحيحة التي وردت في قضية سيد الشهداء منذ ولادته، وأنه كيف أخذ إلى عرش الله، وبعد حياته وسيرته العرشية الملكوتية، ثم عند رحلته وشهادته وأن الله يخاطبه كما في سورة الفجر المعروفة أنها سورة الإمام الحسين عليه فإن الله سبحانه يخاطبه:

**﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ \* ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾** <sup>(٧)</sup>، فالإمام

الحسين عليه السلام في بدايته ونهايته في عرش الله.

في حديثٍ أنّ أمّ سلمة رأت الرسول عليه وآله وآل بيته في عالم الرؤيا وقد جمع الدم الذي أراد أن يسقط، جمعها في قارورةٍ وأخذها في عرش الله فاقشعر وتزلزل من هذا الدم الزكي الطاهر، وهذا<sup>(٨)</sup> ما ورد في زيارة الإمام الحسين حيث إنّ الشيخ الصدوق عليه السلام في كتابه من لا يحضره الفقيه في زيارة ينقلها - وهو القائل: إنّ هذه الزيارة هي أصحّ زيارة عنده، وورد فيها أنه لقد سكن دم الحسين عليه السلام الخلد، وأنه اقشعرت له أطّلة العرش، وبكته الخلائق، وهذا يعني أنّ الخلق والخلائق قد اقشعرت بدمائهم الزكية وبكاهم ما يُرى وما لا يُرى، فالكل قد بكى الحسين عليه السلام لذا تجد قضية سيد الشهداء عليه السلام قد تفاعل الكون معها.

ومن ثم المطلوب من كل مسلم ومسلمة وبالاًخص من كل شيعي وشيعية وموالٍ وموالية لسيد الشهداء عليه السلام ولزينب الكبرى عليه السلام، أن يدركون -بحسب الطاقة البشرية - ما وراء عاشوراء من أسرار إلهية و المعارف ربانية فعلى الشيعة أن يتفاعلوا أكثر فأكثر في كل عام في مثل محرم الحرام.

ورد في الحديث الشريف عن زين العابدين عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ عَلِيْهِ عِلْمٌ أَنَّهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ مُتَعَمِّقُونَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالآيَاتُ مِنْ سُورَةِ الْمُحْدِيدِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصَّدْرِ﴾ فَمَنْ رَأَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ»<sup>(٩)</sup>، وهذا يعني أنه كلما يتقدم الزمن ونتقدم في التكنولوجيا فلا بدّ من التقدم والازدهار في المعرف العقائدية كذلك، ولا بد من أن ندرك - وإن كان مما لا يدرك ولا يوصف - فبحسب الطاقة البشرية لا بدّ من دراسة قضية سيد الشهداء ورسالة سيد الشهداء عليه السلام، فعلى الجميع أن يدخل في عمق عاشوراء وقضية سيد الشهداء عليه السلام، لأنّها ليست قضية شهادة وحسب، وليس قضية بكاء وثواب وحسب، وإن كان لا بدّ من ذلك وهو الأصل فإنّ البكاء والمنابر من الشعائر

الحسينية، ولا بد منها بكل مظاهرها المشروعة، فنحن لا زلنا مقصرّين في قضية سيد الشهداء مهما بذلنا من الغالي والنفيس، لأنّ سيد الشهداء عليه السلام أعطى كلّ ما يملك الله، وهو القائل:

أرأكَا ترَكَتِ الْخَلْقَ طَرَأً فِي هُوَا  
أَرَأَكَا مَالَ الْفَوَادَ إِلَى سُوَاكَا  
فَلَمَّا قَطَعْتُنِي فِي الْحَبِ إِرْبَأً

فحينئذٍ يلزم علينا تجديد العهد مع سيد الشهداء عليه السلام في كل عام وفي عاشوراء وفي كربلاء، معنى ذلك أتّي كل يوم علىيّ أن أكون عاشورائياً، فأحمل فكر وعمل وعقيدة وسيرة الإمام الحسين عليه السلام، وإتّي ليكن شعاري كما هو شعار صاحب الأمر عليهما السلام: (يا لثارات الحسين). وألبي داعي الله فأقول: لبيك يا حسين، وألبي داعية الله فأقول: لبيك يا زينب في كل يوم؛ إذ إنه كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء، و معناه أنّ الثورة الحسينية تتجلّى في كل شيعي وشيعية، وذلك بأنّ كل من يرى الشيعي يرى ثورة الإمام الحسين عليه السلام في حياته وسلوكه وأخلاقه وسيرته الفردية والاجتماعية وغيرها... وهذا يعني أنّ الحسين مصباح هدى، فنستصبح بهذا المصباح الحسيني، ونركب سفينته إذ سفينته هي سفينة الرسول الأعظم عليهما السلام وسفينة أهل البيت عليهما السلام «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تحالف عنها غرق»<sup>(11)</sup>.

إلا أنّه من خصائصه أنّه كما أنّ لا يوم كيومك يا أبا عبدالله كذلك فإنّ سفينته لا كبقية السفن كما ورد هذا المضمون: (كلنا سفن النجاة ولكن سفينتنا الحسين أوسع وأسرع...) وأكثر من يقيمون هذه الشعائر الحسينية إنّ الله تعالى بركة سيد الشهداء عليه السلام وكراهة له يدخلهم الجنة، إذا كان من زاره يوم عاشوراء كمن زار الله فوق عرشه، فالإمام الحسين عليه السلام فوق عرش الله، فهذه الروايات العرشية إنّما تكون للإمام الحسين عليه السلام.

فالإمام الحسين عليه السلام بدايته عرضية، ونهايته عرضية في عاشوراء يكون عرشياً، زائره يكون عرشياً ملوكوتياً، فإذا كان الزائر بزيارة عاشوراء يصعد بروحه الملوكوتية إلى أن يكون في العرش، فما بالك بالمزور، فلا بدّ حينئذٍ من أن ندرك حقائق الإمام الحسين عليه السلام وقضية عاشوراء أكثر فأكثر، لنمهّد لظهور صاحب الأمر عليه السلام لنكون من المهددين له عليه السلام، لأنّه هو المصلح الحقيقي كما أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو المصلح الحقيقي، فهو الذي خرج لإصلاح الأمة، أي البشرية جمّعاً، لأنّ الإسلام لهم، وهذا الإصلاح الحسيني في كل زمان ومكان وجيل فلا بدّ من الإصلاح الحسيني حتى ظهور الإمام عليه السلام.

### مع الحسين

• ترتفع شعارات الحب والولاء للحسين عليه السلام ويتمظهر المؤمنون بمظاهر الحزن على سيد الشهداء ويقدم كلّ ما يملك من مال وجهد ووقت في سبيل إحياء هذه الأيام المباركة، لكن هل هذا كافٍ لتنطلق الأصوات بالانتماء إلى الحسين عليه السلام، أم أنه يوجد ما ينبغي فعله أكثر من هذا؟

□ كما ذكرت أنه كلّما نقدم من أجل سيد الشهداء عليه السلام، العالم بعلمه والخطيب بخطابه الشاعر بشعره والمرأة بجهادها وعفتها، الكل من الرجال والنساء حتى الطفل الرضيع فإنه يتفاعل مع قضية سيد الشهداء عليه السلام عندما تأخذه أمه إلى مجالس الحسين عليه السلام، فيطرق سمعه كل ما يتعلق بالحسين عليه السلام وهو في المهد «واطلعوا العلم من المهد إلى اللحد» فيكون هذا العلم إنّما هو من مصباح الهدى، يعني أنّ الطفل يستصبح بصبح الحسين عليه السلام فكلّ ما عندنا لو قدمناه فإنه يعتبر من التفريط والتقصير، فلا بدّ من أن نبذل أكثر وأكثر، ليس النفس فحسب، بل أقول لسيد

الشهداء علّيهم السلام بأبي أنت وأمي ونفسي ومالي وأهلي وعشيرتي وأقربائي وأولادي وإخوتي وأخواتي، كلنا فداء لك، معنى ذلك أن نصحي بكل شيء لأجل الإمام الحسين علّيهم السلام، لأنّه صحي بكل شيء وقدم كل شيء لأجل هدايتنا، لأنّه مصباح الهدى ولأجل نجاتنا، لأنّه سفيينة النجاة، فإذا أردنا أن نكون بالمستوى المطلوب فإنه يستدعي أن نقدم كل ما عندنا، لكن لا بدّ أن يكون بضوابط شرعية، ويكون خالياً من البدع وما يشين بسمعة المذهب، وهذا يعني لزوم الرجوع في ذلك كله إلى مراجع التقليد، كما أتّا نرجع إليهم في أعمالنا فكذلك في شعائرنا الحسينية فلا بدّ من أن تكون على ضوء الفتاوى.

• هناك من يرى الإمام الحسين علّيهم السلام أنه قائد شجاع، وأخر أنه مغامر، وثالث

يراه مصححاً وهكذا كلّ يراه بما يحب... بنظركم سماحة السيد  
كيف ينبغي أن تكون نظرتنا إلى الإمام الحسين علّيهم السلام؟

□ مثل هذه النظارات إنّما هي نظارات واطية وعامّية، فعوام الناس ومن لم يعرف الإمام الحسين علّيهم السلام ينظر إليه بهذه النظرة، كان شخص أعرفه وهو من القياديين في الحزب الشيوعي فكان يقول: إني لأحب الإمام الحسين علّيهم السلام لأنّه رجل حارب الظلم ودعى الناس إلى العدل، وباعتباره يدعو إلى العدالة الاجتماعية في دعوة الشيوعيين الشريفة فكان يراها في سيد الشهداء علّيهم السلام، والعجيب أنّه كان يقول: إني بقدر ما أحب الإمام الحسين أبغض الله... فهذه نظرة من نظارات البشر، فكل واحد بالمناظر الذي يلبسه، فإنّه إذا كان يلبس النظارة الحمراء يرى الأشياء حمراء وهكذا، فكل بحسب رؤيته الكونية يرى الإمام الحسين علّيهم السلام لكن العمة أنّ الإمام الحسين علّيهم السلام لنفسه... حتى غاندي فهو يرى أنّ الإمام الحسين قد وته في نظامه السلمي. فغاندي وأمثاله كمانديلا وانطوان وغيرهم قد تأثروا بفكر الإمام الحسين علّيهم السلام

وجعلوه قدوة لهم.. فالناس كلهم على اختلاف مذاهبهم وأديانهم لا شك وأنهم يتأثرون بقضية سيد الشهداء علیه السلام، وأنه كيف قدم حتى الطفل الرضيع في سبيل مبادئه، وهذا يعني أن الإنسان إن كان مبدئياً عليه أن يقتدي بسيد الشهداء فيقرأ سيد الشهداء بما عنده من رؤية وخلفية ثقافية واجتماعية.

ولكن نحن إذا أردنا أن نقرأ الإمام الحسين علیه السلام لا بد من أن نقرأ على أنه هو المثل الأعلى لله تعالى، وتنجلي فيه الأسماء الإلهية والصفات الإلهية... لذا ننظر إلى الإمام الحسين علیه السلام بأنه يذكرنا بالله تعالى ويقربنا إليه تعالى، وأنه المصباح الذي تستصبح به، والنور الذي نتتهر به في حياتنا الدنيوية والأخروية، فهو مصباح في الدنيا، بل في كل العوالم في القوس التزولي والقوس الصعودي.. من عالم العقول المجردة والأشباح وعالم الذر إلى أن وصلت إلى هذه الدنيا الدنية، وإلى السير في البرزخ قوس الصعود، ثم المحسن، فالقيامة، ففي هذا السير في كل حال أنا أستصبح بنور الحسين علیه السلام بل حتى دخولي الجنة أستصبح بنور الحسين علیه السلام لأن الجنة قد خلقت من نور الإمام الحسين علیه السلام فعندما أدخل الجنة وأكون من السعداء، وأسعد سعادة أبدية بنور الحسين علیه السلام.

وهذا ما أحصل عليه في هذه الدنيا، لذا لا بد من أن أكون حسينياً بتمام المعنى، فأعرف الإمام الحسين علیه السلام بحقيقة المعرفة بحسب الطاقة البشرية، وأزداد في معرفته ومعرفة القرآن الكريم ومعرفة الله تعالى.

ولا بد من أن لا نكتفي بما يفعله عامة الناس من التفاعل من خلال الحضور في مجالس العزاء واللطم والإطعام ولبس السواد وما شاكل، فلا بد من أن نكون من الحواص الذين يأخذون معاني الإمام الحسين علیه السلام وثورته المباركة، وهناك الأخضر فهم يأخذون اللطائف والإشارات التي في عاشوراء، وهناك الأخضر وهم الأولياء المقربون وهم الذين يعرفون الحقائق الحسينية ويقفون عليها... فالمطلوب منا أن

نصل إلى أقصى مرتبة ممكنته من المعارف الحسينية والإلهية، وعلى المرء أن يسعى... فكلما ازدمنا معرفة ازدمنا قرباً منه ومن جده وبقية المعصومين عليهم السلام وازدمنا قرباً من الله تعالى.

وإذا كان مولانا الحجة عليه السلام، يبكيه ليلاً ونهاراً، وبدل الدموع دماً. فعلى كل الموالين أن يتفاعلوا في كل يوم مع قضية سيد الشهداء عليه السلام.. لماذا يقال: كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء؟ لأنّ الحجة عليه السلام أينما يكون وفي أيّ زمان فهو يبكي على سيد الشهداء عليه السلام.

• هناك جملة من المكتسبات يحصل عليها المؤمن خلال إحياء هذه الذكرى ومع تصرّمها قد يرى من نفسه حالة من التراجع، فقد يفقد شيئاً من هذه المكتسبات، فكيف يحافظ على هذه المكتسبات؟

□ طوبى لمن عرف قدر نفسه... الطفل عندما يعطي بيده جوهرة فهو ما دام طفلاً ولم يعرف قدرها وقيمتها، فإنه يلعب بها إلى أن تضيع، لأنّه طفل جاهل، أمّا لو أعطيتها لصاحبها كبائع الذهب والجوهرات فتجده يحافظ عليها، لأنّه يعرفها ويعرف قيمتها.. وكذلك الإنسان في معارفه لو عرف قيمة ما بيده، فإنه لن يضيّعه، فإذا أردنا أن نكون رجالاً لا أطفالاً فحينئذٍ ما نأخذه من المكتسبات الجوهرية والدررية، لو عرفنا قيمتها لحافظنا عليها، وهذا يعني ضرورة أن نزداد معرفة، وأن نستصبح بنور الحسين عليه السلام ولا يكفي أن نحضر المجالس للثواب وللبكاء وأن تغفر لنا ذنوبنا والإمام الحسين عليه السلام يشفع لنا وحسب، ونحن لا نشك في ذلك كله، ولكن ليست المسألة منحصرة في الغفران، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «سلوا الله الفردوس، فإنها سرّة الجنة»<sup>(١٢)</sup>، وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الفردوس سيد الجنان»<sup>(١٣)</sup>، المؤمن همته عالية فهو ينظر إلى قمة الجبل ينظر إلى أقصى القوم، فحينئذٍ المؤمن ينظر إلى النهاية والقمة، إنّ الله يحبّ معالي الأمور ويبغض سفاسفها، والمؤمن يتخلق بأخلاق الله، لذا يجب

معالي الأمور، ومن ثم عندما يكتسب هذه المكتسبات ويعرف قيمتها، فإنه يحافظ عليها، ففي الحديث الشريف بالنسبة إلى الحاج أنَّ الله تعالى ينور قلبه ويبقى هذا النور في وجهه إلى أربعة أشهر ما دام لم يعص الله، ولكن إذا عصى الله يذهب هذا النور منه، كذلك سيد الشهداء عَلَيْهِ الْكَلَمُوْنَ فمن يستصبح بنور الإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُوْنَ ويكون نورانياً فإنه لا بدّ من أن يبقى النور معه، فإذا فقد النور عاش في الظلام، أي: عاش في الظلم، وإذا عاش الظلم فإنه سيعيش في الذنب والمعاصي، وبعدها سيعيش الشقاء، ثم يعيش النار لأنَّ الذين شقوا في النار هم فيها خالدون.

فإذا أردت أن أبقي على سعادتي من خلال سيد الشهداء عَلَيْهِ الْكَلَمُوْنَ والبكاء عليه، وحصلت على هذه المكتسبات الحسينية ببركة الله عَزَّوجلَّ، لا بدّ من أن أحافظ عليها حتى أنه من جاء بالحسنة فله عشر... فلا بدّ من المجيء بالحسنة، لأنَّ السيئات يذهبن الحسنات ويحرقنه، كما الحسنات يذهبن السيئات... فالبكاء على الإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُوْنَ يذهب السيئات والذنب، ولكن لو أذنبت مرة أخرى، فإنَّ هذه الحسنة تذهب حينئذٍ، فلا بدّ من المجاهدة للنفس الأمارة بالسوء، وأن لا أعصي الله سبحانه وأكون مطاعاً له، فإذا كنت كذلك فأنت فزت بخير الدنيا والآخرة ولمثل هذا فليعمل العاملون وليتنافس المتنافسون وختامه مسك.

هذا الذي يختتم بالسعادة الحسينية هو الذي يحافظ على مكتسبات عاشوراء وكل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء.

• «ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليُرْغَبَ

المؤمن في لقاء ربه مُحَقَّاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع  
الظالمين إلا برمأ»، هذه إحدى كلمات الإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُوْنَ مخاطباً  
بها أصحابه، وفيها ذكر شيئاً من تعليل خروجه وثورته أنَّ الحق لا  
يُعمل به، وهنا نسأل كيف يمكن للجميع وفيهم البسطاء

## والضللون- معرفة الحق خصوصاً على مستوى تحديد المنهج الحق

الذي ينبغي أن يسار عليه؟

□ على الجاهل أن يتبع العالم، وهذا ما عليه الوجдан والبرهان والقرآن، وهذا ما لا شك فيه، وإذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، وهذا من تكليف العالم، وأما تكليف الجاهل فهو أن يحضر مجالس العلم، إمامنا الحسين يقول: إنَّ من أتناهُ -أيَّ أَنَّ- من جاء إلى المؤتمِّن والحسينية والموكب وهذه دعوة لمن يقيم عليها أن يحافظوا على أن لا تخليو من هذه الخصال الأربع -أي لا بدَّ من الحصول على واحد من هذه الخصال على أقل تقدير-: الخصلة الأولى: آية محكمة، أي: العقائد الصحيحة فلا بدَّ من تقوية العقائد ورفع الشبهات التي توجهه وأنَّه يزداد برهاناً محكماً على ذلك، الخصلة الثانية: وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ قضية عادلة، أيَّ أَنَّه عندما يأتي مجالسنا يصل إلى العدالة الفردية والاجتماعية فمن يأتيها لا يحرم ولا يعدم من هذه الخصلة من أَنَّه يرى العدالة فيكون مع نفسه وربه وأسرته ومجتمعه عادلاً، والعدالة هي الفضيلة التي تكون بين الإفراط والتفرط لا غلو ولا تقصير إنَّما الحد الوسط، فحينئذٍ من يأتيها يصل إلى هذه الخصلة فلا يعدم هذه الخصلة وهي العدالة فإنَّ من يأتي مجالسنا لا بدَّ من أن يتخد أصحاباً ويكتسب أنساً وهذا يكون بركة أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ ولو فتشنا لوجدنا أنَّ الكثير من الصداقات نشأت من خلال هذه الأماكن، والخصلة الثالثة: مجالسة العلماء، وهذا الحضور مهم جداً ويكفي ما ورد في دعاء أبي حمزة الشمالي عندما يقول: «مالي كُلَّا أُقول قد صلحت سريقي وقرب من مجالس التوابين مجلسي عرضت عليَّ بلية أُزالت قدمي..» إلى أن يقول: لعلك من بابك طردني، فيذكر أربعة عشر عاملاً من عوامل المخذلان في حالة السير إلى الله وما ذكر منها: «أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني» وهذا يعني الشقاء، لذا ورد زاحم العلماء ولو بركتي فلا بدَّ من طرق باب العالم، النظر إلى باب العالم

عبادة فضلاً عن وجهه لأنّه يذكّر بالله تعالى، وهذا يكون للعلم الرباني فهو يزيدك في العلم منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله<sup>(١٤)</sup>، «ولا تجلسوا إلا عند كل عالم يدعوك من خمس إلى خمس: من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الرهبة، من الكبير إلى التواضع، ومن الغش إلى النصيحة»<sup>(١٥)</sup>.

### كلمةأخيرة

□ هي كالكلمة الأولى فكل ما ذكرته هو من الكلمات الأخيرة... أسأل الله تعالى لي ولكم التوفيق ولكل من يقرأ ما تكتبونه في مجلتكم الموقرة مجلة "رسالة القلم".

أسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما فيه الخير والسعادة وأن نكون في حضرة الله من المستغرين التائبين المصليين الشاكرين على نعمائه وأن نكون بالمستوى المطلوب عند سيد الشهداء عليه السلام ويقبلنا بقبول حسن وينبتنا نباتاً حسناً لنكون كما كان علي الأكبر لسيد الشهداء حينما قال: أولسنا على الحق؟ قال: بلـي، قال: فحينئذ ما دمنا على الحق لا نبالي بالموت وقعنـا عليهـ، أو وقعـ عليناـ، ونطلبـ من اللهـ الشهادـةـ، فإنـهاـ منـ الكرـامةـ.

فيكتب لنا الشهادة مع وليه الأعظم، وقد فتح اللهـ الجهـادـ لخـاصـةـ أولـيـائـهـ، كما أنـ الشـهـداءـ عندـ رـبـهـ يـرـزـقـونـ.

أقول قولي هذا وأستغفر اللهـ ليـ ولكـمـ ولـجـمـيعـ الـمـؤـمـنـاتـ وـالـمـؤـمـنـاتـ، وـالـحـمـدـ للـهـ ربـ العـالـمـينـ، وـالـسـلـامـ عـلـيـكـمـ وـرـحـمـةـ اللهـ وـبـرـكـاتـهـ.

\*\*\*\*\*

وختاماً نشكر سماحة السيد على قبوله هذا الحوار ونرجوا له دوام التوفيق والسداد، ونسأله أن يطيل في عمره في خير وعافية لخدمة الدين

وأن لا يحرمنا من إفاضاته وإفاداته.

### الهوامش:

- (١) سورة النور: ٣٥.
- (٢) فرائد السمعطين، ج ٢، ص ١٥١، ح ٤٤٦.
- (٣) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ١ ، ص ٢٤٩.
- (٤) كشف الحفاء، العجلوني، ج ١ ، ص ٢٦٥.
- (٥) الصراط المستقيم، للنبطي العاملي، ج ٢، ص ١٤٣.
- (٦) الأمالى، الشيخ الصدوق، ص ١٧٧.
- (٧) سورة الفجر: ٢٧.
- (٨) الإرشاد، ج ٢، ص ١٣٣.
- (٩) يقصد مسألة الاشعرار.
- (١٠) الكافي، للكيلاني، ج ١، ص ٩١.
- (١١) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ١٣١.
- (١٢) كنز العمال، ج ٢، ح ٣١٨٤.
- (١٣) بحار الأنوار، ج ٤٠، ح ٨٩.
- (١٤) أصول الكافي، ج ١، ص ٨٨.
- (١٥) مستدرك الوسائل، الشيخ التورى، ج ٨، ص ٣٢٧.



# الخطاب الحسيني أمام تهمة الخرافية

الشيخ على أحمد الجفري

## المقدمة

لا يخفى على أحد من المنصفين أهمية الموقف الحساس الذي تتبوأه القضية الحسينية ضمن سلسلة مكونات الفكر الإسلامي الأصيل، وأن هذه القضية بالذات شغلت حيز الأُسْ، الذي لولاه لما بقي من الدين إلا اسمه ورسمه، ولكن خواءً من أي مضمون وجوهر يعبر عن الأطروحة الإلهية التي جاء بها رسول الله عليه وآله لكي ينقد بها العالم بأسره، ولكي يبني دنياً وآخرة عامرتين بنور الإيمان، وتتجلى هذه الفكرة بأجلز وأوضح بيان فيما ورد عن النبي عليه وآله نفسه في قوله: «حسين متّي، وأنا من حسين»<sup>(١)</sup>.

ما يتلک هذا التأثير المهم في حفظ الإسلام يتجلّى في -مرحلة الأولى- في ذات الفكر الحسيني الذي جاء به الحسين عليه وآله في نفس الأمر الواقع، والذي يتناول ويتناول بالبحث والتدقيق والتفتيش طيلة أيام السنة بشكل عام، وفي أيام عاشوراء بشكل خاص، وذلك ما يمكن توصيفه بالمرحلة الثانية، والتي تتمثل في إبراز هذا

الفكر على شكل خطاب حسيني يخاطب به العالم، وذلك عبر المادة المقدمة من خلال قنواته المتعددة، والتي من أهمها في الدرجة الأولى: المنبر الحسيني، ثم الموكب العزائي، والشعر، والأدب، والفن، والمسرح، والرسم، والندوات، والمؤتمرات، وغير ذلك من وسائل تشكل في المحصلة بمجموع قنوات الخطاب الحسيني بما تعطيه من مضامين، وقراءات، وفهم لهذه الثورة المباركة المقدسة.

فنحن بحاجة إلى التفريق بين أمرين قد يبرزان -عادةً- على هيئة أمر واحد في الظاهر، مما يصعب من عملية التفكير بينهما، وهما: الأول: الفكر الحسيني في نفس الأمر الواقع، الثاني: الخطاب الحسيني، ومعنى بالأول: نفس ما آمن به سيد الشهداء عليهما السلام من أهداف، ومنطلقات، ونفس ما اتخذه من قرارات أدار بها الثورة، ونفس ما قام به من مجموع الخطاب، والمواقف، ومعنى بالثاني: القراءات المقدمة من أصحاب الفكر والنظر في سبيل إبراز الفكر الحسيني، وهي تشمل جميع مفردات هذا الفكر المكونة من مزيج البعدين: المعرفي، والعاطفي.

وعلى هذا نعرف: أنَّ كلاً من الفكر الحسيني والخطاب الحسيني مختلفان في المفهوم، وأما في الصدق والانطباق، فهما قد يتطابقان، وقد لا يتطابقان، وبقدر ما يمتلك صاحب الخطاب من علم ومعرفة وقرب من الإسلام الحمدي الأصيل، فإنه سيوفق في فهم هذه الثورة، وبالتالي في إبرازها عبر خطاب موفق في بيان حقيقتها دون زيادة أو نقصان، فيتصادق عنده الفكر مع الخطاب حينئذٍ، وبقدر ما يفتقد صاحب الخطاب ذلك، فإنَّ خطابه سيعود مجرد اجتهاد خاطئ في فهم هذا الفكر، لا تكون له قيمة واعتبار من هذه الجهة.

وإذا دققنا النظر، فإننا سندرك أنَّ مسؤولية جميع من يدعى انتماء لخط الحسين عليهما السلام تتلخص في ضرورة بذل الجهد الصادق -ووفق الآليات المنطقية، والشرعية- من أجل الوصول إلى إنتاج خطاب متتصادق مع الفكر، ومن هنا تأتي

ضرورة وخطورة مسألة التقييم والنقد للـ(خطاب)، وليس (الفكر)؛ لأنّ الفكر في نفسه معصوم بلا شك، لكونه فكر الحسين بن علي علیه السلام، أما الخطاب فهو مجرد اجتهادات لا نصيب لها من العصمة إلا بقدر ما يوفق الله تعالى، وهي بذلك قد تخطئ، وقد تصيب.

فحين نسأل: لماذا الحديث حول ضرورة نقد وتقييم الخطاب الحسيني المعاصر؟  
الجواب: لأنّه سلاح ذو حدين: يمكن أن يكون -حين يُضبط- أسمى خطاب ديني مؤثّر في النفوس على مر العصور، ويمكن أن يكون -حين يُتجنّى عليه فيفلت- خطاباً مثيراً للفتنة، فتاكاً، مدمرًا، محققاً لمأرب ومصالح الطغاة والمستكبرين على المستوى المحلي، والإقليمي، وال العالمي.

#### إشكال:

إذا عرفنا ذلك، يمكننا أن نبدأ في فتح باب النقد والتقييم لهذا الخطاب من خلال تناول ظاهرة (السخرية) التي تزايدت وتيرتها في الآونة الأخيرة تجاه الخطاب الحسيني بشكل عام، وحاصل التأمل في ذلك يقول: إنّ هناك ملامح مشروع متكملاً، تُصرف عليه الأموال، وتنستأجر له العقول والأقلام، يهدف إلى إبراز ما يمارس في هذا الموسم المقدس، على أنه خرافات، وأساطير، وتقالييد ما أنزل الله بها من سلطان، يُخدع بها ممارسوها، فضلاً عن غيرهم، مما أنتج لنا ظاهرة السخرية التي يقوم بها الغرباء عن مدرسة أهل البيت علیهم السلام تجاه هذا الخطاب، والذي يتمثل في الكثير من الروايات التي تتكلم عن قضية الحسين علیه السلام، والتي تصل إلى الناس اليوم بصيغة محاضرة، أو قصيدة، أو لوحة فنية، أو مشهد تشيلي، وغير ذلك، خصوصاً تلك المضامين التي لا تكون فيها قابلية الإذعان السريع، لغرابتها، ومن

أمثلتها:

١) ما يتعلق بحضور مأساة الحسين علیه السلام في زمن الأنبياء، وتفاعلهم معها قبل

وقوعها.

- ٢) ما يرتبط بتفاعل الكون بحيواناته، ونباتاته، وجماداته مع فاجعة كربلاء.
- ٣) ما يذكر من الشواب المجزيل على زيارة الحسين عليه السلام، والبكاء عليه، وإحياء أمره.

وغير ذلك الكثير مما يشكل منظومة الخطاب الحسيني بنحو يعم جميع صوره، وأطروحته العلمية، والعاطفية، والخطابية، والشعرية، والفنية، والحاصل في النتيجة: أن جملةً من مضامين الخطاب الحسيني المعاصر، تصل إلى بعض المخاطبين في صورة الحرافة العصبية على التصديق.

#### تحليل لأسباب السخرية:

و قبل أن نلج في محاولة معالجة هذه المسألة، دعونا أولاً نقوم بتحليل أسباب هذه السخرية، والتي تشكل مانعاً و حاجزاً كبيراً، يحول دون التفاعل مع مبادئ الحسين عليه السلام عند هؤلاء، مما يخسرهم الكثير الكثير مما يحتاجونه للرقى في الدنيا والآخرة.

و حين نتأمل، سوف نجد أنّ أسباب هذه السخرية تعود إلى ثلاث مكونات أساسية، -أوّلها يتعلّق بالمادة الملقاة في هذا الخطاب، وثانيها يتعلّق بالمتلقي، وثالثها يتعلّق بالمقتى:-

أولاً: غرابة هذه المضامين من حيث عدم وضوح المدف منها بالنسبة إلى هؤلاء، وعدم إمكان فهمهم الكثير من منطلقاتها، ونتائجها، ولوازمها، وحقائقها، خصوصاً أنّ الأمر متعلق بن لا ينتمي إلى البيئة التي ترسل فيها هذه المضامين إرسال المسلمين، وقد جاء عن الأمير عليه السلام: «إِنَّ عَلَيْنَا أَهْلُ الْبَيْتِ يُسْتَنْكَرُ، وَيُبَطَّلُ، وَيُقْتَلُ رُوَافِعَهُ، وَيُسَاءُ إِلَى مَنْ يَتَلوُ بِغَيَاً وَحَسْداً لِمَا فَضَلَ اللَّهُ بِهِ عَتْرَةَ الْوَصِيِّ، وَصَيْ

النبي صلوات الله عليه وآله»<sup>(٢)</sup>.



ثانياً: طبيعة الذهنية التي صُقلت على نحو محدد، وفق أهداف مرسومة لدى الساخرين، والذين ينقسمون إلى قسمين: أصحاب الذهنية البسيطة، وأصحاب الذهنية المعقدة، ومن أبرز سمات أصحاب الذهنية البسيطة أنها تنطلق في فهم ما يقوله أصحاب الخطاب الحسيني من خلال:

١) الخلط: بين الشيعة والغلاة، الرافضة، المجوس، اليهود، النصارى...، والخلط بين مسائل العقيدة وبين أصول الدين – كما نبه عليه بعض المختصين –، وهو ما يدعوهם إلى تكفير كل من اختلف معهم في أمر، ولو كان من جزئيات العقيدة، بل ولو كان من جزئيات الأحكام الشرعية ربا.

٢) التطرف والتشدد في الأحكام، مع الابتعاد عن الموضوعية، وذلك كنتيجة طبيعية للخلط المذكور.

٣) المحدودية في الإدراك، وما يمكن أن نسميه بالمنهج الجزئي الضيق في فهم كلام الشيعة، وهذا أيضاً جاء نتيجة للأمر الأول (الخلط)، وقد شهد به من كان يحسب عليهم في يوم من الأيام، وهو سماحة الدكتور عصام العماد (حفظه الله)، الذي قال في كتابه المنهج الجديد والصحيح في حوار الوهابيين: "كما أننا لا يمكن أن نستندهم إلا إذا أحسنا الظن بهم، فهم إخواننا، إلا أنهم يتصرفون بالبساطة في التفكير"<sup>(٣)</sup>، فأنت هنا تتكلّم عن دماغ مغلق، مجرّد لصالح بعض الأفكار الجزئية التي لا يمكن فهم الأوسع منها بسهولة لدى هؤلاء.

أما أصحاب الذهنية المعقدة، فهم غالباً ما ينتمون إلى مذهب أهل البيت عائشة، غير أنهم ألفوا واستأنسوا بنهج التشكيك، والذي يرجع إلى جذر المجهل المركب، فدعاة ما يسمى بالتجديد، يرون ضرورة تقديم قراءات نقدية عصرية تقوم على أساس هدم الكثير من الموروث التقليدي القديم، وكثير من هؤلاء يحسب أنه يعلم، وهو لا يعلم، خصوصاً حينما يفتقد آليات الفهم المنطقية في التقييم، ويقوم بتردد

ما يقول به نخب هذا الاتجاه، دون أن يدرك عمق ما في أطروحتهم المهزيلة غير الموزونة، وذلك ب مجرد الأنس بما ينادي به هؤلاء من مفاهيم تبرز في ظاهر جميل، يجد فيه الإنسان ذاته حين يتحرر من نزعات ما يسمونه بالتخلف! وحينها: قد يصل الحال بهم -للأسف الشديد- إلى: (السخرية)!

ثالثاً: الثالث من مكونات أسباب السخرية هو: طريقة طرح هذه الأخبار لدى البعض دون مراعاة هذه الذهنية، ودون التفريق بين المخاطب المهيأ لاستقبال مثل هذه المضامين، وبين من لا يكون مهيأ لها، سواء عند غير أتباع هذه المدرسة، أو حتى من بعض أتباعها، من صيغت عقلياتهم على رفض مثل هذه المضامين لسبب آخر كما ذكرنا.

#### المعالجة:

والسؤال الذي ينبغي أن يطرح هنا هو: ما هو الحل؟! كيف علينا أن نواجه مد السخرية هذا بالطريقة المناسبة؟

حين نرجع إلى المكونات الثلاثة السابقة، نجد أنَّ الجزء الأهم من المشكلة يتمثل في المكون الثالث؛ ذلك لأنَّ المكونين الأول والثاني يعدان إما من الأمور غير القابلة للتبدل، كما في المكون الأول، وإما أنهما يعدان من الأمور صعبة التبدل، كما في المكون الثاني، وعليه: لا بد من التركيز على المكون الثالث الذي يرتبط بالملقي، لأنَّه من النوع القابل للتغيير، وهنا تصورات مطروحة:

١) منهج التكتم: هناك من ينادي بأسلوب التكتم على هذه المعارف السامية، والتخلي مطلقاً عن إذاعتها، لكونها معدودة من أسرار آل محمد ﷺ، والتي ورد الكثيرُ من الروايات بلسان تحريرها، بل التشدد في تحريرها، منها:

▪ ما ورد عن أمير المؤمنين ع: «أَتَحْبُّونَ أَنْ لَا يَكْذِبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟! حَدَّثَنَا النَّاسُ بِمَا يَعْرِفُونَ، وَأَمْسَكُوا عَمَّا يَنْكِرُونَ»<sup>(٤)</sup>.

■ وعن عبد الأعلى بن أعين، قال: قال لي أبو عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام:  
«يا عبد الأعلى، إن احتمال أمرنا ليس بمعروفة، وقبوله، إن احتمال أمرنا هو  
صونه وستره عنهم ليس من أهله»<sup>(٥)</sup>.

■ وعن علي بن الحسين عليهما السلام: «حدثوا الناس بما يعرفون، ولا تحملوهم ما لا  
يطيقون، فتغرونهم بنا»<sup>(٦)</sup>.

■ وعن الصادق عليهما السلام: «إني لأحدث الرجل الحديث، فينطلق فيحدث به عني  
كما سمعه، فأستحل به لعنه، والبراءة منه»<sup>(٧)</sup>.

■ وعنده عليهما السلام: «إن المذيع لأمرنا كالجاحد به»<sup>(٨)</sup>.

■ وعن أبي سعيد المدائني قال: قال أبو عبد الله عليهما السلام: «أقرئ موالينا السلام،  
وأعلمهم أن يجعلوا حديثنا في حصن حصينة، وتصدور فقيهة، وأحلام رزينة،  
والذى فلق الحبة، وبرا النسمة، ما الشاتم لنا عرضًا، والناصب لنا حرباً، أشد  
مؤونة من المذيع علينا حديثنا عند من لا يحتمله»<sup>(٩)</sup>.

وفي النتيجة: إن دعاء هذا المنهج يرون ضرورة صون هذه المعرفة عن غير  
أهلها، وأن طرحها ينبغي أن يكون بميزان دقيق جداً، بحيث يضيق من دائرة المتلقى  
تضييقاً شديداً، ويقصر إمكانية تبليغ هذه المعرفة على ثلاثة خاصة جداً، يعد إخراج  
هذه المعرفة إلى غيرها خيانة عظمى لأهل بيته عليهما السلام.

٢) منهج التشكيك: ويعتمد هذا المنهج على رفض هذه الروايات عادةً، بحججة  
أنها تتعارض مع (العقل)! وغالباً ما لا تكون تشكيكات أصحاب هذا المنهج مبنية  
على أساس علمية رصينة، بل هي تركز أكثر ما تركز على ما يؤدي إلى التحرر  
من الموروث لحساب فكرة التحرر، وهذا ما يمكن أن يتحقق بالتركيز على الجانب  
الكمي في التشكيك أكثر من الجانب الكيفي، فترى غالب المحقق ركيكة كيماً، إلا  
أنها كثيرة كاماً، وهذا في حد ذاته يؤدي الغرض المتمثل في التحرر، وبهذا يخلص

أصحاب هذا المنهج إلى نتيجة حاصلها: أن مد التشكيك في الموروث، والمناداة بضرورة مراجعته، وعدم التسليم بكل ما جاء فيه، من شأنه أن يقف في وجه مد السخرية ضد قضية الحسين عَلَيْهِ الْمُصَاطَبَةُ، لأن مد التشكيك -إن صح التعبير- سيقطع على الآخر طريق التعميم على كل الشيعة أنه مذهب خرافه؛ ذلك لأنه سيتورط أمام وجود هذا المد التشكيكي من داخل البيت الشيعي، وسيضطر حينها إلى توجيه سخريته فقط إلى نفع خاص من الخطاب الحسيني.

٣) **منهج التصادم والتحدي:** وهو يبني على أساس من الإصرار على تبليغ هذه المعارف بقوة، رغم ما قد تسببه من بعض الآثار السلبية، وذلك بحجتين نقضية، وحلية:

**أما النقضية:** فإن هناك الكثير من المعرف الدينية المسلمة التي تستنكرها البيانات الفكرية البعيدة، وذلك مثل شعائر الحج مثلاً، فهل نتخل عن هذه الشعائر؟! وهل نتخل عن الخطاب الديني المتعلق ببعض المضامين الغريبة على أسماع الآخرين، بحجة أنها تستنكر من قبلهم؟!

**وأما حلأ:** فلأن هذه الآثار السلبية ناشئة من تقصير أصحابها، لا لقصور في نفس الحقائق المبلغة، فما دامت حقاً، فمن حقها أن تبرز وتظهر للعلن، وهذا ما قد يعبر عنه البعض بضرورة الانتقال من منهج الدفاع، إلى منهج الهجوم، مع ملاحظة ما يتلكه المذهب في أصول اعتقاده، وفقهه، وجميع ما يمت إليه بصلة، من قوة في الجهة، والبيان، فلا مناص من الثقة بالمطروح أولاً، والإصرار على تبليغه ثانياً.

وقد يؤيد ذلك كثير مما ورد في ضرورة إذاعة الحق، وعقاب من كتمه:

■ فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَلِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُّوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١٠)</sup>.

■ وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ



- لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ الْلَاعِنُونَ»<sup>(١١)</sup>.
- وعن رسول الله ﷺ : «من علم علماً وكتمه ألمحه الله يوم القيمة ب Glam من النار»<sup>(١٢)</sup>.
- وعن الكاظم ع: «قل الحق وإن كان فيه هلاكك، فإنّ فيه نجاتك، ودع الباطل وإن كان فيه نجاتك، فإنّ فيه هلاكك»<sup>(١٣)</sup>.
- وغير ذلك من شواهد تدل على ضرورة الإصرار على بيان الحق دون محاملة لأحد.
- إذًا: فإنّ مواجهة مد السخرية حسب هذا التوجه تمثل في التصادم، والمضي في الحق دون مبالغة، على مبدأ: «إِنْ تَسْخُرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ»<sup>(١٤)</sup>.
- ٤) منهج الموازنة: ويعتمد هذا المنهج على أساس النظر إلى أدلة وحجج أصحاب التوجه الأول والثالث، ويمكن تلخيصه في: ضرورة ترشيد الخطاب بما يوازن بين الأمرين: ضرورة تبليغ هذه الحقائق، وضرورة المحافظة عليها من الشبهات، والسخرية، والاستهزاء حين تصل إلى غير أهلها، وبهذا نفهم، أنّ ما ذكر عند أصحاب الرأي الأول من ضرورة التكتم، صحيح بوجه، غير صحيح بوجه آخر، فإنّ التكتم المطلق، وبهذه السعة التي تضيق من دائرة المتلقى، فيه ما فيه من المبالغة التي تفوت على الناس بث هذه الحقائق الحسينية المهمة عبر الخطاب الحسيني، يدرك ذلك من خلال أدلة أصحاب الاتجاه الثاني في ضرورة الجهر بهذه الحقائق، ومن جانب آخر، فإنه من خلال النظر إلى أدلة الاتجاه الأول في ضرورة التكتم، يعلم عدم صحة إطلاق الجهر بهذه الحقائق كما يرى أصحاب الاتجاه الثاني.
- والحاصل: إنّ التكتم مطلوب في محله، والإذاعة مطلوبة في محلها، ولنستشهد على فكرة ترشيد الخطاب هذه بالروايات التالية:

▪ عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ قَامَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَا تَحْدُثُوا بِالْحِكْمَةِ الْجَهَالَ فَتَظْلِمُوهَا، وَلَا تَنْعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُمْ»<sup>(١٥)</sup>.

▪ وعن أبي جعفر البصري قال: دخلت مع يونس بن عبد الرحمن على الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فشكى إليه ما يلقى من أصحابه من الواقعة، فقال الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «دارُهُمْ؛ فَإِنَّ عَوْلَمْهُمْ لَا تُبَلِّغُ»<sup>(١٦)</sup>.

▪ وعن رسول الله ﷺ: «إِنَّا أَمْرَنَا مَعَاشِ النَّبِيَّاتِ أَنْ نَكِلَ النَّاسَ بِقَدْرِ عَوْلَمْهُمْ، أَمْرَنِي رَبِّي بِمَدَارَةِ النَّاسِ كَمَا أَمْرَنِي بِإِقَامَةِ الْفَرَائِضِ»<sup>(١٧)</sup>.

▪ وعن جابر الجعفي، قال: دخلت على أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنا شاب، فقال: «من أنت؟» قلت: من أهل الكوفة، جئتكم لطلب العلم. فدفع إلي كتاباً، وقال لي: «إِنَّ أَنْتَ حَدَثْتَ بِهِ حَتَّى تَهْلِكَ بَنْوَ أُمَّيَّةَ، فَعَلَيْكَ لِعْنَتِي، وَلِعْنَةُ آبَائِي، وَإِنَّ أَنْتَ كَتَمْتَ مِنْهُ شَيْئاً بَعْدَ هَلاَكِ بَنْوَ أُمَّيَّةَ، فَعَلَيْكَ لِعْنَتِي، وَلِعْنَةُ آبَائِي». ثم دفع إلي كتاباً آخر، ثم قال: «وَهَاكَ هَذَا، إِنْ حَدَثْتَ بِشَيْءٍ مِنْهُ أَبْدَأْ، فَعَلَيْكَ لِعْنَتِي وَلِعْنَةُ آبَائِي»<sup>(١٨)</sup>.

▪ وعن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ للملعنى بن خنيس: «يَا مَعْلِى، لَا تَكُونُوا أَسْرِي فِي أَيْدِي النَّاسِ بِحَدِيثِنَا، إِنْ شَأْوُا مَتَّوْا عَلَيْكُمْ، وَإِنْ شَأْوُا قَتَلُوكُمْ»<sup>(١٩)</sup>.

يقول العالمة الجلسي: "والذى يظهر من جميع الأخبار -إذا جمع بعضها مع بعض- أن كتمان العلم عن أهله، وعمن لا ينكره، ولا يخاف منه الضرر: مذموم، وفي كثير من الموارد محظوظ. وفي مقام التقية، وخوف الضرر، أو الإنكار، وعدم القبول، لضعف العقل، أو عدم الفهم، وحيرة المستمع: لا يجوز إظهاره، بل يجب أن يحمل على الناس ما تطيقه عقولهم، ولا تأبى عنه أحلامهم"<sup>(٢٠)</sup>.

تنبيه: ومن الضروري أن يعلم أن كيفية ترشيد الخطاب الحسيني لا ينبغي أن

تكون سلبية، بمعنى أن تكتفي بقراءة الآخر، وتقييم ما يستطيع أن يتلقاه، والاكتفاء بتسلیغ ما يتمكن من تقبله، بل لا بد من أن تكون إيجابية، بمعنى أن يحمل صاحب الخطاب الحسيني هم مشروع التغيير عبر ما يمتلكه هذا الخطاب من مضامين وحجج، فأولاً: يقرأ الآخر، وثانياً: يفهم تركيبته الذهنية، ثم يقوم ثالثاً بتهيئة المقدمات التي تؤهل هذا الآخر قدر الإمكان - لتلقي هذه المعارف المهمة.

النتيجة: ومن هنا يعلم أنّ مفاد هذه المعالجة لا يعني التكتيم المطلق على مقاماتهم كما يحاول البعض أن يروج له، حتى وصلت المسألة ببعضهم إلى التشكيك في نفس هذه المقامات! ولا يعني كذلك صدم واقع التخلف الذي يعيشه كثيرون تجاه أئمة أهل البيت عليهما السلام بطريقة اندفعية غير مدرستة، تكون لها جملة من الآثار السلبية التي من أهمها رفض هذه الحقائق، والتشكيك بها، بل والجرأة على ادعاء سخافها، كما يجهد الكثيرون منهم في ذلك! والمسألة تحتاج إلى موازنة دقيقة، تعطي مضمون هذا الخطاب حقها، ولا شك في أنّ هذه الموازنة ليست بالأمر السهل الذي يُترك فيه التشخيص إلى خطيب هنا، أو رادود هناك، بل لا ينبغي أن يبتعد الخطاب الحسيني عن يد أمنائه من العلماء والفقهاء، لكي لا يقع في هذه الإشكالية المدمرة. إنّ الفكر الحسيني في نفسه لا ينقصه شيء، بل قد يُتجنّى عليه بأفهام ضيقة، تبرز في خطابات غير مثمرة، بل قد تكون لها آثار عكسية تماماً، تفوت الفرصة على الآخرين في تلقي هذا الخطاب بأريحية، ويتقبل تام، فإنّ من خصائص الخطاب الحسيني: قدرته على التأثير العاطفي من أجل خلق أجواء مهيئة للتفاعل مع قضية الحسين عليهما السلام، ومن الإجحاف أن تحول هذه الخاصية إلى ما يؤدي إلى عكس هذا المرجو، فنحن جميعاً أمام مسؤولية كبيرة يجب أن نفهم خطورتها، حتى لا نكون من أولئك الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا \* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾<sup>(٢١)</sup>.

والحمد لله أولاً وآخرأ.

### الهامش:

- (١) الإرشاد للشيخ المفید ج ٢ ص ١٢٧.
- (٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢ ص ٧٨ باب ١٣ النهي عن كتمان العلم ح ٦٥.
- (٣) المنهج الجديد والصحيح في حوار الوهابيين ص ٩٥.
- (٤) مستدرک الوسائل للميرزا النوري ج ١٢ ص ٢٧٥ باب ٣٠ وجوب كتم الدين عن غير أهله ح ١.
- (٥) نفس المصدر: ح ٣.
- (٦) الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعmani ص ٤١ باب ما روي في صون سر آل محمد علیهم السلام ح ١.
- (٧) نفس المصدر ح ٧.
- (٨) مستدرک الوسائل للميرزا النوري ج ١٢ ص ٢٩١ باب ٣٢ باب تحریم إذاعة الحق مع المخوف به ح ٥.
- (٩) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢ ص ٧٩ باب ١٣ النهي عن كتمان العلم والخيانة وجواز الكتمان عن غير أهله ح ٧٣.
- (١٠) سورة البقرة: ٤٢.
- (١١) سورة البقرة: ١٥٩.
- (١٢) الرسالة السعدية للعلامة الحلي ص ٦.
- (١٣) الاختصاص للمفید ص ٣٢.
- (١٤) سورة هود: ٣٨.
- (١٥) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢ ص ٦٦ باب ١٣ النهي عن كتمان العلم والخيانة وجواز الكتمان عن غير أهله ح ٧.
- (١٦) مستدرک الوسائل للميرزا النوري ج ١٢ ص ٢١٥ باب ١٣ استحباب الرفق بالمؤمنين في أمرهم بالمندوبات والاقتصار على ما لا يثقل على المأمور ويزهده في الدين وكذا النهي عن المكرهات ح ٤.

- (١٧) بحار الأنوار للمجلسي ج ١ ص ١٠٦ باب ٣ احتجاج الله تعالى على الناس بالعقل وأنه يحاسبهم على قدر عقوتهم ح ٤.
- (١٨) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢ ص ٧٠ باب ١٣ النهي عن كتمان العلم والخيانة وجواز الكتمان عن غير أهله ح ٢٨.
- (١٩) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢ ص ٧٢ باب ١٣ النهي عن كتمان العلم والخيانة وجواز الكتمان عن غير أهله ح ٣٤.
- (٢٠) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢ ص ٧٣.
- (٢١) سورة الكهف: ١٠٣.

أَنْتَنَبْرُجِي  
أَحْسَنْسَنَا إِلَيْهِ  
قَالَ يَكُونُنَّ

# مذاهب أهل الكوفة

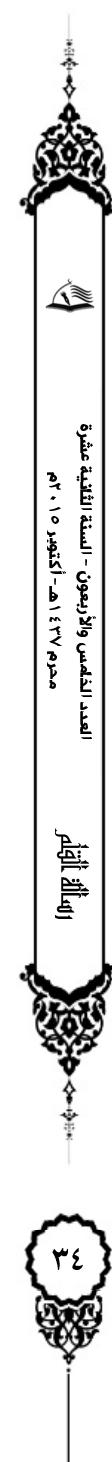
## وعلاقتهم بقتل الحسين عليهما السلام

الشيخ عزيز حسن الخضران

إنَّ مسألة حال أهل الكوفة وما ورد فيهم من الذم على لسان مجموعة من الموصومين عليهما السلام كالأمير علي عليهما السلام، اغتنمتها كثيراً من الحاقدين على مذهب أهل البيت عليهما السلام وصوروا أنَّ الذم الموجود متوجه لأهل الكوفة لأنَّهم شيعة وأتباع لأهل البيت عليهما السلام، وأنَّ هؤلاء الشيعة هم الذين خذلوا أمير المؤمنين والحسن المجتبى عليهما السلام، وهم الذين قتلوا إمامهم الحسين عليهما السلام!!؟

وهذه اسطوانة تتردد كلَّ عام خصوصاً في أجواء شهر محرم؛ حيث يحيي المحبوون لأهل البيت عليهما السلام ذكرى مقتل الإمام الحسين عليهما السلام. وهذا ما يغضض الحاقدين والموتورين حيث يستفزُّهم هذا الارتباط العميق بين الشيعة وبين إمامهم الحسين عليهما السلام، وما يؤثِّره إحياء هذه المناسبة من فضح مشروع سادتهم الأمويين من أمثال يزيد وأبيه معاوية.

ونريد في هذه المقالة أنْ نبحث عن تاريخ مدينة الكوفة بشكل مختصر، وعن مذاهب أهلها ومن الذي شارك في قتال الحسين عليهما السلام.



والكلام في عدة أمور:

### الأمر الأول: مكانة الكوفة وقدسيتها

لا يوجد تلازم بين أهل منطقة معينة وبين نفس الأرض التي يعيشون عليها من حيث المدح والذم، فأهل مكة كانوا مذومين قبل الإسلام لشر كفهم وعبادتهم الأصنام وتلويثهم بيت الله الحرام، ولكن أرض مكة هي من أشرف بقاع الأرض، وكذلك بعد الإسلام وفيهم المنافقين حتى يومنا هذا، فما فيها من الحبّين لأهل البيت عليه السلام إلا القليل.

وتعتبر مدينة الكوفة من المدن المقدسة في الإسلام، وقد وردت فيها أحاديث كثيرة تشير إلى فضلها، منها: عن أبي عبد الله عليه السلام: «الكوفة روضة من رياض الجنة، فيها قبر نوح وإبراهيم وقبور ثلاثة نبي وسبعين نبياً وستمائة وصي، وقبر سيد الأووصياء أمير المؤمنين عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

والنجف تابعة للكوفة، وهي حرم أمير المؤمنين عليه السلام، كما ورد عن الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ حَرَمَأَ وَهُوَ مَكَةُ، وَإِنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ حَرَمَأَ وَهُوَ الْمَدِينَةُ، وَإِنَّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ حَرَمَأَ وَهُوَ الْكَوْفَةُ، وَإِنَّ لَنَا حَرَمَأَ وَهُوَ بَلْدَةُ قُمْ، وَسَتَدْفَنُ فِيهَا امْرَأَةٌ مِنْ أَوْلَادِيْ فَاطِمَةُ، فَنَزَارَهَا وَجَبَتُ لَهُ الْجَنَّةُ»<sup>(٢)</sup>.

ومن أشهر ما فيها مسجد الكوفة الذي هو أحد المساجد الأربع التي يتخير فيها المصلي بين القصر والتمام، وأن ثواب الصلاة فيه مضاعفة، وعن الأمير وعن حفيده السجاد عليه السلام: «وَلُوْلَمْ تَعْلَمْ النَّاسُ مَا فِيهِ مِنَ الْفَضْلِ لَأُتُوهُ (جِبَوًا)»<sup>(٣)</sup>.

وفي تفسير العيashi في رواية مرسلة عن الأمير عليه السلام: «أول بقعة عبد الله عليها ظهر الكوفة لما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لأدم سجدوا على ظهر الكوفة»<sup>(٤)</sup>.

وعن الكاظم عليه السلام عن آبائه عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلام: «إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ مِنَ الْبَلْدَانِ أَرْبَعَةً فَقَالَ عَزَّلَهُ: ﴿ وَالثَّيْنَ وَالرَّزْيُونَ \* وَطُورِسِينَ \* وَهَذَا الْبَلْدَ الْأَمِينَ ﴾، فَالْتَّيْنُ الْمَدِينَةُ،

والزيتون بيت المقدس، وطور سنين الكوفة، وهذا البلد الأمين مكة»<sup>(٥)</sup>.

وعن هارون بن خارجة قال: قال أبو عبد الله عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: «كَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَسْجِدِ الْكَوْفَةِ يَكُونُ مِيلًا؟» قَالَ: لَا. قَالَ: «فَتَصْلِي فِيهِ الصَّلَاةَ كُلَّهَا؟»، قَالَتْ: لَا. قَالَ: «أَمَا لَوْ كُنْتَ حَاضِرًا بِحُضُورِهِ لَرْجُوتَ أَنْ لَا تَغُوْتَنِي فِيهِ صَلَاةً، أَوْ تَدْرِي مَا فَضْلُ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ؟ مَا مِنْ نَبِيٍّ وَلَا عَبْدٌ صَالِحٌ إِلَّا وَقَدْ صَلَّى فِي مَسْجِدِ الْكَوْفَةِ، حَتَّى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلِيُّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ قَالَ لِهِ جَبَرِيلُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَنْدَرِي أَنْتَ يَا مُحَمَّدَ السَّاعَةَ؟ أَنْتَ مُقَابِلُ مَسْجِدِ كُوفَانَ، قَالَ: فَاسْتَأْذِنْ لِي أَصْلِي فِيهِ رُكُوعَيْنِ، فَنَزَلَ فَصَلَّى فِيهِ، وَأَنْ مَقْدِمَهُ لَرْوَضَةُ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِيمَنَتِهُ وَمِيسَرَتِهُ لَرْوَضَةُ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَأَنْ وَسْطَهُ لَرْوَضَةُ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَأَنْ مَؤْخِرَهُ لَرْوَضَةُ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَالصَّلَاةُ فِيهِ فَرِيشَةٌ تَعْدُلُ بِأَلْفِ صَلَاةٍ وَالنَّافِلَةُ فِيهِ بِخَمْسَائِهِ صَلَاةً»<sup>(٦)</sup>.

### عاصمة الأمير والدولة المهدوية

وَمَمَّا يَزِيدُ وَيَبْيَّنُ قَدْسِيَّةُ وَمَكَانَةُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ اتِّخَادُهَا مِنْ قِبَلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَاصِمَةً لِحُكُومَتِهِ، وَكَذَلِكَ تَكُونُ عَاصِمَةً لِلْمَدِينَةِ الْمَهْدِيَّةِ الْمَبَارَكَةِ، كَمَا فِي الرُّوَايَاتِ، وَفِيهَا حَدَثَتْ أَحَدَاثٌ كَثِيرَةٌ عَلَى مَرَّ التَّارِيخِ.

إِذَا هَذِهِ الْمَدِينَةُ شَأنٌ عَظِيمٌ، وَلَكِنْ لَيْسَ السَّبَبُ فِي عَظَمَتِهَا شَرْفُ أَهْلِهَا، كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي مَكَةَ الْمُعْتَمِدَةِ كَمَا تَقَدَّمَ.

### الأمر الثاني: تاريخ إنشاء هذه المدينة

ذُكِرَ أَنَّ النَّبِيَّ عَلِيًّا وَقَتَ لِأَهْلِ الْعَرَاقِ ذَاتِ عَرْقٍ، وَلَمْ يَكُونُوا أَسْلَمُوا بَعْدَ، فَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: «مَنْ تَمَّ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةُ أَنْ تَحْرُمَ مِنَ الْمَوَاقِعِ الَّتِي وَقَتَهَا رَسُولُ اللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لَا تَجَاوِزُهَا إِلَّا وَأَنْتَ مُحْرَمٌ؛ فَإِنَّهُ وَقَتَ لِأَهْلِ الْعَرَاقِ وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ عَرَاقٌ بَطْنُ الْعَقِيقِ مِنْ قَبْلِ أَهْلِ الْعَرَاقِ...»<sup>(٧)</sup>، وَهَذِهِ مِنْ إِخْبَارَاتِهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِالْغَيْبِ، حِيثُ كَانَ يَعْلَمُ بِأَنَّ هَذِهِ الْأَرْضِ سَتَدْخُلُ فِي الْإِسْلَامِ.

ونقل أَنَّه نزَّلَتْها قبل الإسلام قبائل عديدة، وكذلك بعد الإسلام، ونقل أَنَّها مُصَرَّتْ وصَبِيرَتْ (مدينة) في عهد الخليفة الثاني<sup>(٨)</sup>، وذلك بعد أن فتحت المدائن في العراق بقيادة سعد بن أبي وقاص في السنة السابعة عشر للهجرة، وبسبب كثرة البعض فيها بحثوا عن مكان آخر للعسكر.

ونقل الطبرى "أنَّ سعد بعث حذيفة وسلمان، فخرج سلمان حتى يأتى الأنبار فسار فى غربى الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة -والكوفة على حصباء، وكلُّ رملة حمراء يقال لها: سهلة، وكلَّ حصباء ورمل هكذا مختلطين، فهو كوفة- فأتيا عليها وفيها ديرات ثلاثة: دير حرقة، ودير أم عمرو، ودير سلسلة، وخاصص خلال ذلك فأعجبتهما البقعة فنزلَا فصلِيًّا، وقال كل واحد منهما: اللهمَّ رب السماوات وما أَظَلَّتْ، ورب الأرض وما أَقْلَّتْ، والرياح وما ذرتْ، والتجمُّوم وما هوتْ، والبحار وما جرتْ، والشياطين وما أَضَلَّتْ، والخاصص وما أَجْنَتْ، بارك لنا في هذه الكوفة واجعله منزلة ثبات، وكتب إلى سعد بالخبر"<sup>(٩)</sup>.

وعن الشعبي قال: "كنا -يعنى أهل اليمن- اثنى عشر ألفاً، وكانت نزار ثمانية آلاف، ألا ترى أنا أكثر أهل الكوفة، وخرج سهمنا بالناحية الشرقية فلذلك صارت خططنا بحيث هي"<sup>(١٠)</sup>.

وجاءت قبائل متعددة وسكنت هذه الأرض: منهم: كندة ومذحج وطي وأشعر ولخم وجذام وأزد وخثعم وهمدان: فهو لاء الزاريون. أما المُضَرَّيون فمنهم: قيس عيلان وبطونه وربيعة: أخو مضر وإياد أخو مضر وربيعة والعكوك فهو لاء الذين توطنوا الكوفة، وهم زهاء ٤٠٠ بطن<sup>(١١)</sup>. ونقل أَنَّه: "كان بالكوفة ثلاثة وستون قبيلة وأربعين قبيلة راية"<sup>(١٢)</sup>. وهناك مجموعة من العجم سكنوا الكوفة بعد إسلامهم<sup>(١٣)</sup>.

والنتيجة: أنَّ أهل الكوفة ليسوا أهل مدينة واحدة، بل هم مجموعة كبيرة جداً

من القبائل المختلفة في العادات والتقاليد، وأعدادهم تقدر بعشرات الآلاف وربما أكثر، وظيفي أن لا يكونوا على مذهب واحد كما يأتى.

### الأمر الثالث: ما هي مذاهب أهل الكوفة؟

أهل الكوفة لم يكونوا أبداً على رأي واحد، ولا على مذهب واحد ولو قت طویل، بل أهواهم مختلفة، ومذاهبهم متعددة، منذ زمن الأمير عاشور وإلى ما بعد مقتل الإمام الحسين عاشور.

ومن الأمور التي يجب أن تكون واضحة أنَّ أهل الكوفة حتى زمن خلافة الأمير عاشور لم يكونوا كُلُّهم شيعة ولا حتى أكثرهم، وبعضهم كان بالمدينة وغيرها وجاء مع الأمير عاشور عند حربه أهل الجمل، ومن الممكن تقسيم مذاهب أهل الكوفة إلى ثلاثة مذاهب رئيسية:

#### المذهب الأول: مذهب الخوارج

ورأس هذا المذهب ومنبعه هو أحد الصحابة اسمه حرقوص بن زهير، ويسمى ذو الخويصرة، وذكر ذلك مجموعة من المؤرخين، فذكر العيني في عمدة القاري من حديث أبي سعيد قال: "يبنما نحن عند رسول الله عاصِلُهُ وَهُوَ يَقْسِمُ إِذَا أَتَاهُ ذُو الْخَوَيْصِرَةِ، رَجُلٌ مِّنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْدُلُ... الْحَدِيثُ، قَوْلُهُ: فَقَالَ لَهُ:... شَقِيقٌ إِنْ لَمْ أَعْدُلْ... وَقَالَ الْذَّهَبِيُّ: ذُو الْخَوَيْصِرَةُ الْقَائِلُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْدُلُ". يقال هو: حرقوص بن زهير رأس الخوارج، قتل في الخوارج يوم النهر<sup>(١٤)</sup>.

وقال في موضع آخر: "ويذكر عن الواقدي: أَنَّهُ حرقوص بن زهير الكعبي من سعد تميم، وكان لحرقوص هذا مشاهد كثيرة مشهورة محمودة في حرب العراق مع الفرس أيام عمر -رضي الله تعالى عنه-، ثم صار خارجياً، قال: وليس ذو الخويصرة هذا هو ذو الثدية الذي قتله على -رضي الله تعالى عنه- بالنهر وان، ذاك اسمه نافع، ذكره أبو داود، وقيل:المعروف أنَّ ذا الثدية اسمه حرقوص وهو الذي حمل على على -رضي الله تعالى عنه- ليقتله فقتله على -رضي الله تعالى عنه-"<sup>(١٥)</sup>.

وروى النسائي أنَّ النبي ﷺ قال فيه: «ألا إِنَّ لِهِ أَصْحَابًا يُخَفِّرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُمْ، يُمْرِقُونَ مِنَ الدِّينِ مَرْوِقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، حَتَّىْ أَنَّ أَحَدَكُمْ لِيَنْظُرَ إِلَىْ قَذْذَهُ فَلَا يَجِدُ شَيْئًا سَبْقَ الْفَرْثَ وَالدَّمِ، يُخْرِجُونَ عَلَىْ خَيْرِ فَرْقَةِ النَّاسِ، آيَتِهِمْ رَجُلٌ أَدْبَعَ أَحَدَ يَدِيهِ مِثْلَ ثَدِيِّ الْمَرْأَةِ، أَوْ كَالْبَضْعَةِ تَدْرِ دَرِّ»، قال أبو سعيد: «أَشْهَدُ لِسَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَشْهَدُ أَنِّي كَنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَىْ بْنِ أَبِي طَالِبٍ هُنْكَهُ حِينَ قَاتَلَهُمْ، فَأُرْسِلَ إِلَىْ الْقَتْلَى فَأَتَىْ بِهِ عَلَىِ النَّعْتِ الَّذِي نَعْتَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»<sup>(١٦)</sup>.

ولعلَّ أَبُو الْخَوَيْصِرَةَ أَوْ ذُو الْشَّدِيَّةِ هُوَ الْمَقْصُودُ فِيمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ أَنَّ أَبَا بَكْرَ جَاءَ إِلَىِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي مَرَرْتُ بِوَادِي كَذَا وَكَذَا إِذَا رَجَلٌ مُتَخَسِّعٌ حَسْنَ الْهَيَّةِ يَصْلِي، فَقَالَ لِهِ النَّبِيُّ ﷺ: «اَذْهَبْ إِلَيْهِ فَاقْتُلْهُ»، قَالَ: فَذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرَ، فَلَمَّا رَأَهُ عَلَىْ تَلْكَ الْحَالِ كَرِهَ أَنْ يَقْتُلَهُ، فَرَجَعَ إِلَىِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَمْرِ: «اَذْهَبْ فَاقْتُلْهُ»، فَذَهَبَ عُمَرُ، فَرَأَهُ عَلَىْ تَلْكَ الْحَالِ الَّتِي رَأَهُ أَبُو بَكْرَ، قَالَ: فَكِرْهَ أَنْ يَقْتُلَهُ، فَرَجَعَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُهُ يَصْلِي مُتَخَسِّعًا، فَكَرِهْتُ أَنْ أَقْتُلَهُ، قَالَ: «يَا عَلِيٌّ اَذْهَبْ فَاقْتُلْهُ»، قَالَ: فَذَهَبَ عَلَىْ فَلَمْ يَرِهِ، فَرَجَعَ عَلَىِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَمْ يَرِهِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرُؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجْاوزُ تِرْاقِيمَ يَمْرِقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمِرْقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُنَّ فِيهِ حَتَّىْ يَعُودَ السَّهْمَ فِي فَوْقَهُ، فَاقْتُلُوهُمْ هُمْ شَرُّ الْبَرِّيَّةِ»<sup>(١٧)</sup>.

وَعَلَىْ كُلِّ حَالٍ فَأَصْحَابُ هَذَا الْمَذْهَبِ يَرْأِسُهُ أَحَدُ الصَّحَابَةِ، وَشَارَكُوا فِي الْفَتوْحَاتِ أَيَّامَ عُمَرَ، ثُمَّ شَارَكُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صَفَينِ ضَدَّ مَعَاوِيَةَ، ثُمَّ بَرَزَتْ أَسْمَاؤُهُمْ وَتَشَخَّصُوا بِوَضُوحِ يَوْمِ التَّحْكِيمِ، وَمَسَالَةُ التَّحْكِيمِ كَانَتْ مُجَرَّدَ ذَرِيعَةً لِخَرْوَجِهِمْ عَلَىِ الْأَمِيرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِلَّا فَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَؤْمِنُونَ بِهِ.

وَقَدْ حَارَبُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَمْ يَبْقِ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ وَقَدْ تَشَرَّدَ

أفراد منهم واستمر مذهبهم في بعض المناطق كعمان، ولكن لم يكن لهم مكانة أو حجماً سياسياً بعد ذلك، نعم كان لبعضهم مشاركة في واقعة كربلاء، وفي قتال الإمام الحسين عليهما السلام (١٨).

### المذهب الثاني: وهو مذهب السنة والجماعة

والظاهر أن أصحاب هذا المذهب كانوا هم الأغلب، خصوصاً في بدايات قيامه على علية السلام إلى الكوفة، حيث مرّ أن هؤلاء استوطنوا الكوفة بعد فتح العراق، وكان أغلب الناس حينئذ مع السلطة الحاكمة، ومتبعين لها، خصوصاً على القول بأنَّ مذهب التشيع إنما نشأ في زمن أمير المؤمنين عليه السلام، وإن كان الصحيح عندنا أنَّ التشيع هو الإسلام فقد نشأ مع نشوء الإسلام، وأن هناك مجموعة كانت في زمن النبي عليهما السلام يعرفون بأنهم شيعة على علية السلام والمقداد وأبي ذر وعمار، ولكنهم كانوا قلة.

وعلى كل حال هناك شواهد متعددة على أن أكثر أهل الكوفة كانوا من أهل السنة والجماعة، نذكر طرفاً منها:

#### ١. الإصرار على صلاة التراويح:

لا تجوز عندنا أن يؤتى بصلوة النافلة جماعة، وقد ابتدع عمر صلاة التراويح، وهي صلاة مستحبة في شهر رمضان كان يصلحها الناس فرادى زمان النبي عليهما السلام وكذلك زمن أبي بكر، فلما جاء عمر أمر بها جماعة، وفي إحدى الليالي مرّ بهم وهو يصلّونها جماعة فقال: "نعم البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون" (١٩)، واستمر عليها الناس وإلى يومنا هذا.

وروى الطوسي في التهذيب عن عمار عن أبي عبد الله عليهما السلام قال: سأله عن الصلاة في رمضان في المساجد قال: «لما قدم أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة أمر الحسن بن علي عليهما السلام أن ينادي في الناس لا صلاة في شهر رمضان في المساجد جماعة، فنادى في

الناس الحسن بن علي عليهما السلام بما أمره به أمير المؤمنين عليهما السلام فلما سمع الناس مقالة الحسن بن علي صاحوا : واعمراء واعمراء، فلما رجع الحسن إلى أمير المؤمنين عليهما السلام قال له : ما هذا الصوت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين الناس يصيحون : واعمراء واعمراء، فقال أمير المؤمنين عليهما السلام : قل لهم صلوا<sup>(٢٠)</sup>.

وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا : «لَمَّا كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْكُوفَةِ أَتَاهُ النَّاسُ فَقَالُوا لَهُ : اجْعِلْ لَنَا إِمَاماً يَؤْمِنُنَا فِي رَمَضَانَ، فَقَالَ لَهُمْ : لَا، وَنَهَاهُمْ أَنْ يَجْتَمِعُوْا فِيهِ، فَلَمَّا أَمْسَوْا جَعَلُوا يَقُولُونَ ابْكُوا رَمَضَانَ وَرَمَضَانَهُ، فَأَتَى الْحَارِثُ الْأَعْوَرُ فِي أَنَاسٍ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ضَعْنَانُ النَّاسِ وَكَرِهُوا قَوْلِكَ، قَالَ : فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ : دُعُوهُمْ وَمَا يُرِيدُونَ لِيَصِلُّ بِهِمْ مِنْ شَأْوَةٍ، ثُمَّ قَالَ : «وَمَنْ... يَتَّبِعُ عَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهُ مَا تَوَلَّ وَنُصْلِلُهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا»<sup>(٢١)</sup>.

وهذا يعني أن هذه المجموعة كانت كثيرة ومؤثرة على عامة الناس، والرواية عبرت أتاه الناس والظاهر منها أنهم الغالبية، ولذلك لما رأى علي عليهما السلام أن نهيه لهم يؤدي إلى الفتنة تركهم.

## ٢. خطاب الأمير عليهما السلام لأهل الكوفة:

لم يكن علي عليهما السلام يخاطب أهل الكوفة بأنهم شيعته، نعم ربما كان يخاطب بعض القبائل الموالية بأنهم من شيعته.

عن نصر بن مزاحم في كتاب صفين: لما قدم علي بن أبي طالب عليهما السلام من البصرة إلى الكوفة -إلى أن قال- ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «أَمَا بعد يا أهل الكوفة، فإِنَّ لَكُمْ فِي الإِسْلَامِ فَضْلًا مَا لَمْ تَبْدِلُوا وَتَغْيِرُوا»<sup>(٢٢)</sup>.

وفي الإرشاد: "وَمَنْ كَلَمَهُ طَائِفَةٌ حِينَ قَدِمَ الْكُوفَةَ مِنَ الْبَصَرَةِ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ: «... وَقَدْ قَدِدَ عَنْ نَصْرِي مِنْكُمْ رِجَالٌ، وَأَنَا عَلَيْهِمْ عَاتِبٌ زَارٌ، فَاهْبِرُوهُمْ وَأَسْمِعُوهُمْ مَا يَكْرِهُونَ حَتَّى يَعْتَبُونَا وَنُرِي مِنْهُمْ مَا نَحْبُ»<sup>(٢٣)</sup>.

فقام إليه أبو بردة بن عوف الأزدي وكان عثمانياً تختلف عنه يوم الجمل وحضر معه صفين على ضعف نية في نصرته فقال: يا أمير المؤمنين أرأيت القتلى حول عائشة وطلحة والزبير بم قتلوا؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما قتلوا شيعتي وعمالي، وبقتهم أخا ربيعة العبدى (رحمه الله) في عصابة من المسلمين قالوا: لا ننكث البيعة (كما نكتتم)، ولا نغدر كا غدرتم، فوثبوا عليهم فقتلتهم ظلماً وعدواناً، فسألتهم أن يدفعوا إلى قتلة إخواني منهم أقتلهم بهم، ثم كتاب الله حكم بيني وبينهم، فأبوا علي وقاتلوني وفي أعناقهم بياعي ودماء نحو ألف من شيعتي فقتلتهم بذلك، أفي شك أنت من ذلك؟»، فقال: قد كنت في شك، فأما الآن فقد عرفت، واستبان لي خطأ القوم، فإنك أنت المهدى المصيب، ثم إن علياً عليه السلام تهياً لينزل، فقام رجال ليتكلموا، فلما رأوه قد نزل جلسوا ولم يتكلموا. قال: أبو الكنود: وكان أبو بردة مع حضوره صفين ينافق أمير المؤمنين عليه السلام ويكاتب معاوية سراً، فلما ظهر معاوية أقطعه قطعه بالفلوجة، وكان عليه كريماً<sup>(٢٤)</sup>. وهذا نموذج من كان مع علي عليه السلام، والنماذج من أمثاله كثيرة جداً.

### ٣- موقف أبي موسى الأشعري وجماعته:

كان أبو موسى الأشعري -والذي هو من علماء العامة- من المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السلام، وكان يخذل الناس عن علي عليه السلام في حرب الجمل، مما يدل على وجود أتباع له، ومما يشهد إلى ذلك أن الخوارج -ولعل غيرهم معهم- اختاروه للتحكيم، وضغطوا على علي عليه السلام للقبول به فكان هو الحكم في صفين من جانب جيش علي عليه السلام، وقد اتفق مع عمرو بن العاص على خلع علي ومعاوية، ثم خُدع،... والمهم أنه رضي بخلع علي عليه السلام.

والغريب أن هذان الاثنين كانوا من حاول اغتيال النبي عليه السلام في العقبة، كما نقله الصدوق في الحصال عن حذيفة قال: "الذين نفروا برسول الله ناقته في منصرفه من تبوك أربعة عشر: أبو الشرور، وأبو الدواهى، وأبو المعازف، وأبوه، وطلحة، وسعد

بن أبي وقاص، وأبو عبيدة، وأبو الأعور، والمغيرة، وسالم مولى أبي حذيفة، وخالد بن وليد، وعمرو بن العاص، وأبو موسى الأشعري، وعبد الرحمن بن عوف، وهم الذين أنزل الله فيهم ﴿وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾<sup>(٢٥)</sup>.

ولا ندرى ماذا جرى بين الاثنين في السر والاتفاق على خلع علي ومعاوية، ولعله كان تقبلاً لإبعاد علي عليه السلام وتبنيت معاوية.

وقال ابن شاذان في الإيضاح مخاطباً العامة: " وأنتم روitem عن جرير بن عبد الحميد الضبي عن الأعمش عن شقيق أبي وائل قال: قال حذيفة بن اليمان: والله ما في أصحاب رسول الله عليه السلام أحد أعرف بالمنافقين مني، وأنا أشهد أنَّ أباً موسى الأشعري منافق"<sup>(٢٦)</sup>.

وعلى كل حال فإنَّ العامة يقدّسون أباً موسى، بل وكذا ابن العاص ويرونهما من الصحابة الصالحين؟!

#### ٤- زمن الإمام المجتبى عليه السلام:

بعد مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، تخاذل الناس عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وهو دليل آخر على أنَّ أكثرهم لم يكونوا شيعة، وعندما قال له أحد هم تلك الكلمة الجارحة: "السلام عليك يا مذلة المؤمنين، فقال: «مه، ما كنت مذلهم، بل أنا معيز المؤمنين، وإنما أردت البقاء عليهم»"<sup>(٢٧)</sup>.

فهدف الإمام عليه السلام من الصلح هو الحفاظ على من تبقى من الشيعة، وهو ظاهر في كون الشيعة آنذاك أقلية.

#### المذهب الثالث: المذهب الشيعي

وهم الذين يعتقدون بأنَّ علياً هو المنصب من قبل الله تعالى ومن بعده أولاده المعصومون عليهما السلام، وما مرَّ يتبيّن أنَّهم لم يكونوا يشكّلون الأكثريّة، فإنَّ هذه العقيدة بهذا الوضوح لم يكن عليها إلا نفر قليل بعد رحيل النبي عليهما السلام.

وأغلب أهل المدينة -فضلاً عن أهل مكة- لم يكونوا يعتقدون بإمامته بالنص، وإن كانوا على علم بها، فأمير المؤمنين عليه السلام طيلة خمسة وعشرين عاماً كان في المدينة المنورة، وكانت الخلافة في يد غيره، ومنذ استقرار المسلمين في الكوفة عام ١٧ هجرية إلى وصول علي عليه السلام للخلافة الظاهرية عام ٣٥ تقريراً (حدود ١٨ سنة) لم يكن له شيعة فيها بهذا الوضوح، وكانت الأمور بيد من سبقة.

وإذا الناس أذعنوا له كما أذعن له أهل المدينة من الصحابة والتابعين لأنّه أصبح الخليفة (والناس مع من غالب)، وبعد ذهابه إلى الكوفة ربا ذهب الشيعة هناك أيضاً مع من ذهب، وهناك فرق بين أن يجتمع أغلب الشيعة في الكوفة وبين أن يكونوا هم أغلبية الناس فيها.

والشيعة في ذلك الوقت كان لهم ثلاثة أماكن رئيسة: الكوفة، والبحرين (الكبيري)، واليمن كما يفهم من بعض الأخبار.

ف الصحيح أنَّ الشيعة ربا تركزوا تلك الفترة في الكوفة إلى حدٍ ما، ومنهم الشيعة الذين شاركوا في الجمل وصفين والنهر والنهر، ولكن ليس من المعلوم أنَّهم كانوا يمثلون أغلبية أهل الكوفة.

نعم الشيعي بالمعنى الأعم -وهو الحبُ والتبع دون المعتقد بالإمامية- قد يكونوا أكثر، وهذا ما يصرّح به العامة من أنفسهم من المحبين لأهل البيت عليهما السلام، فالتشييع بهذا المعنى يشمل أكثر المسلمين.

#### **الأمر الرابع: من هم الذين شاركوا في قتال الحسين عليه السلام؟**

من أهم المغالطات التي يركز عليها أعداء أهل البيت عليهما السلام ويشنّعون بها على مذهب التشيع هو أنَّ أهل الكوفة (الشيعة) هم أنفسهم من قتل الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء !!

وهذه من المغالطات الفاحشة التي يتستر بها الحاقدون للنيل من أهل

البيت عليه السلام قبل النيل من شيعتهم المخلصين لهم، فإنهم يريدون أن يقولوا بأنّه إذا ثبت أنّ الشيعة هم من قتل الإمام عليه السلام فهو دليل قاطع على بطلان مذهبهم، وهذا أحد الأهداف الرئيسية من هذه المغالطة، بالإضافة إلى تبرئة ساحة يزيد - المحسوب على السنة، ولو نظرياً<sup>(٢٨)</sup> - من جريمة فاجعة كربلاء.

وممّا مرّ من شواهد على أنّ أهل الكوفة كانوا على مذاهب متعدّدة، وأنّ من بينهم أهل السنة والجماعة يتبيّن - على أقل التقادير ومع التنزل - أنّ الذين شاركوا في قتل الإمام الشهيد عليه السلام هم كلُّ الطوائف.

ثمّ إنّه يمكن دفع هذه المغالطة بذكر أمور عده:

أولاً: معنى التشيع هو الاعتقاد بإمامية أهل البيت عليه السلام ووجوب طاعتهم طاعة مطلقة، وأنّ محاربتهم واستحلال دمائهم يُخرج الشخص من الإسلام فضلاً عن التشيع، فكلُّ من شارك في قتل الإمام عليه السلام - حتى على فرض أنه كان شيعياً بالاسم إنْ صَحَّ التعبير - فإنه يخرج من التشيع بلا شكٍ ولا ريب بمجرد مشاركته في قتال الإمام الحسين عليه السلام.

فنحن الشيعة نبراً من دين ومذهب كلّ شخص شارك أو أعا ان على قتال الإمام عليه السلام، ونطالب أصحاب المذاهب الأخرى بالتبُّرُّ الصريح من دين أولئك الجماعة المارقة الفاسقة، وليس الهجوم على مذهب أهل البيت عليه السلام الذين أحدهم الإمام الحسين عليه السلام.

ثانياً: وهو المهم هنا: عندما ننظر إلى قيادات الجيش والآمراء والشخصيات المهمة المشاركة في جيش ابن سعد فسوف نرى أنه لم يكن واحد منهم شيعياً - حتى على المستوى الظاهري -، بل هم إما خوارج، وإما من أصحاب المذاهب الأخرى:

وإليك أسماء بعض هؤلاء القتلة:

## ١- خليفة الفاسقين يزيد بن معاوية لعَنْهُ:

وهو الامر الرئيس بقتل الإمام عَلِيِّهِ بِمَجْرِدِ وصْولِهِ إِلَى السُّلْطَةِ، فَقَدْ أَمَرَ وَالَّتِي  
الْمَدِينَةَ بِأَخْذِ الْبَيْعَةِ مِنَ الْإِمَامِ وَإِنَّ أَبِي فَلِي ضَرَبَ عَنْقَهِ<sup>(٢٩)</sup>، وَبَعْدِ خَرُوجِ الْإِمَامِ عَلِيِّهِ  
إِلَى مَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ أَرْسَلَ يَزِيدَ لَعَنْهُ ثَلَاثَيْنِ شَيْطَانًا مِنْ شَيَاطِينِ بَنِي أَمِيمَةَ لِقَتْلِ  
الْإِمَامِ عَلِيِّهِ وَإِنْ كَانَ مَتَعْلِقًا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، وَبَعْدِ مَقْتَلِ الْإِمَامِ عَلِيِّهِ بِكَرْبَلَاءَ أَرْسَلَتْ  
الرُّؤُوسَ وَبَنَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَزِيدَ بِالشَّامِ لِتَبْشِيرِهِ بِقَتْلِ الْحَسَنِ عَلِيِّهِ،  
وَحَصَلَ الاحْتِفالُ بِذَلِكَ، ثُمَّ لَمَّا خَافَ يَزِيدُ مِنَ الْفَضْيَحةِ بَعْدَ أَنْ عَرَفَ النَّاسُ أَنَّ  
هُؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ بَيْتِ النَّبِيِّ عَلِيِّهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَاوَلَ إِظْهَارَ النَّدَمِ الْكَاذِبِ، وَأَلْقَى بِاللَّائِمَةِ عَلَى  
ابْنِ زِيَادٍ.

وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ يَزِيدَ قَبْلَ قَتْلِ الْإِمَامِ عَلِيِّهِ كَانَ -ظَاهِرًا- يَمْثُلُ أَهْلَ السُّنَّةِ،  
وَكَانَ هُوَ الْخَلِيفَةُ الشَّرِعيُّ حَسْبُ نَظَرِهِمْ، وَقَدْ بَاعُوهُ، فَبَعْدَ فَعْلَتِهِ الشَّنِيعَةِ إِمَّا أَنْ  
يُعْتَبِرُوهُ خَارِجًا مِنَ الدِّينِ، أَوْ أَنَّهُ بَاقٌ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَعَلَى كُلِّ الْمَالَتِينِ  
فَهُلْ يَجُوزُ لَنَا نَحْنُ الشَّيْعَةُ أَنْ نُلْقِي بِاللَّائِمَةِ عَلَى مَذْهَبِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، خَصْوصًا  
أَنَّ الَّذِي نَصَّبَ يَزِيدَ وَمَهَّدَ لَهُ الْخَلَافَةُ هُوَ أَبُوهُ مَعَاوِيَةَ إِمَامُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، بَلْ إِنَّ  
مَصْطَلِحَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مَا نَشَأَ إِلَّا بِنَاءً عَلَى مَا يَدْعُونَ مِنْ أَنَّهُ بِالصَّلْحِ بَيْنَ الْإِمَامِ  
الْحَسَنِ عَلِيِّهِ وَبَيْنَ مَعَاوِيَةَ اجْتَمَعَ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ، فَسُمِيَّ ذَلِكَ الْعَامُ عَامُ الْجَمَاعَةِ<sup>(٣٠)</sup>!

٢- وَالِّيُّ الْكَوْفَةِ عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادَ لَعَنْهُ: هُوَ الْأَمْرُ الْمُبَاشِرُ بِقَتْلِ الْحَسَنِ عَلِيِّهِ،  
وَنَقْلُ الدِّينُورِيِّ فِي الْأَخْبَارِ الطَّوَالِ: "وَوَرَدَ كِتَابٌ بْنُ زِيَادٍ عَلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّ امْنَعَ  
الْحَسَنَ وَأَصْحَابَهُ الْمَاءَ، فَلَا يَذْوَقُوا مِنْهُ حَسْوَةً كَمَا فَعَلُوا بِالْتَّقْوَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ"<sup>(٣١)</sup>،  
وَعَبَارَةُ بْنِ زِيَادٍ هَذِهِ تَبَيَّنَ تَوْجِهُ الْمَذْهَبِيِّ، فَهُوَ لَمْ يَكُنْ مَحْسُوبًا لَا عَلَى الشَّيْعَةِ وَلَا  
عَلَى الْخَوارِجِ، فَمَا هُوَ مَذْهَبُهُ؟!

وَقَدْ كَانَ لَعَنْهُ شَدِيدًا عَلَى مَنْ يَتَخَلَّفُ عَنْ قَتْلِ الْحَسَنِ عَلِيِّهِ فِي الْأَخْبَارِ

الطوال أَنَّهُ: "كَانَ ابْنُ زِيَادٍ إِذَا وَجَهَ الرَّجُلَ إِلَى قَتْلِ الْحَسِينِ فِي الْجَمْعِ الْكَثِيرِ، يَصْلُونَ إِلَى كَرْبَلَاءَ، وَلَمْ يَبْقِ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ، كَانُوا يَكْرِهُونَ قَتْلَ الْحَسِينِ، فَيَرْتَدُّونَ، وَيَتَخَلَّفُونَ. فَبَعْثَ ابْنُ زِيَادٍ سَوِيدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَنْقُرِيِّ فِي خَيْلٍ إِلَى الْكُوفَةِ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَطْوِفَ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَهُ قَدْ تَخَلَّفَ أَتَاهُ بِهِ. فَبَيْنَا هُوَ يَطْوِفُ فِي أَحْيَاءِ الْكُوفَةِ إِذَا وَجَدَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ قَدْ كَانَ قَدْمَ الْكُوفَةِ فِي طَلَبِ مِيرَاثِهِ، فَأَرْسَلَ بِهِ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ، فَأَمْرَهُ بِهِ، فَضَرِبَتْ عَنْهُ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ خَرَجُوا، قَالُوا: وَوْرَدَ كِتَابٌ ابْنِ زِيَادٍ عَلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّ أَمْنَعَ الْحَسِينِ وَأَصْحَابِهِ الْمَاءَ، فَلَا يَذْوَقُونَ مِنْهُ حَسْوَةً كَمَا فَعَلُوا بِالْتَّقْيَى عَشْمَانَ بْنَ عَفَانَ.

فَلَمَّا وَرَدَ عَلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ ذَلِكَ أَمْرُ عُمَرٍ وَبْنِ الْحَجَاجِ أَنْ يَسِيرَ فِي خَمْسَائِهِ رَاكِبًا، فَيَنْبِغِي عَلَى الشَّرِيعَةِ، وَيَحْوِلُونَ بَيْنَ الْحَسِينِ وَأَصْحَابِهِ، وَبَيْنَ الْمَاءِ، وَذَلِكَ قَبْلَ مَقْتَلِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَمَكَثَ أَصْحَابُ الْحَسِينِ عَطَاشِي" <sup>(٣٢)</sup>.

وَفِي أَمَالِي الصَّدُوقِ: "فَبَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ سَعْدَ يَسَّامِرُ الْحَسِينَ عَلَيْهِ وَيَحْدِثُهُ وَيَكْرِهُ قَتَالَهُ، فَوَجَهَ إِلَيْهِ شَمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشِنِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ فَارِسٍ، وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ: إِذَا أَتَاكَ كَتَابِي هَذَا، فَلَا تَمْهِلْنَ الْحَسِينَ بْنَ عَلَى، وَخُذْ بِكَظْمِهِ، وَحُلْ بَيْنَ الْمَاءِ وَبَيْنِهِ، كَمَا حَيْلَ بَيْنَ عَشْمَانَ وَبَيْنَ الْمَاءِ يَوْمَ الدَّارِ" <sup>(٣٣)</sup>.

### ٣- قَائِدُ جَيْشِ ابْنِ زِيَادٍ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ لَعَنَّهُ:

وَهُوَ ابْنُ الصَّحَافِيِّ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ، وَبِسَبِبِ أَنَّهُ يُنْسَبُ إِلَيْهِ قَتْلُ الْحَسِينِ عَلَيْهِ باعْتِبَارِهِ أَمِيرُ الْجَيْشِ، نَفَى وَثَاقَتُهُ بَعْضُ أَهْلِ الرِّجَالِ، فَقَدْ روَى الْمَزِيِّ وَالرَّازِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي خَيْثَمَةِ أَنَّهُ قَالَ: "سَأَلْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ عَنْ عُمَرِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّهُ مَنْ؟ فَقَالَ كَيْفَ يَكُونُ مَنْ قَتَلَ الْحَسِينَ بْنَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثَقَةً" <sup>(٣٤)</sup>.

نَعَمْ قَالَ العَجْلِيُّ (م٢٦١) فِي تَرْجِمَةِ ابْنِ سَعْدٍ: "عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ مَدْنِي ثَقَةٌ كَانَ يَرْوِي عَنْ أَبِيهِ أَحَادِيثَ وَرَوَى النَّاسُ عَنْهُ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْحَسِينَ، قَلْتُ: كَانَ أَمِيرُ الْجَيْشِ وَلَمْ يَبَاشِرْ قَتْلَهُ" <sup>(٣٥)</sup>، وَهَذَا عذرٌ أَقْبَحُ مِنْ ذَنْبٍ، فَعَلَى هَذَا الْمَنْطَقِ لَا يَؤْثِمُ

ملك ولا وزير ولا قائد في قتل أحد، بل المسؤول هو المباشر للقتل فقط !!

وروى الدنوري في قصة مسلم بن عقيل في مجلس ابن زياد لما أخذ أسيرًا أنه قال مسلم لابن زياد: "إإنْ كُنْتَ مِزْمَعًا عَلَى قُتْلِي، فَدُعِنِي أَوْصَى إِلَى بَعْضِهَا نَاهَا نَاهَنَا مِنْ قَوْمِي، قَالَ لَهُ: أَوْصَى بِمَا شَاءَتْ، فَنَظَرَ إِلَى عُمَرَ بْنَ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ، فَقَالَ لَهُ: أَخْلُ مَعِي فِي طَرْفِ هَذَا الْبَيْتِ حَتَّى أَوْصِي إِلَيْكَ، فَلَيْسَ فِي الْقَوْمِ أَقْرَبُ إِلَى وَلَا أَوْلَى بِي مِنْكَ، فَتَنَحَّى مَعْهُ نَاحِيَةً، فَقَالَ لَهُ: أَنْقَبْلُ وَصِيتِي؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ مُسْلِمٌ: إِنَّ عَلَى هَاهُنَا دِينًا، مَقْدَارُهُ أَلْفُ دَرَهْمٍ، فَاقْضَى عَنِّي، وَإِذَا أَنَا قُتِلْتُ فَاسْتَوْهَبْ مِنْ أَبْنَى زَيَادَ جَثْنِي لِثَلَاثَةِ يَمِيلَ بِهَا، وَابْعَثُ إِلَى الْحَسَنِ بْنَ عَلَى رَسُولِ الْقَاصِدِ مِنْ قَبْلِكَ، يَعْلَمُهُ حَالِي، وَمَا صَرَطَ إِلَيْهِ مِنْ غَدَرِ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ شَيْعَتِهِ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ نَكْثِهِمْ بَعْدَ أَنْ بَاْيَعُنَى مِنْهُمْ ثَمَانِيَّةُ شَرِيكٍ رَجُلٍ، لِيَنْصُرَفْ إِلَى حَرَمِ اللَّهِ، فَيَقِيمُ بِهِ، وَلَا يَغْتَرُ بِأَهْلِ الْكَوْفَةِ. وَقَدْ كَانَ مُسْلِمٌ كَتَبَ إِلَى الْحَسَنِ أَنْ يَقْدُمْ وَلَا يَلْبِسْ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ: لَكَ عَلَى ذَلِكَ كُلَّهُ، وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ، فَانْصَرَفَ إِلَى أَبْنَى زَيَادَ، فَأَخْبَرَهُ بِكُلِّ مَا أَوْصَى بِهِ إِلَيْهِ مُسْلِمٌ، فَقَالَ لَهُ أَبْنَى زَيَادَ: قَدْ أَسَأْتَ فِي أَفْشَائِكَ مَا أَسَرَهُ إِلَيْكَ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ لَا يَخُونُ إِلَّا الْأَمِينَ، وَرَبِّمَا ائْتَمَنَكَ الْخَائِنَ" (٣٦).

وعلى كل حال، فعمر بن سعد يتتحمل مسؤولية مباشرة في قتل الإمام علي عليه السلام، وكانت الأوامر المباشرة تصدر منه، وقد قال الله تعالى يوم عاشوراء: "يا خيل الله اركبوا وأبشروا" (٣٧)، وهذا هو منطق الطاغة إلى زماننا هذا حينما ينسبون أفعالهم إلى الدين وتأييد الله تعالى!

#### ٤- الشمر بن ذي الجوش لعنة:

وكان له دور كبير جداً في كربلاء، وبرز اسمه بشكل واضح، وكان من المتحمسين لقتال الحسين عليه السلام، وقد كان يحرض ابن زياد ذلك أشد التحريض، والمعروف المشهور أنه -عليه لعنة الله- هو الذي باشر قتل الحسين عليه السلام بعد أن جثا على صدره.

## ٥- شَبَّثُ بْنُ رَبِيعٍ لَعَلَّهُ :

كَانَ مِنْ قَوَادِ الْجَيْشِ فِي صَفَابْنِ سَعْدٍ فِي أَلْفِ فَارِسٍ<sup>(٣٨)</sup>، وَكَانَ مَتَّقِلْبُ الْحَالِ مَنَافِقًا، قَالَ عَنْهُ الزَّرْكَشِيُّ فِي الْأَعْلَامِ: "شَبَّثُ بْنُ رَبِيعٍ التَّمِيمِيُّ الْيَرْبُوْعِيُّ، أَبُو عَبْدِ الْقَدْوَسِ: شِيخُ مَضْرِ وأَهْلِ الْكُوفَةِ، فِي أَيَّامِهِ أَدْرَكَ عَصْرَ النَّبِيِّ، وَلَحِقَ بِسَجَاجِ الْمَتَبَّثَةِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَثَارَ عَلَى عُثْمَانَ، وَكَانَ مِنْ قَاتِلِ الْحَسِينِ ثُمَّ وَلَى شَرْطَةَ الْكُوفَةِ وَخَرَجَ مَعَ الْمُخْتَارِ الشَّفْقِيِّ، ثُمَّ انْقَلَبَ عَلَيْهِ"<sup>(٣٩)</sup>.

وَلَذِكْ لَا يَقْبِلُ قَوْلُ الذَّهَبِيِّ فِي قَوْلِهِ عَنْهُ أَنَّهُ: "كَانَ مِنْ مَنْ خَرَجَ عَلَى عَلَى، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ التَّحْكِيمَ، ثُمَّ تَابَ وَأَنْابَ"<sup>(٤٠)</sup>، فَإِنَّهُ لَمْ يَتَبَ.

كَيْفَ وَقَدْ قَالَ فِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَئِنْ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَامٍ مَنَافِقُونَ، فَإِنَّ مَعِي مَنَافِقُونَ وَأَنْتُمْ هُمْ، أَمَا وَاللَّهِ يَا شَبَّثَ بْنَ رَبِيعٍ وَأَنْتُ يَا عُمَرَ بْنَ حَرِيْثَ وَمُحَمَّدَ ابْنَكَ أَنْتَ يَا أَشْعَثَ بْنَ قَيسٍ لِتَقْتِلَنِي أَبْنِي الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ! هَكُذا حَدَثَنِي حَبِيبِي رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَامٍ فَالْوَلِيلُ لِمَنْ رَسُولُ اللَّهِ خَصِّمَهُ وَفَاطِمَةُ بَنْتُ مُحَمَّدٍ»، فَلَمَّا قُتِلَ الْحَسِينُ بْنُ عَلَيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ شَبَّثُ بْنُ رَبِيعٍ وَعُمَرُ بْنُ حَرِيْثَ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَشْعَثَ فِي مَنْ سَارَ إِلَيْهِ مِنْ الْكُوفَةِ وَقَاتَلُوهُ بِكَرْبَلَاءِ حَتَّى قُتِلُوهُ، وَكَانَ هَذَا مِنْ دَلَائِلِهِ<sup>(٤١)</sup>.

وَعَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامِ قَالَ: «جَدَّدَتْ أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ بِالْكُوفَةِ فَرْحاً لِقُتْلِ الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَسَاجِدُ الْأَشْعَثِ، وَمَسَاجِدُ جَرِيرٍ، وَمَسَاجِدُ سَهَّاكَ، وَمَسَاجِدُ شَبَّثَ بْنَ رَبِيعٍ»، وَعَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامِ قَالَ: «إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ نَهِيَّ بِالْكُوفَةِ عَنِ الصَّلَاةِ فِي خَمْسَةِ مَسَاجِدٍ: مَسَاجِدُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيسٍ، وَمَسَاجِدُ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجْلِيِّ، وَمَسَاجِدُ سَهَّاكَ بْنِ مُخْرَمَةِ وَمَسَاجِدُ شَبَّثَ بْنِ رَبِيعٍ وَمَسَاجِدُ التَّمِيمِ»<sup>(٤٢)</sup>.

وَشَبَّثُ هُوَ مِنْ قَوَادِ الْخُوارِجِ، بَلْ أَوْلُ مِنْ حَرَرَ الْمَرْوَرَاءِ<sup>(٤٣)</sup>، وَمِنْ الْمُبَغِضِينَ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامِ<sup>(٤٤)</sup>، وَهُوَ مِنْ كَتَبِ لِلْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَقَدْ ذَكَرَهُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ عَاشُورَاءِ بِذَلِكِ<sup>(٤٥)</sup>، وَبَعْدَ هَذَا يَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا وَصَفَ هَذَا الْلَّعِينَ أَنَّهُ مِنَ الْشِّيَعَةِ فَإِنَّهُ

يعتبر جنایة على التاريخ.

وكان لَعْنَهُ يَعْرُفُ الْحَقَّ ويعرف أنه بقتاله الحسين عَلَيْهِ الْكَفَرُ يكون ضالاً، وقد نقل ابن مخنف عن أبي زهير العبسي أنه قال: "فأنا سمعته (أى سمع شبث) فى إمارة مصعب يقول: لا يعطى الله أهل هذا المصر خيراً أبداً، ولا يسددهم لرشد، ألا تعجبون أنا قاتلنا مع على بن أبي طالب ومع ابنه من بعده آل أبي سفيان خمس سنين، ثم عدونا على ابنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية وابن سمية الزانية، ضلال يا لك من ضلال".<sup>(٤٦)</sup>

## ٦ - موقفان آخران:

الأول: ما رواه المفيد في الإرشاد وأبو مخنف والطبرى وللفظ للأول أنه: "برز نافع بن هلال (من أصحاب الحسين عَلَيْهِ الشَّهَادَةُ) وهو يقول:

أنا ابن هلال البجلى \* أنا على دين على

فبرز إليه مزاحم بن حرث قال له: أنا على دين عثمان، فقال له نافع: أنت على دين شيطان، وحمل عليه فقتله، فصاح عمرو بن الحاج بالناس: يا حمقى، أتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان أهل المصر، وتقاتلون قوماً مستميتين، لا يبرز إليهم منكم أحد، فإنهما قليل وقلما ييقون، والله لو لم ترمواهم إلا بالحجارة لقتلتموهن؟ فقال عمر بن سعد: صدقت، الرأى ما رأيت، فأرسل فى الناس من يعزّم عليهم إلا يبارز رجل منكم رجلاً منهم، ثم حمل عمرو بن الحاج فى أصحابه على الحسين عَلَيْهِ الشَّهَادَةُ.<sup>(٤٧)</sup>

والثاني: ما رواه أبو مخنف عن الحسين بن عقبة المرادي: "قال الزبيدي: إنه سمع عمرو بن الحاج حين دنا من أصحاب الحسين يقول: يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا تربوا فى قتل من مرق من الدين وخالف الإمام، فقال له الحسين: «يا عمرو بن الحاج، أعلى تحريض الناس! أحنّ مرقنا وأنتم ثبتم عليه! أما والله لتعلمن لو قد قبضت أرواحكم ومتم على أعمالكم أينا مرق من الدين ومن هو أولى بصلی النار».<sup>(٤٨)</sup> ومن هذين الموقفين وغيرهما يعلم توجه من كان في جيش ابن سعد.

وخلاصة القول في هذه النقطة أنَّ قيادات الجيش الذي حارب الإمام الحسين عليهما السلام كلُّها تنتمي دينياً إلى مذاهب أخرى غير الشيعة، فكيف يصحُّ لمنصف حينئذٍ أنْ يتهم الشيعة بارتکاب تلك الجريمة الشنعاء؟!!

### ثالثاً: وصف الإمام الحسين عليهما السلام من شارك في قتاله:

لا يشك مسلم على وجه الأرض في أنَّ الحسين عليهما السلام هو سيد شباب أهل الجنة، وأنَّه صادق القول، فلنرى بماذا وصف جيش ابن سعد بالوصف الذي يدل على توجههم الديني:

روى ابن أعثم وابن طلحة الشافعي أنَّ الإمام الحسين عليهما السلام: "دعا إلى البراز فلم يزل يقتل كلَّ من خرج إليه من عيون الرجال حتى قتل منهم مقتلة عظيمة، قال: وتقدَّم الشمر بن ذي الجوشن لعَلَّهُ فِي قَبِيلَةٍ عَظِيمَةٍ - فقاتلهم الحسين بأجمعهم وقاتلوه حتى حالوا بينه وبين رحله، قال: فصاح بهم الحسين [عليهما السلام]: «ويحكم يا شيعة آل سفيان! إن لم يكن دينكم لا تخافون المعاد فكونوا أحرازاً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم أعواناً [كما] تزعمون».

وفي المقابل أنسد طَائِفَةً - قبل قوله المتقدم - بعد أن تقدم لجيش ابن سعد حتى وقف قبالة القوم وسيفه مصلت في يده وأنشأ من نفسه عازماً على الموت وهو يقول:

أنا ابن علي الخير من آل هاشم كفاني بهذا مفخر حين أخفر

وجدي رسول الله أكرم من مشي ونحن سراج الله في الخلق يزهر

وفاطمة أمي سلالة أسد وعمي يدعى ذا الجناحين جعفر

وفينا كتاب الله أنزل صادقاً وفينا المدى والوحى والخير

يذكر ونحن أمان الأرض للناس كلهم نصول بهذا في الأنام ونفخر

ونحن ولادة الخوض نسقي ولاتنا بكأس رسول الله ما ليس ينكر

## وشيutta في الناس أكرم شيعة ومبغضنا يوم القيمة يخسر<sup>(٤٩)</sup>.

وي ينبغي هنا القول بأنّ أهل الكوفة وإن كان فيها شيعة، إلا أنّه لم يشارك أحد منهم في معسكر ابن زياد أصلًا، فقد كان كثير منهم في السجون، وكان بعضهم أخذه الخوف من بطش ابن زياد فلم ينضم إلى الإمام علّي عليهما السلام وقد تقدم شدّة ابن زياد على أهل الكوفة، وما يؤكد هذا المعنى تأخر حبيب بن مظاير الأسيدي في الخروج لنصرة الحسين عليهما السلام ثم خرج خلسة لأنّه لم يكن يسمح لأحد أن يلتحق بالإمام علّي عليهما السلام في كربلاء، فقد كان جيش ابن زياد محكم السيطرة على المنطقة.

نعم، من لم يحاول الخروج فإنه مذنب وأثم؛ لأنّ نصرة المعصوم واجبة على كل فرد، ومن ثم صارت ثورة التوابين والظاهر أنّهم من الشيعة بالمعنى الخاص، وهم الذين لم ينصروا الإمام علّي عليهما السلام فاعتبروا ذلك معصية كبيرة، فشارروا على بني أمية بعد مقتل الحسين عليهما السلام.

### الأمر الخامس: ذمُّ أهل الكوفة ومدحهم في الروايات

وأمّا صفات أهل الكوفة بشكل عام فنقتصر على ذكر صفتين من صفاتهم الذميمة التي وصفوا بها تلك الفترة:

#### ١- الخذلان والميل إلى الراحة:

قول علي عليهما السلام مخاطبًا أهل الكوفة من المتخاذلين عن نصرته: «فيما عجبًا والله يحيى القلب ويجلب لهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقهم عن حقكم، ف QB حكم لكم وترحا، حين صرتم غرضاً يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزوون ولا تغزوون، ويعصي الله وترضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلت هذه حرارة القيط أمهلنا يسبخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلت هذه صباره القر أمهلنا ينسليخ عنا البرد، كل هذا فراراً من الحر والقر فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فإذا أنتم والله من

السيف أفر، يا أشباء الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال، وعقول ربات الرجال،  
لوددت أني لم أرك ولم أعرفكم، معرفة والله جرت ندماً وأعقبت سدماً قاتلكم الله لقد  
ملأتم قلبي قيحاً، وشحختم صدرى غيظاً، وجرعتموني نgeb التهمام أنفاساً، وأفسدتم على  
رأي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا  
علم له بالحرب، لله أبوهم وهل أحد منهم أشد لها مراساً، وأقدم فيها مقاماً متي، لقد  
نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا  
يطاع».<sup>(٥٠)</sup>.

#### ١. صفة الغدر ونقض العهود:

عن الحارث الهمداني قال: "لما مات على عليه السلام جاء الناس إلى الحسن بن على عليه السلام فقالوا له: أنت خليفة أبيك، ووصيه، ونحن السامعون المطيعون لك، فمرنا بأمرك، قال عليه السلام: «كذبتم، والله ما وفيتם لمن كان خيراً متي فكيف تفون لي؟! أو كيف أطمئن إليكم ولا أثق بكم؟ إن كتم صادقين؟ فوعد ما بيني وبينكم معسکر المدائن، فوافوني هناك»، فركب، وركب معه من أراد الخروج، وتخلّف عنه خلق كثير لم يفوا بما قالوه، وبما وعدوه، وغروه كما غروا أمير المؤمنين عليه السلام من قبله، فقام خطيباً وقال: «قد غررتوني كا غررت من كان قبلني، مع أي إمام تقاتلون بعدي؟! مع الكافر الظالم، الذي لم يؤمن بالله، ولا برسوله قط، ولا أظهر الإسلام هو ولا بنو أمية إلا فرقاً من السيف؟! ولو لم يبق لبني أمية إلا عجوز درداء لبعت دين الله عوجاً، وهكذا قال رسول الله عليه السلام».

وعندما أرسل الإمام عليه السلام أحد بنى كندة لمحاربة معاوية فأغراه معاوية بالمال والمنصب فانضم إلى معاوية، ولما بلغ الحسن عليه السلام ذلك قام خطيباً وقال: «هذا الكندي توجه إلى معاوية وغدر بي وبكم، وقد أخبرتكم مرتّة بعد أخرى أنه لا وفاء لكم، أنتم عبيد الدنيا، وأنا موجه رجلا آخر مكانه، وأنا أعلم أنه سيفعل بي وبكم ما فعل

صاحبه، لا يرقب الله في ولا فيكم»، فبعث إليه رجلاً من مراد في أربعة آلاف، وتقى  
إليه بمشهد من الناس، وتوعد عليه، وأخبره أنه سيغدر كما غدر الكندي، فلحت له  
بالأيمان التي لا تقوم لها الجبال أنه لا يفعل، فقال الحسن عليه السلام: «إنه سيغدر»، وفعلاً  
أغراء معاوية أيضاً لينضم إليه ولم يحفظ ما أخذ عليه من العهود، وبلغ الحسن عليه السلام ما  
 فعل المرادي، فقام خطيباً وقال: «قد أخبرتكم مرتة بعد مرتة أنكم لا تفون لله بعهود، وهذا  
صاحبكم المرادي غدر بي وبكم، وصار إلى معاوية»، ثم كتب معاوية إلى الحسن عليه السلام:  
"يا ابن عم، لا تقطع الرحم الذي بيني وبينك، فإن الناس قد غدوا بك وبأيك من  
قبلك". فقالوا (أهل الكوفة): "إن خانك الرجالان وغدرا، فإننا مناصحون لك" ، فقال  
لهم الحسن عليه السلام: «لأعود هذه المرة فيما بيني وبينكم، وإني لأعلم أنكم غادرون، والموعده  
ما بيني وبينكم، إن معسكري بالخيالة، فوافوني هناك، والله لا تفون لي بعهد، ولتنقضن  
الميثاق بيني وبينكم».

ثم إن الحسن عليه السلام أخذ طريق النخلة، فعسكر عشرة أيام، فلم يحضره إلا أربعة  
آلاف، فانصرف إلى الكوفة فصعد المنبر وقال: «يا عجباً من قوم لا حياء لهم ولا دين  
مرة بعد مرتة، ولو سلمت إلى معاوية الأمر فأيم الله لا ترون فرجاً أبداً مع بني أمية،  
والله ليسو منكم سوء العذاب، حتى تتمنون أن يلي عليكم حبشيَا، ولو وجدت أعواناً ما  
سلمت له الأمر، لأنّه محروم على بني أمية، فأفي وترحاً يا عبيد الدنيا»، وكتب أكثر أهل  
الكوفة إلى معاوية بأنّا معك، وإن شئت أخذنا الحسن وبعثناه إليك، ثم أغروا على  
فسطاطه، وضربوه بحربه، فأخذ مجروهاً، ثم كتب جواباً لمعاوية: «إن هذا الأمر لي  
والخلافة لي ولأهل بيتي، وإتها لحرمة عليك وعلى أهل بيتك، سمعته من رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه،  
لو وجدت صابرين عارفين بحقي غير منكري، ما سلمت لك ولا أعطيتك ما تريد».  
وانصرف إلى الكوفة<sup>(٥١)</sup>.

وهذا المقطع الأخير من قول الإمام عليه السلام بين اتجاه أهل الكوفة وأنّ الأقلية هم

الذين كانوا يعتقدون بإمامته ويعرفون حقه.

وكذلك قول الإمام الحسين عليه السلام وهو يخاطب أهل الكوفة بعد خذلانهم:  
«فهؤلاء تعضدون، وعنا تتخاذلون!! أجل والله، خذل فيكم معروف، نبتت عليه  
أصولكم، واتذررت عليه عروقكم، فكنتم أخبث ثمر شجر الناظر، وأكلة للغاصب، ألا لعنة  
الله على الظالمين الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها وقد جعلوا الله عليهم  
كفيلاً، ألا وإن الدعي ابن الدعي قد تركني بين السلة والذلة وهياهات له ذلك مني!  
هياهات منا الذلة! أبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وجحور طهرت وجدد طابت»<sup>(٥٢)</sup>.  
وقول الحوراء عليه السلام: «أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر، والخذل!»<sup>(٥٣)</sup>.  
ثم إنّه نقل أنّ عمر أياضاً شكّا أهل الكوفة في زمانه وكان الغالبية على مذهب  
فقد روى البلاذري: "وعزل عمر سعداً وولى عمار بن ياسر، فشكوه وقالوا: ضعيف  
لا علم له بالسياسة، فعزله، وكانت ولاته الكوفة سنة وتسعة أشهر، فقال عمر: من  
عذيرى من أهل الكوفة! إن استعملت عليهم القوى فجروه، وإن وليت عليهم الضعيف  
حرروه"<sup>(٥٤)</sup>.

### مدح أهل الكوفة:

ما ورد من الذم السابق وغيره لا يعني أنّ هذه الصفات هي لأهل الكوفة في  
كلّ عصر، كما هو الحال في أيّ ذمٍ يصدر تجاه أهل مدينة معينة، وما تقدم إنّما هو  
من عصر الأمير عليه السلام إلى عصر الإمام الحسين عليه السلام، وأما ما بعده فيحتاج إلى دليل  
على بقاء هذه الصفات فيهم.

وذكرنا في المقدمة بعض النصوص المادحة لمدينة الكوفة والمبينة لمقامها  
وقدسيتها، وهنا نذكر بعض الروايات المادحة لأهل الكوفة، وقد وردت على لسان  
كثير من المعصومين عليه السلام فمنها:

ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «هذه مدینتنا ومحلنا ومقر شیعتنا».

وعن سلمان رض وهو تلميذ علي عليهما السلام قال: "الكوفة قبة الإسلام، يأتي على الناس زمان لا يبقى مؤمن إلا وهو بها أو يهوى قلبه إليها".<sup>(٥٥)</sup>

وعن الصادق عليهما السلام أنه قال: «ترية تحبنا ونحبها»، «اللهم ارم من رماها، وعاد من عادها».<sup>(٥٦)</sup>

وعنه عليهما السلام أيضاً: «إِنَّ اللَّهَ عَرَضَ لَنَا عَلَى أَهْلِ الْأَمْصَارِ فَلَمْ يَقْبَلُهَا إِلَّا أَهْلُ الْكُوفَةِ».<sup>(٥٧)</sup>

وعنه عليهما السلام: «إِنَّ وَلَيْتَنَا عُرِضَتْ عَلَى السَّيَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجَبَالِ وَالْأَمْصَارِ مَا قَبْلَهَا قَبْوُلُ أَهْلِ الْكُوفَةِ».<sup>(٥٨)</sup>

وعن عبد الله بن الوليد الكندي قال: دخلنا على أبي عبد الله عليهما السلام في زمن مروان فقال: «من أنت؟» فقلنا: من أهل الكوفة، فقال: «ما من بلدة من البلدان أكثر محباً لنا من أهل الكوفة، ولا سيما هذه العصابة، إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرَهُ هَذَا كُمْ لَأْمَرِ جَهَلَهُ النَّاسُ، وَأَحَبَّتُمُونَا وَأَبْغَضَنَا النَّاسُ، وَاتَّبَعْتُمُونَا وَخَالَفَنَا النَّاسُ، وَصَدَّقْتُمُونَا وَكَذَّبَنَا النَّاسُ، فَأَحْيَاكُمُ اللَّهُ مُحْيِيَّا وَأَمَّاكُمْ [الله] مَهَاتَنَا، فَأَشَهَدُ عَلَى أَبِي أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَا بَيْنَ أَحْدَكُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَرَى مَا يَقْرَرُ اللَّهُ بِهِ عَيْنَهُ، وَأَنْ يَغْتَبِطَ إِلَّا أَنْ تَبْلُغَ نَفْسُهُ هَذَا - وَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى حَلْقَهِ - وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرَرَةً﴾<sup>(٥٩)</sup>، فَنَحْنُ ذَرَرَةُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامِ».<sup>(٦٠)</sup>

وال مدح هنا من الإمام عليهما السلام لخصوص شيعتهم ومحبיהם، وهناك رواية أخرى تبيّن أنّ أهل الكوفة زمان الصادق عليهما السلام فيها الشيعة وفيها غيرهم، فعن المفضل بن عمر، قال: "خرج أبو عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) وأنا معه إلى بعض قرى سواد الكوفة، فلما رجعنا رأينا على الطريق رجلاً ياطم رأسه ويدعو بالمويل والعويل وبين يديه حمار قد خنق، كان عليه رحله وزاده فنظرت إليه فرحمته فقلت: لو أدركت يا مولاي هذا البائس رحمتك ودعوت له أن يحيي حماره، قال: «يا مفضل إني أفعل

## الخاتمة

تبين مما تقدم:

\* أنَّ الفرية التي تردد كلَّ عام لتشويه مذهب أهل البيت علیهم السلام، من أنَّ الشيعة هم من قتل الإمام الحسين علیه السلام، وهم من خالف علياً والحسن علیهم السلام، وهم الذين ورد فيهم الذمُّ ما هي إلا نتاج حقد على أهل البيت علیهم السلام، وأنَّ هذه الفرية لا تصمدُ أمام التاريخ، ولا أمام الدليل.

\* وأنَّ معنى التشيع يتناقض تماماً مع من شارك في قتل سيد الشهداء علیه السلام أو

هذا به، فسأل الله تعالى فيحييه له، فإذا أحيناه سألنا من نحن فعريفه أنفسنا فيدخل الكوفة فينادي علينا فيها، ويقول للناس: هاهنا رجل يعرف بجعفر بن محمد، وهو ساحر كذاب، فيقولون له: ما رأيت من سحره؟ فيحذفهم بالذي كان، فإذا سمعوه فرحت شيعتنا، واغتمَّ أعداؤنا، وينسبوننا إلى السحر والكهانة، وإنَّ الجنَّ تحدثنا وتطيعنا ويكتنبون علينا، فادْنُ منه وخُذْ عليه العهد إنَّ أحيننا له حاره لا يشبع علينا، فإنه يعطيك ولا يفي، وما تشنيعه علينا بضارٍّ، بل يشبع علينا أكثر أهل الكوفة من أعدائنا»، قال المفضل: فدنوت منه فقلت له: إنَّ أحيني سيدنا لك حمارك تكتم عليه ولا تشبع به قال: نعم وأعطي عهد الله وميثاقه على ذلك فحلف ودنا سيدنا أبو عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) من حماره وتكلَّم بكلمات، وقال لصاحب الحمار: «امدد برأسه»، فمده، فنهض حياً، وحمل عليه رحله ودخل الكوفة، ونادى وشنع في الناس والطرق، وقال: إنَّ هنا ساحر يعرف بجعفر بن محمد مرَّ بحماري وهو ميت فتكلَّم عليه بسحره فأحياء، فشنع أكثر الناس المخالفين من أجل ذلك، وقال لي من قابل: «اخْرُج يا مفضل، فإنَّك تلقى صاحب الحمار سائل العينين أصم الأذنين مقطوع اليدين والرجلين، أخرس اللسان على ظهر ذلك الحمار يطاف به»، فكان كما قال (صلوات الله عليه) (٦١).

وقف في صف أعدائه.

\* وأنَّ ما ورد من الذمٌ إنما هو في زمن معين لم يكن فيه الشيعة أكثرية، بل كان أهلُ الكوفة على مذاهب وطوائف مختلفة، فهو متوجه إلى أصحاب المذاهب الأخرى أكثر مما هو متوجه إلى الشيعة.

\* وأنَّ الذمَّ -على افتراض شموله لبعض الشيعة- لم يكن بالتأكيد بسبب تشييعهم، كيف والذم صادر لتخلفهم عن أهل البيت عليهما السلام وخذلانهم لهم، بينما التشيع هو اتباع أهل البيت عليهما السلام وطاعتهم طاعة مطلقة!!  
نسأل الله تعالى أن يثبّتنا على طاعتهم ومودتهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ.

#### الهوامش:

- (١) الوسائل، ج ١٤، ص ٣٨٧.
- (٢) مستدرك الوسائل، ج ١٠، ص ٣٦٨.
- (٣) بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ٣٩٥، وص ٢٤٥.
- (٤) تفسير العياشي، ج ١، ص ٣٤.
- (٥) معاني الأخبار، ص ٣٦٥، والخصال، ص ٢٢٥، والوسائل، ج ١٤، ص ٣٦١.
- (٦) المحسن للبرقي، ج ١، ص ٥٦.
- (٧) الكافي، ج ٤، ص ٣١٨.
- (٨) في لسان العرب: "وكان عمر مصر الأمسار كما يقال مدن المدن منها البصرة والكوفة".
- (٩) تاريخ الطبرى، ج ٣، ص ١٤٦.
- (١٠) فتوح البلدان للبلاذري، ج ٢، ص ٣٣٩، وتاريخ الكوفة للسيد البراقى، ص ١٣٥.
- (١١) راجع تاريخ الكوفة للبراقى، ص ٢٢٥، فقد فصل في أسماء تلك القبائل وفي فخوذها المتفرعة منها.
- (١٢) تاريخ الكوفة للبراقى، ص ٢٢٨.

(١٣) راجع فتوح البلدان، ج ٢، ص ٣٤٤.

(١٤) عمدة القاري للعيسي، ج ١٥، ص ٦٢.

(١٥) عمدة القاري للعيسي، ج ١٦، ص ١٤٢.

(١٦) خصائص أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ لِلنَّسَائِيِّ، ص ١٣٨.

(١٧) مسنن أحمد، ج ٣، ص ١٥.

(١٨) راجع كتاب تسوّلات حول النهضة الحسينية، للشيخ محمد صنقرور حَفَظَهُ اللَّهُ عَنْهُ، ص ٧٠، فقد ذكر بعض النماذج التي شاركت في قتال الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ، وكانت تحمل أفكار الخوارج في تكفير الإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُ.

(١٩) البخاري، ج ٢، ص ٢٥٢.

(٢٠) التهذيب، ج ٣، ص ٧٠، وعنه في الوسائل، ج ٨، ص ٤٦.

(٢١) الوسائل، ج ٨، ص ٤٧.

(٢٢) مستدرك الوسائل، ج ١١، ص ٣٠٥.

(٢٣) الإرشاد للشيخ المفيد، ج ١، ص ٢٥٩-٢٦٠.

(٢٤) أمالى الشيخ المفيد، ص ١٢٩.

(٢٥) الحصول للصدوق، ص ٤٩٩.

(٢٦) الإيضاح لابن شاذان، ص ٦١.

(٢٧) دلائل الإمامة، ص ١٦٦.

(٢٨) طبعاً كثير من علماء العامة، بل ربما الأكثر على تفسيق يزيد بل وتكفيره، ولكن بناء على الجانب النظري، فيزيد يظهر نفسه على أنه امتداد لمعاوية ومن سبقه من الخلفاء، وأنه على نفس مذهبهم، نعم الوهابية يرون يزيد من خلفاء السلف ويترضون عليه، ولعرفة رأي العامة في يزيد يمكن مراجعة مقالتنا (يزيد في كلام علماء الإسلام) العدد ٢١ من هذه المجلة.

(٢٩) راجع، الإرشاد للمفيد، ج ٢، ص ٣٢.

(٣٠) التمهيد لابن عبد البر، ج ١٩، ص ٢٤١، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج ٢٨، ص ٣٥.

(٣١) الأخبار الطوال لابن الدينوري، ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٣٢) الأخبار الطوال لابن الدينوري، ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٣٣) أمالى الصدوق، ص ٢٢٠.

- (٣٤) تهذيب الكمال للزمي، ج ٢١، ص ٣٦٠، والجرح والتعديل للرازي، ج ٦، ص ١١١.
- (٣٥) معرفة النفات، ج ٢، ص ١٦٦.
- (٣٦) الأخبار الطوال لابن الدينوري، ص ٢٤١.
- (٣٧) الإرشاد للشيخ المفيد، ج ٢، ص ٨٩، والبداية والنهاية لابن كثير، ج ٨، ص ١٩٠.
- (٣٨) أمال الصدوق، ص ٢١٩.
- (٣٩) الأعلام، خير الدين الزركشي، ج ٣، ص ١٥٤.
- (٤٠) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ٣، ص ١٥٠.
- (٤١) تفسير أبي حمزة الشمالي، ص ٢٣٥، الخرائج والجرائح، قطب الدين الرواندي، ج ١، ص ٢٢٦.
- (٤٢) الكافي، ج ٣، ص ٤٩٠.
- (٤٣) حروباء هي المكان الذي عسكر فيه الخوارج أول أمرهم، راجع تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٤٤، والنفات للعجلبي، ج ١، ص ٤٤٨، وأنساب الأشراف، للبلادري، ص ٣٤٢.
- (٤٤) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج ٤٢، ص ٥٣٣.
- (٤٥) روضة الوعاظين، للفتال النيسابوري، ص ١٢٧، والاختصاص للمفيد، ج ٢، ص ٩٨.
- (٤٦) مقتل الحسين لابن مخنف، ص ١٣٩.
- (٤٧) الإرشاد، ج ٢، ص ١٠٣، ومقتل الحسين، لأبي مخنف، ص ١٣٦، وتاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٣٣١.
- (٤٨) مقتل الحسين لأبي مخنف، ص ١٣٦، وعنـه تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٣٣١.
- (٤٩) كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي، ج ٥، ص ١١٧-١١٦، ومطالب المسؤول في مناقب آل الرسول لابن طلحة الشافعى، ص ٤٠.
- (٥٠) نهج البلاغة، ج ١، ص ٧٠.
- (٥١) الخرائج والجرائح لقطب الدين الرواندي، ج ٢، ص ٥٧٤-٥٧٦.
- (٥٢) الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٥.
- (٥٣) الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٧.
- (٥٤) فتوح البلدان، البلادري، ج ٢، ص ٣٤٣.
- (٥٥) فتوح البلدان، ج ٢، ص ٣٥٤.
- (٥٦) البحار، ج ٥٧، ص ٢١٠.

الحمد لله رب العالمين - اللهم آمين - اللهم آمين - اللهم آمين

الحمد لله رب العالمين - اللهم آمين - اللهم آمين - اللهم آمين

٦٠

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ  
وَإِنَّمَا أَنْشَدْتُكُمْ  
بِأَعْلَمِ الْمَدِينَةِ

- (٥٧) بصائر الدرجات للصفار، ص ٩٦.
- (٥٨) بصائر الدرجات للصفار، ص ٩٧.
- (٥٩) الرعد: ٣٨.
- (٦٠) الكافي، ج ٨، ص ٨١. وشرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي، ج ٣، ص ٤٥٩، وأمالی الشیخ الطوسي، ص ١٤٤.
- (٦١) الهدایة الكبرى، للحسین بن حمدان القصیبی، ص ٢٥٦، ومدینة المعاجز للسید هاشم التوبلاني، ج ٦، ص ١٧٠-١٧١.

## عاشراؤنا

الشيخ قصى الشيخ على العربي

عنوان مقدس نتخرّذه نبراساً وهداية ومشعلًا منيراً لحرائنا ومسيرنا وانطلاقاتنا في كل أبعادها ومفاصلها، ونرجو من الله العلي القدير أن نوفق ونسدّد لالتماسه فيما نفكّر ونبحث ونستقصي .  
فلقد كان الإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِين ييشل كل الأتقياء الذين يسعون إلى تحقيق وتفعيل العدل الإلهي في الأرض.

وهكذا هم طلائع وأنصار أبي عبدالله الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِين في الساحة والميدان التي تستلزم حضورهم الواسع والمنتج من خلال صبرهم وصمودهم، فهم الحسينيون والمجاهدون والقدائيون المؤمنون بقضية الحق والحقوق قد جعلوا عاشوراء مسيرةً لهم، لذلك فهم مسدّدون، ولا يتسلّمون للعراقل التي يضعها الطغاة أمام مسیرهم .  
وينبغي أن لا تكون معرفتنا بعاشوراء كنوصوص وقصص تاريجية في بطون الكتب أو في الزمن الغابر الذي قد ولّى، بل إنّ عاشوراء هي حماسة ربانية تجري في دماء المؤمنين إلى يوم القيمة، فينبغي للشعوب أن تقتبس من عاشوراء الرؤية والمنهج في كل حراكها وخطتها لتكون المسيرة حسينية الفكر وال موقف مهما طوردت هذه الشعوب أو عذبت أو سجنت.

حقاً إنّ عاشوراء يعتبر موسمًا لاستنهاض الهم من أجل الدفاع عن المبادئ والقيم المتمثلة بالحق.

فعلى كل مؤمن أن يستلهم من عاشوراء دروس التضحية والإباء، ويتعلم الصبر والصمدود الحسيني في مواجهة المستكرين بالجشعين، والدفاع عن المظلومين. انطلاقاً من كل ذلك نرى أن عاشوراء لا زالت حاضرة، ولقد قال بطلها: «ألا وإنَّ الدَّعِيَّ إِنَّ الدَّعِيَّ قد ركز بين اثنين، بين السُّلْطَةِ وَهُنَّا هُنَّا ذَلَّةٌ»<sup>(١)</sup>.

#### خواطر عاشورائية:

- ١- لا يقاس الإمام الحسين عليه السلام بالثوار بل بالأنبياء، ولا تقاس كربلاء بالمدن بل بالسماءات، ولا تقاس عاشوراء بحوادث الدهر بل بمنعطفات الكون.
- ٢- ثوراتنا تمثل قوّة: عمقها عاشوراء، نداوها كربلاء أرضي بامتدادها الجغرافي الواسع، وعاشوراء زماني غير مُحَجَّم بوقت محدد، بل هو صرخة حسينية زينبية مدوّية حتى يوم القيمة، فعاشوراء تمثل مصيبة كبرى حيث اهتزّ لها عرش الرحمن.
- ٣- عاشوراء تربّي أطفال الإسلام على حب الحق والدفاع عنه، وعدم قبول الإذلال والطغيان.
- ٤- كل ما لدينا من إيجابيات في مفاصل حياة الأمة هو من عاشوراء سيد الشهداء عليه السلام.
- ٥- إن كل الأعمال العبادية التي يعيشها الإنسان في أي موقع من مواقع الكراة الأرضية، هو مدین بها لتضحيات الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء.
- ٦- يقولون عادت إلينا عاشوراء. فنقول: متى رحلت عن قلوبنا المدمرة لعُظم مُصابها، حتى تعود!! ومتى توقفت الروح عن نداء وصرخة العباس المدوّية ليوم القيمة!.
- ٧- قالولي أمر المسلمين السيد علي الخامنئي عليه السلام: "لو لكننا في مدرسة

عاشراء، لسارت الدنيا نحو الصلاح بشكل سريع جداً، ولمهدت الأرض لظهور ولی الحق المطلق".

-٨- لا تستغرب من جرائم الدكتاتوريات الظالمة هنا وهناك، وفي كل الأزمنة، فالقوم أبناء من منع الحسين علیه السلام من الصلاة يوم عاشوراء، فمن سفك الدماء ليس عصيّاً عليه أن ينبع حق الله.

-٩- لعن الله من تسبب في إخراجك يا أبا عبدالله من بيت الله الحرام، وقتلك في يوم عاشوراء، وقتل أطفالك وإخوتك وشبابك وأنصارك وسبى زينب زينب الموراء والأيتام وروّعهم.

-١٠- أن تستشعر روحانية عاشوراء في يوم عظيم كيوم عرفة هو توفيق من الله الكريم.

-١١- عاشوراء تولد وتشتب اليقين بالموت وأنه حق لا يمكن اجتيازه أو الفرار منه، وهذا الاعتقاد يكون مقدمة لعشق الشهادة في سبيل الله. أما الذي من لم يتيقن بالموت؛ فإنه لا يمكن أن يكون موافقاً للتفكير بالشهادة.

-١٢- جميع قوافل الحجيج تتوجه إلى عرفات ومني، إلا قافلة واحدة يتقدمها سيد الشهداء علیه السلام تنطلق باتجاه كربلاء لتكون عاشوراء الدامية ويهتز لها الكون والضمير الإنساني الوعي في كل العالم.

-١٣- في العاشر من المحرم وفي كل زوايا الكون هناك صدى ينادي: "هل من ناصر ينصرنا؟" والثوار هم الملبيون لاستغاثة أبي عبدالله الحسين علیه السلام في كل الأزمنة وفي كل موقع من موقع العالم لاعتقادهم بأنّ الحسين علیه السلام ملهم القلوب والنماذج المثالى الذي يستلهم منه دروس الإباء والفداء لإنفاق الحق وتفعيله في كل ساحات الحياة وأبعادها.

-١٤- في معركة عاشوراء من العبر ما تحتاج إليها البشرية في جميع انطلاقاتها

وحراًكها الواسع فباسم الحسين ع تطلق البشرية إلى الميادين والساحات بالصبر والصمود الحسيني الشائر، لإنقاذ الحق وإيقائه وتفعيل لوازمه المتصلة به في كل بُعد من أبعاده ومفاصله.

### عاشراء مدرسة لعشاق الحسين ع :

إنّ من المراسيم الحسينية التي تقام كل سنة بصورة أكثر من سابقتها وهي مفعمة بالدموع والبكاء الوعي للرحمتها، لو تتبعناها بنظرية إجمالية منذ ابتكاها في تلك الحقبة الزمنية المؤلمة التي كان سببها تغطّر الأمويين لشهدنا تغييرات عظيمة من حيث ملامحها السياسية في كل مفصل من مفاصل الأمة الولائية المؤمنة فقد بثت روح عاشوراء الملحمية الحركية الحسينية في جميع انطلاقاتها وأذماتها ومواقعها وهي تنتج وتسليهم من مسيرة مدراستها الرائدة منهاج التقديم والتطوير، والتغيير السياسي والاجتماعي، وأساليب معارضة الدكتاتوريات والطغاة الظلمة، والعمل على إسقاط الحكومات الجائرة، والانطلاق في سبيل تكوين حكومة إسلامية ولائية.

فمدرسة عاشوراء كانت ولا زالت المصنع لمسيرة الثورات حيث تبثّ فيهم الشعارات الثورية كـ "هيئات ملأ الذلة"، وأنّ الحياة عقيدة وجهاد وغيرها من الشعارات المقتبسة منها. فكان النداء: (كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء).

نعم، حقاً وواقعاً كانت عاشوراء ملحمة ونهضة، فالإمام الحسين ع حين أراد آنذاك الحركة من مكة إلى العراق قال: «من كان باذلاً فينا مجتهه وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا»<sup>(٢)</sup>، وأكد ذلك قرب كربلاء: «ألا وإن الداعي ابن الداعي قد رکز بين اثنين، بين السلة والذلة وهيئات ملأ الذلة»<sup>(٣)</sup>، ووقع أصحاب الحسين ع رکز بين اثنين، وبين السلة والذلة وهيئات ملأ الذلة، وأنصاره تلك الوثيقة فقالوا: "لو علمت إنني أقتل فيك ثم أحيا ثم أحرق ثم أذرى، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارتك حتى ألقى حمامي دونك"<sup>(٤)</sup>.

كما توجّت عاشوراء في الطريق إلى كربلاء بعبارة علي الأكبر: "إذا لا نبالي

بالموت<sup>(٥)</sup>.

وأذهل هؤلاء الأصحاب عدوهم برجزهم في الميدان وهم يطلقون تلك العبارات التي تعكس مستوى صمودهم. ثم جاء دور العقيلة زينب عليها السلام التي جلسَت عند مصعد أخيها الإمام الحسين عليه السلام لترفع جسده الطاهر متضرعاً: "اللهم قبل منا هذا القربان"<sup>(٦)</sup> وبعد ذلك الحدث المؤلم خاطبت يزيد الجرم في مجلسه: "والله لا تميت وحياناً ولا تمحو ذكرنا"<sup>(٧)</sup>.

عاشوراء تلفت أذهاننا إلى ضرورة القياسة الولائية أمام سعي أعداء الإسلام للقضاء على هذه المدرسة العاشورائية الحسينية التي تهدّد مصالحهم غير المشروعة من خلال إفراط المراسم الحسينية من مضمونها ومصادرتها دروسها وإيداعها في وادي النسيان، وعدم الاستفادة منها والاستنارة بها، حيث إنّ عاشوراء مليئة بالدروس وال عبر بغية إنقاذ الشعوب المستضعفة أينما كانت على وجه الأرض زماناً ومكاناً. ولذا على جميع الموالين المؤمنين الذين عرفوا بأنّ مجالس العزاء على أبي عبدالله تعتبر مدرسة كبرى، تقف وراء الوعي واليقظة للناس لبقاء الإسلام وديومته، فقد خلقت لديهم حالة من الانسجام والوئام لجعلهم قدرة ذات شوكة في المجتمع الحسيني وعلى هذا الضوء يمكننا القول كما عبرت بعض الروايات عن إقامة هذه المجالس بإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «إنّ تلك المجالس أحبّها فأحيوا أمرنا»<sup>(٨)</sup>، ولذا قال السيد روح الله الموسوي قمّشل: «ما ينبغي أن ندركه جميعاً أن ما يوجب الوحدة بين المسلمين هذه المراسم السياسية، ومراسم العزاء على الأئمة الأطهار ولا سيما سيد المظلومين أبو الأحرار الحسين عليه السلام هي التي حفظت هوية المسلمين ولا سيما الشيعة الإمامية»<sup>(٩)</sup>.

عاشوراء هو القرآن!

لا شك ولا ريب في أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو القرآن ناطق ومطبق ومفعّل لما

في القرآن الكريم.

وهو آية الحق والرشاد لجميع الإنسانية، وأتشرف بنقل بعض من المقاصد اللطيفة المشتركة بين كتاب الله الكريم والإمام الحسين الشهيد عليهما السلام من كتاب المصابيح الحسينية بتصرف.

١- القرآن الكريم: هدى للناس إلى الديانة الحالدة وهي الإسلام ﴿وَبَيْنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾<sup>(١)</sup>، والإمام الحسين عليهما السلام هدى للناس من أصحاب الفطرة النقية، والتي تنصاع للحق والحقيقة في كل واقعها، ف تكون عين الإيان، وأجلاء بأنصاره على طول المسيرة وامتداداتها الواسعة، فالمراد من كون الإمام الحسين عليهما السلام هدى للإيان هو كونه دلالة ورمزاً ومرشداً للولائيين ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.  
والمراد من المتقيين لغة: الوقاية، وهي مأخذة من الاتقاء والمحجز والمحصن بين الشيئين.

فالقرآن الكريم ومصداقه الناطق كلاهما حقيقة واحدة، فإذا قلنا: القرآن الكريم فإنه يعني الحسين وكذا العكس.

والمراد من كون عاشوراء هي الفرقان أي: أنه يقتلع من البشرية جذور الاستعباد للدكتاتوريات ويبعدهم عن عبادة المال.

وفي عاشوراء قياماً ومقاييساً يميز بها الحق والباطل، وهذه القيم والمقاييس تقتضي من الأحرار لفظ الباطل والظلم ونصرة الحق.  
إذَا، فعاشوراء أجدر مدرسة لفهم القرآن الكريم الذي يستهدف غاية واحدة هي توفير الهدى للناس.

وقد يسأل قارئي الكريم لماذا الهدى؟

فنقول: لأنّه كما تعرفون أن الحياة يتقاسمها الخير والشر، والصحيح والسقيم، والصالح والطالع، فكيف يميز الإنسان الخير عن الشر؟ أوليس بقياسه وبميزانه وبقيمه،

وهي تتمثل في فرقان يفرق بين الحق والباطل، ومن هنا أنزل الله الفرقان.

وهنا نكتتان:

**الأولى:** أن عاشوراء تعتبر دليلاً للحق وإنها تعتبر حاجزاً وحصناً عن اختراق الباطل بكل أشكاله وأنواعه.

**الثانية:** أن عاشوراء قد أتمَ الله بها الحجّة على الناس كل الناس ولكن الأهواء تحيد بالناس عن طريق الحق.

يقول الإمام الخميني قده:

"قد قضى الإمام الحسين سيد الشهداء سلام الله عليه عمره الشريف في النهي عن المنكر والتصدي للظالم والمفاسد التي أشاعها الحاكم الجائر..."

ضحي بعمره الشريف من أجل مقارعة حكومة الجور وسيادة المعروف وإزالة المنكر..."

وهكذا الإمام صاحب الزمان سلام الله عليه وأرواحنا فداء ينهض من أجل ذلك..

إن جميع الأنبياء الذين نهضوا في هذا العالم المادي لا يعلم أسرارهم الغيبة إلا الله، تصدوا للطاغوت منذ البداية وقد شكّل ذلك طليعة أهدافهم.

ويجب أن يكون ذلك قدوة للمسلمين الذين هم مسلمون حقاً ومتمسكون بنبأ الإسلام وأهل بيت العصمة والطهارة، وكذلك لأتباع الأديان الأخرى الذين ينبغي لهم الاقتداء بأبيائهم وترجمة سيرتهم....

فما الذي قام به موسى<sup>عليه السلام</sup>؟ وما هي سيرته؟ وما الذي فعله إبراهيم الخليل<sup>عليه السلام</sup>؟ وما

هي سيرته؟ [فجميع] الأنبياء نهضوا لمواجهة الجور والظلم".

نعم فقد استعرض القرآن الكريم مجموعة من الحالات الإصلاحية التي قام بها الأنبياء في مختلف مجالات الحياة ومن هذه الأمثلة قصة نبي الله شعيب عليه السلام وكيف حارب الفساد الاقتصادي المستشري في مجتمعه حيث أخذوا ينقصون المكيال

والميزان فنهاهم عن ذلك بعد أن أمرهم بعبادة الله واتباع مناهجه في الحياة الاقتصادية، وحدّرهم من أن الرفاه قد يزول بسبب ظلمهم، ويحيط بهم عذاب الله كما نهاهم عن الفساد وأمرهم بالقسط وذكرهم بأنّ عليهم الانتفاع بهدي الله ورسالته وأكّد بأنه ليس سوى مبلغ للرسالة، وليس وكيلًا عنهم، بيد أنهم رفضوا دعوته وإرشاداته الإصلاحية في ميدان عملهم بالرغم من قبولهم لشخصه، فبعد أن اعترفوا بأنه صاحب دعوة إلهية وأنه حليم رشيد لم يقبلوا بأن يتدخل في شؤونهم الوضعية، وأن يأمرهم بترك عبادة ما كان يعبده آباؤهم أو تحديد حریتهم في أمور اقتصادهم.

﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِ قَبْيلَةً مَدْيَنَ﴾ ابن إبراهيم ﴿أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتُكُمْ بَيِّنَةً مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ﴾<sup>(١٢)</sup> فإني أراكم بخير بما أنعم الله تعالى عليكم من المال وسعة الرزق ورخص الأسعار والمحض، فلا حاجة لكم إلى الدنيا واحتلال السرير من أشياء الناس ظلماً وعتواً للتزدادوا غنى وثراء، أو إني أراكم ببرؤية خير وأنظر لكم نظر الناصح المشفق الذي لا يصاحب نظره إلا الخير ولا يرد بكم غير السعادة ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن لم تتبواوا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١٣)</sup> لا يفلت منه أحد ولا ينفع فيه توبة ولا شفاعة، وهو يوم القيمة أو يوم نزول عذاب الاستئصال<sup>(١٤)</sup>.

٢- إن القرآن الكريم كلما نزلت آية من آياته كانت شفاء عن كل داء أصاب الأمة، فهو شفاء من الركود الفكري، وإرشاداته تنير الظلمات.

قال تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾<sup>(١٥)</sup> طبعاً كما يعرف متابعي الكريم أن كلمة ﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى ﴿مِنَ الْقُرْآنِ﴾ ليست تبعيضاً بمعنى بعض لتدل على أن بعض القرآن شفاء، بل هي بיאنية تدل على أن كل ﴿مَا﴾ ينزل من القرآن **هُوَ**

**شِفَاءٌ** عامٌ لكل جوانب وأبعاد ومفاصل الحياة، للذين يستفيدون من نوره، وهم فقط أولئك الذين فتحوا له نوافذ أرواحهم، وتوجهوا نحوه بروح سالمة نقية.

حيث يتوجهون بوعي وتدبر للآيات القرآنية التي تحمل صوراً إنذارية من مشاهد يوم القيمة، وهلاك السابقين ليقطع الاسترسال في الغفلة وأحلام اليقظة، وفي هذا السبيل يضع شرائع مفصلة لتنمية المواهب الخيرة في القلب بعد تطهيره وتنقيته من أمراض الاستكبارية والطغيان والحسد والحدق والعجب والغرور وغيرها.

إذاً القرآن الكريم يعالج تفكير الإنسان وتصوراته المختلفة من السلبيات إلى الإيجابيات فلا يتركه فريسة للأخطاء المنهجية لفهم الحقائق وذلك عبر تقادمه وإرشاده للمنهج الصحيح.

مما تقدم عرفنا:

أنّ القرآن شفاء للأمراض الاجتماعية حيث يعطينا برنامجاً في الاقتصاد والسياسة والجهاد والدفاع عن الحق والحقيقة الولائية زماناً ومكاناً، وهكذا في التربية والأسرة لنجح به جميع المشاكل المرضية ولا يدع شاردة أو واردة بلا حكم واضح.

جاء في الحديث المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّمَا الشِّفَاءُ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ، لِقَوْلِهِ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ لِأَهْلِهِ لَا شَكَ فِيهِ وَلَا مُرْيَةٌ، وَأَهْلُهُ أُمَّةُ الْمَهْدِيِّ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾»<sup>(١٦)</sup>.

عاشوراؤنا الحسيني على مدى الدهور والأزمان هو شفاء للأمراض الباطنة وتركته شفاء للأمراض الظاهرة.

## الهوامش:

- (١) ميزان الحكمة ج ٣، رقم الحديث ٦٥١٧.
- (٢) أعيان الشيعة، محسن الأمين ج ١، ص ٥٩٣.
- (٣) الاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٢٤٢.
- (٤) أعيان الشيعة، محسن الأمين ج ١، ص ٦٠١.
- (٥) بحار الأنوار ج ٤٤، ص ٣٦٧.
- (٦) مقتل الحسين للمقرم ص ٣٠٧.
- (٧) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣٣-١٣٥.
- (٨) وسائل الشيعة ج ١٠ ص ٣٩١-٣٩٣ ح ٢.
- (٩) وصية الإمام الخميني السياسية.
- (١٠) سورة البقرة: ١٨٥.
- (١١) سورة البقرة: ٢.
- (١٢) سورة الأعراف: ٥٩.
- (١٣) الآية نفسها.
- (١٤) تفسير الأمثل (بتصرف)، والاستفادة من كتاب بصائر عاشوراء للشيخ محمد المحفوظ.
- (١٥) سورة الإسراء: ٨٢.
- (١٦) تفسير الصافي ج ٣ ص ٢١٣.

مخطوطة العدد ١٤٣٧ هـ - ١٥٠٣ م - المطبعة والكتابون - السنة العدد ١٣٣

الله أعلم

٧٠

# الشعائر الحسينية بين النص والمحدور\*

الشيخ حسن هلال الزاكى

يقصد بالشعائر الحسينية مجموعة الممارسات والفعاليات الحسينية التي حثّ عليها أهل البيت عليهم السلام بالنص الخاص أو النص العام، والتي أراد من ورائها أهل البيت عليهم السلام توظيف المظلومية الحسينية<sup>(١)</sup>، ومؤسسة كربلاء لبناء وصيانة الدين الحمدي الأصيل وتنقيته من الشوائب التي لحقت به.

فلا يخفى أنّ الشعائر المنسوبة إلى الإمام الحسين السبط الشهيد عليه أفضل الصلاة والسلام هي تلك الذكرى لنهاية الإمام الحسين عليه السلام، النهاية التي كانت الضمان لبقاء الدين، ولحفظ الشريعة السماوية، وكانت جنبة الإعلام والتبلیغ لنهاية الحسين عليه السلام وبيان الأهداف منها<sup>(٢)</sup>.

ويقيم أتباع أهل البيت عليهم السلام ومحبّوهم هذه الشعائر قدماً قديماً واقعة الطف الحالدة، فهي متأصلة في النفوس أصللة المبادئ التي ثار الإمام من أجلها، وقد مرّت هذه الشعائر بأطوار مختلفة جعلتها تخفّ تارة وتعلو أخرى، إلا إنّها بقيت برونقها التي اكتسبته من دماء سيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه عليهم صلوات الله.

### أولاً: المراد من الشعائر الحسينية

لفظ الشعائر ورد في كتاب الله العزيز بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(٤)</sup>، والمتأمل في كل الآيات الأربع في القرآن الكريم التي تناولت هذا اللفظ سيجدها آيات مختصة بفرضية حج بيت الله الحرام، كقوله تعالى:

فبملاحظة الأهداف العظيمة التي خرج من أجلها الإمام الحسين ع عليهما السلام في سبيل إحياء هذا الدين القوم، وتأسيس أركان الإصلاح في أمّة جده ع عليهما السلام، تجد أنّ هذه الشعائر شموخاً ونقاءً وعطاء بلا حدود، فنحن بقدر ما يهمنا أمر هذا الدين وبقدر ما نمتلك من الغيرة عليه تهمنا مسألة الشعائر الحسينية وصيانتها، لأنّها لم تنشأ إلا من الغيرة الحسينية على الإسلام الأصيل، فممّا يدعونا إلى التركيز على الشعائر الحسينية كونها محطاً لأيدي الطغاة على مدى القرون السالفة؛ لأنّهم "اتبهوا إلى أهمية دور الشعائر الحسينية في حياة المسلمين، ولذلك نجد أنّ الشعائر الحسينية في كل الأدوار التاريخية كانت معرضاً للعدوان، ولو كانت الشعائر الحسينية لا تحمل مضموناً ثقافياً وسياسياً لما تعرضت إلى هذا المقدار من العدوان، ولتركت كما تركت الصوفية التي تقيم شعائر معينة، فهم يجلسون في مكان ما ويؤدون طقوسهم المعينة"<sup>(٣)</sup>. ولكن أسلوب المواجهة في هذا العصر تغير لظروف وموازين القوى في العالم فمواجهة الشعائر الحسينية اليوم تتم عبر أسلوبين:

الأول: محاولة إفراغ الشعائر من داخلها، وجعلها مجرد ممارسات شكليّة.

والثاني: محاولة ضرب هذه الشعائر عبر التشويش في القيم والمفاهيم الإسلامية البدئية من خلال الإعلام المأجور.

من هنا ستفتتح أخي العزيز على ثلاثة عناوين في هذه المقالة. أولاًً ما المراد من الشعائر الحسينية، ثم مشروعية هذه الشعائر المباركة، وثالثاً في طرò العنوان الثاني في المقام.

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾<sup>(٥)</sup>، ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾<sup>(٦)</sup>، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْلِلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَادَةَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾<sup>(٧)</sup>.

لذلك أوضح أحد المحققين وهو في صدد التعرض إلى الآية: "أنَّ الظاهر ممَّا ذكره أهل اللغة والتفسير أنَّ الشعائر محتملةً لمعانٍ أربعة، أحدها: أن يراد علامات دين الله وطاعته عموماً، فيشمل سائر المحترمات، وهذا على كونه جمع الشعار وهو العلامة والإضافة إلى الله يكتفى فيه بأدنى مناسبة. ثانيها: أن يراد به البدن خاصة. ثالثها: أن يراد مناسك الحج وأعماله جميعاً. رابعها: أن يراد به مواضع مناسكه ومعالمه"<sup>(٨)</sup>. وهذا نشأ الاختلاف في المراد من الشعائر في الآية المباركة، فهل الشعائر مختصة بشعائر ومناسك الحج أم لا؟

**ولعلَّ سائلاً يسأل: ما الثمرة من هذا الاختلاف؟**

فيجب عليه أنَّ الكثير من العلماء عادةً ما يستدلُّون بآية التعظيم للشعار بوجوب التعظيم أو استحبابه في موارد عديدة في الفقه<sup>(٩)</sup>. وهذا الاختلاف ألقى بظلاله على الشعائر الحسينية في المفهوم والمصاديق تبعاً لاختلافهم في المراد من لفظ الشعائر في الآيات المباركة. لذلك سنعرض لما يفهمه جمع من الأعلام من الشعائر الحسينية وحدود تطبيقها في المحاور الآتية.

### **علاقة الشعائر الحسينية بشعائر الله تعالى**

هناك قولان لدى العلماء في إطلاق الشعائر الحسينية:

**الأول:** إنَّ الشعائر الحسينية من شعائر الله، ولم تسمَّ بالحسينية إلا لأنَّها مرتبطة بالإمام الحسين بن علي عليهما السلام، فهي كغيرها من الشعائر الإلهية المتمثلة في فروع الدين ومقدساته، فتجرى عليها شروط العبادات أيضاً.

وهذا في الحقيقة تابع لما سبق من أنَّ لفظ الشعائر له (حقيقة شرعية)<sup>(١٠)</sup>؛ بمعنى

أن لفظ الشعائر لما ورد في نصوص الشريعة فالشارع المقدس هو المرجع في تعين المعنى المقصود من شعائر دينه؛ لأنّه قد أضيف لفظ الشعائر لله تعالى في القرآن الكريم فخرج عن معناه اللغوي، وعليه فلا يستفاد شيء لم تصرح به الشريعة، نعم من خلال العرف ولللغة يستفاد من (الشعائر) معنى، ولكن هذا من دون إضافته إلى الله تعالى كما لو استفدنا معنى (الحكم) دون قولنا (حكم الله)<sup>(١١)</sup>.

الثاني: إن الشعائر الحسينية أطلق عليها ذلك؛ لأنّها مصاديق وعنوانين لتعظيم شعيرة الله (الإمام الحسين علّيّه السلام) فهي مصاديق لتعظيم الشعائر لا مصاديق للشعائر، وهذا ما نقصد به أنّ معنى الشعيرة راجع إلى معناها اللغوي العام -وليس له حقيقة شرعية- بمعنى العلائم والأماراة والمعالم والعلامة على دين الله والمظهر لشرعيته والدليل والمعرّف بدينه، فكلّ شيء كان علاماً على دين الله فهو من شعائر الله، وبذلك يثبت هذا المعنى الواسع من لفظ شعائر الله<sup>(١٢)</sup>، الذي من مصاديقه الشعائر الحسينية<sup>(١٣)</sup>، وفي الواقع لكلّ واحد من الفولين أدلة ومناقشات تناولها العلماء في محالها، لم نتعرّض إليها تركيزاً على مطلوبنا.

#### وثرمة الخلاف هذا:

تشجّلّى الثمرة من هذا الاختلاف بشكل كبير في سعة الشعائر الحسينية وحدوديتها، فهل ما ورد من نصوص للشعائر الحسينية كالأحاديث التي تثبت استحباب البكاء على سيد الشهداء علّيّه السلام وإقامة المجالس وزيارة الإمام الحسين علّيّه السلام كانت بقصد حصر مصاديق محددة قتل الشعائر الحسينية؟ وعليه لا يمكن استحداث أيّ شعيرة غير واردة بالنصوص. أم كانت بقصد التمثيل فقط لمصاديق تعظيم الشعائر؟ فتتسع الشعائر لكلّ ما يصدق عليه أنه تعظيم للإمام الحسين علّيّه السلام. وبعبارة أدقّ: هل ما ورد من الشعائر كان على نحو الموضوعية أو مجرّد التمثيل بمصاديق في الروايات والنصوص الشرعية؟ أيّ بما هي طريق إلى تحقيق الشعائر،

وبالتالي تتسع دائرة الشعائر لتشمل حتى الأمور التي طرأة علينا في العصور المتأخرة (كضرب السلاسل الحديدية (الزنجيل)، والمراسم الحسينية، أو التمثيلات لقاتل يوم عاشوراء ونحوها) !!

هذا بالضرورة سينعكس على مشروعية الشعائر الحسينية، وبالخصوص التي لم يرد فيها نصٌّ بعينها، لذلك صارت الحاجة ماسةً للسؤال عن مشروعية الشعائر الحسينية نظراً إلى مصاديقها، وإلا ففي أصل الشعائر الحسينية لا شك في كونها امثلاً لسنة رسول الله ﷺ، كشعيرة البكاء التي أقامها عليه رضي الله عنه وأهل بيته عليهما السلام، بل قد بكت الأنبياء عليهما السلام والملائكة على مصيبة الحسين عليه صلوات الله وسلامه عليه.

### ثانياً: مشروعية الشعائر الحسينية:

لا شبهة في كون الشعائر الحسينية من الأمور العبادية التي ثبت استحبابها شرعاً، لذلك أشار بعض الفقهاء إلى حرمة الرياء فيها باعتبار أنّ الرياء "حرام في العبادات وبطل لها، سواء كانت العبادة واجبة أو مستحبة، كإقامة عزاء سيد الشهداء عليه السلام" <sup>(١٤)(١٥)</sup>. بل الشعائر الحسينية وإن كانت مستحبة في نفسها، إلاّ أنها من جهة إقامة الحق ونشر المداية واجبة بالوجوب الكفائي، وقد تتعدد الحيثيات إلى أكثر من ذلك فإنّ الضرب بالسلاسل -مثلاً- على تقدير عدم ورود النص فيه بالخصوص إلاّ أنه من حيادية إظهار المزعزع مستحب، ومن حيادية إقامة ذكر أهل البيت عليهما السلام وحقانيتهم ومظلوميتهم واجب كفائي <sup>(١٦)</sup>.

إذا اتّضح هذا فلا غبار على عبادية هذه الشعائر المباركة، فلا بد من أن نشير إلى وجود قاعدة في الفقه الإسلامي مفادها أنه لا يمكن أن يتقرّب العبد الله بأمر مرجوح في العبادات، بل لدى بعض الفقهاء حتى بالبايج إذا لم يكن راجحاً لا مجال لأن يكون عبادة محبوبة لله تعالى، وهذا ما اختاره السيد الشهيد الصدر قائم حيث

استقرب "الجزم بأنَّ عبادية العبادة متقومة بركينين: الأول ثبوت الداعي الرحماني، والثاني عدم ثبوت الداعي الشيطاني...".<sup>(١٧)</sup>

نتيجة لما سبق لدينا عدّة آراء نسميها بما أخذته من نظرة تجاه المعيار الذي يمكن أن يطلق على هذا الأمر أَنَّه من الشعائر أو أَنَّه خارج عن الشعائر الحسينية، وبعبارة أخرى المناط في تحديد مصاديق الشعائر الحسينية. فلدينا ثلاثة مذاهب في هذا الصدد، ومنشأً تولّد هذا الاختلاف لديهم في ذلك، هو نتيجة قول الكثير من العلماء أَنَّ لفظ الشعائر له حقيقة شرعية، حيث تتفرّع بناءً على ما سبق مسألة وقاعدة في الفقه الإسلامي يطلق عليها (توقيفية العبادات) وتعني أَنَّ الأحكام الشرعية تعبدية لا تصاب بالقياس والاستحسان وحكم العقل، بأن تكون متلقاة من الشارع أَي متوقفة على صدور النص فيها من الشريعة المقدسة، فلا ينقص ولا يزداد في العبادات، وإنما صار من أهل البدعة والتشريع في الدين، فالشيء الذي تكون فيه قربة إلى الله تعالى ونعبد به هو ما دل عليه الدليل الشرعي، أمّا ما عداها فلا يكن التعبد به إلى الله؛ لأنَّه لم يرد فيه شيء من الشرع، وبالتالي إذا جاء به الإنسان بعنوان العبادة فيكون بدعة وكل بدعة ضلال، وكل ضلال في النار.

ومن هنا اختلفوا في مصطلح الشعائر الحسينية ومصاديقه هل هي توقيفية نعتمد فيها على ما ورد من الشارع أم تتسع الدائرة للكثير من الأمور لتدخل كمصاديق لعنوان الشعائر الحسينية، باعتبار أَنَّه لا حقيقة شرعية لهذا العنوان؟

فهنا نتعرض إلى ثلاثة من الآراء التي استُلْتَ من كتب العلماء

والمحققين:

### الرأي الأول: الشعائر الحسينية منصوصة:

يبتئنُ هذا القول على أَنَّ الشعائر الحسينية متعيّنة بما عيّنه النص الشرعي من المعصومين عليهما السلام، لذلك صنف أحد العلماء وهو سماحة السيد محمد الترحيبي صاحب

الزبدة الفقهية<sup>(١٨)</sup> مُصنفًا وعدًّ فيه الشعائر الحسينية وحصرها في ثلاثة عشرة شعيرة، وهي: (البكاء، والتباكى، والندب، والجزع، وجعل العشرة الأولى أيام حزن وعزاء، وجعل يوم العاشر يوم مصيبة وبكاء، ولعن قتلة الحسين علّيهم السلام بعد شرب الماء، ولعن قتلة الحسين مطلقاً، والدعاء عند ذكر الحسين علّيهم السلام، وزيارة الحسين علّيهم السلام، وزيارة حرم سيد الشهداء والتبرك به والاستشفاء بتراب حرمته، وإنشاد الشعر فيه علّيهم السلام، وذكر بعد ذلك الأخبار الكثيرة عن أهل بيته العصمة علّيهم السلام الدالة على هذه الشعائر بخصوصها).

ولعله بناءً على هذا الحصر للشعائر في هذه الأمور عقبها بتنبيه في آخر كتابه القيّم، وذكر فيه أنه: "يشترط في ترتب ثواب هذه الشعائر أن يكون العامل بها مخلصاً، بمعنى صدورها منه بداعى التقرب إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُون﴾<sup>(١٩)</sup>، بالإضافة إلى أن البكاء على الإمام الحسين بداعى السمعة من مصاديق الرياء"<sup>(٢٠)</sup>.

#### الرأي الثاني: الشعائر الحسينية منصوصة وغير منصوصة:

ويفترق هذا الرأي عن السابق، بحيث يرى أن الشعائر الحسينية لا تقتصر على ما هو منصوص، بل يمكن أن تتسع دائرة الشعائر الحسينية من خلال المحدود والأطر الموافقة لنهج ورسالة الشعائر الحسينية، وذلك اعتماداً على الآية الشريفة: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَفْوِي الْقُلُوب﴾<sup>(٢١)</sup> فهي تشير إلى كون الحسين الشهيد علّيهم السلام ثار الله وابن ثاره وهو شعيرة من شعائر الله تعالى، وتعظيمه تعظيم لشعائر الله تعالى، كما أنه وردت نصوص عامة تدعو إلى إظهار الحزن على الحسين علّيهم السلام والتظلم له في أيام عاشوراء.

ومن أبرز من أخذ بهذا المسلك شهيد المحراب آية الله السيد محمد باقر الحكيم قدس، حيث قسّم الشعائر الحسينية إلى شعائر منصوصة وشعائر مبتكرة،

فالأولى تتصف بالثبات والأصلة، والثانية: تحتاج لأطر وحدود؛ فلذلك نصّ شهيد  
الحراب قدّش عليها.

قال السيد قنديل: "القسم الأول: الشعائر الحسينية المنصوصة، وهي التي ورد فيها  
نصّ ثابت وصريح عن أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام)، وبذلك فهي تتّصف  
بالثبات بحسب الأداء"<sup>(٢٢)</sup> وقد حصرها سماحة السيد قنديل في ثلاث شعائر رئيسية  
وهي (البكاء على سيد الشهداء، وزيارة عليه عليه السلام، وعقد المجالس الحسينية).

أما "القسم الثاني": وهي الشعائر الحسينية التي لم يرد نصّ فيها عن أهل البيت  
(عليهم الصلاة والسلام) لا على مستوى القول أو الفعل أو الإقرار بل تم ابتکارها  
واختراعها من قبل أتباعهم، مثل...شعائر تشبيه وتمثيل مشاهد المأساة التي جرت على  
الحسين (عليه الصلاة والسلام)، أو المسيرات الشعبية، وغيرها من الشعائر التي يمارسها  
المسلمون من أتباع أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) في الأدوار المختلفة، أو التي  
يمكن أن يتم اختراعها في المستقبل"<sup>(٢٣)</sup> فهذا النوع يمكن أن يتغير حسب مقتضيات  
الظروف والأوضاع والأهداف التي يراد منها خدمة شعائر أهل البيت عليه السلام فقد نجد  
في منطقة ما أسلوباً يؤثّر فيها، وفي منطقة أخرى نجد أسلوباً آخر أكثر تأثيراً.

ولأنّ هذا القسم - أي الشعائر المبتكرة - لم يرد فيه نصّ من الشارع، فأورد  
سماحة السيد قنديل بعض الأطر والحدود التي من شأنها أن تكون هذه الشعائر  
المبتكرة تصبّ في أهداف النهضة الحسينية في الشكل والمضمون ولا تبتعد عن  
الوجهة التي أراد الإمام الحسين عليه السلام تحقيقها من خلال نهضته المباركة، فهناك  
نقطتان تحددان الإطار العام للحفاظ على سير الشعائر وفق القاعدة القرآنية والأطر  
السماوية:

"الأولى: المبررات الشرعية لأداء مثل هذه الشعائر، ولعلّ أفضل المبررات لذلك  
هو أنّ أيّ ممارسة أو أداء يمكن أن يكون تعبيراً عرفيّاً عن تعظيم الحسين أو إظهار

الحزن عليه، خصوصاً إذا كان الأسلوب والممارسة متداولاً في زمن الأئمة (عليهم الصلاة والسلام)، أو كان تذكيراً عرفيًّا لل المسلمين بمصابه وأهدافه فهو أمر مشروع تصدق عليه القاعدة القرآنية في الشعائر.

الثانية: الحدود والأطر التي لا بد [من] أن تمارس فيه هذه الشعائر بحيث تكون مصداقاً للقاعدة القرآنية التي أشرنا إليها. فهذا النوع من الشعائر يختلف عن النوع الأول، فالنوع الأول نمارسه بعنوان أن شكله الخاص له نصٌّ، وبالتالي فهو يمثل عبادة يتعبد فيها الإنسان لله عز وجل، وهو خط ثابت لا يتغير. لكنَّ مثل هذه الأمور لا بد [من] أن يتم فيها الاجتهاد تحت نظر الفقهاء والعلماء، والذين يعرفون أهداف الحسين (عليه الصلاة والسلام) ومضمون ثورته؛ ليكون هذا العمل مقرّباً إلى الله عز وجل.

أما أن يخترع شيئاً وربما يكون مبعداً عن نهج الإمام علي عليهما السلام لما فيه انعكاسات منفردة للناس عن الحسين (عليه الصلاة والسلام) وفيه مضرٌّ على حركة الحسين (عليه الصلاة والسلام) فهذا يدخل تحت عنوان البدعة، ويتربّ عليه إثم كبير بدل الاستحباب<sup>(٤)</sup> والعياذ بالله.

الرأي الثالث: الشعائر الحسينية ليست توقيفية على النص مطلقاً؛ ويفترق هذا المسلك عن المسلكين السابقين، أما الأول فواضح، وأما الثاني فلأنَّ هذا الرأي يذهب إلى أنَّ الشعائر الحسينية دائرتها واسعة، باعتبار أنَّ الشعائر الدينية ليست لها حقيقة شرعية حيث لم تكن الأدلة تامة على ذلك، فكل الشعائر الدينية المستحدثة والمستجدة داخلة في الإطلاقات، وبالتالي فهي تابعة (للضوابط الشرعية)؛ وذلك لأنَّ الشعائر الدينية لم تكن محددة بصدق معين بحيث تنطبق على غيره، نعم هناك بعض العبادات محددة كالصلاه، حيث حدّد الشارع بدايتها بالتكبير، ونهايتها بالتسليم، وثلثها الركوع، وثلثها السجود، ولها كيفية معينة: أمّا إذا لم يحدّد الشارع كيفية معينة، فيستساغ إحياء الشعيرة بشرط كونها مباحة أو راجحة<sup>(٥)</sup> وهذه التقسيمات للشعائر الحسينية تشمل -كذلك- صور ونواحي الإعلام في

الشعائر الحسينية مثل لبس السواد، وهو الزيُّ المخاص المعبر عن الحداد والحزن، واستخدام الرایات والأعلام في الحسينيات والمواکب والشوارع العامة.

إذاً، أقسام الشعائر تتسع إلى كلّ ما هو مرسوم أو متّخذ، وما يُستحدث وما يستجدّ من صور وأشكال لإبراز الحُزن والتَّفجُّع، وإظهار التَّأسُّف والتَّأسيّ والمواساة لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فالتَّقسيم غير محصور طبقاً لعموم قاعدة الشعائر الدينية الشاملة للمصاديق المستجدة، لاسيما في دلالة نفس الأدلة الخاصة، فلا تنحصر بصاديق معينة كي يطالب الباحث بدليل خاص حول هذا النوع الخاصّ من الشعيرة أو تلك الشعيرة التي لم تكن في زمن الأئمّة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وهذا ما ذكرناه في البحث عن الجهات العامة في قاعدة الشعائر الدينية<sup>(٢٦)</sup>.

ومن يرى هذا المسلك سماحة آية الله الشيخ محمد سند البحرياني وآية الله السيفي المازندراني دامت أيامه حيث اتضحت نظريتها بأنّ الشعائر ليست توقيفية ويمكن استحداث الجديد إذا كان مباحاً أو راجحاً أو كان له علامية على القضية الحسينية أو تعظيمها.

ولكن لا بدّ من التنبيه:

أنّه في عمومات الشعائر والألسنة الأخرى عرفنا إيكال المصدق إلى العرف، وهذا لا يتقاطع مع قاعدة التَّوقيف، لأنّ العناوين المأخوذة في الأدلة ذات حقائق عرفية لا حقائق شرعية، وفي مثلها يقتصر في التَّوقيف على حكم العنوان دون المصدق.

فلا يعرض على أصحاب هذا الرأي بأنّ الشعائر الحسينية من الأمور العبادية أكان مستحبّاً أم واجباً على بعض الوجوه يتعارض مع ما اختاره صاحب هذا المسلك بأنّ مصاديق الشعائر عرفية وغير محصورة بالمنصوص، إذ لا يقصد من سلك هذا الرأي أنّه يجيز التدين بشيء إذا لم يكن على أساس أنه شرعي<sup>(٢٧)</sup> لأنّ

العادي لا يؤدّى إلا على أساس أنه من الشارع، وإلا فالجميع عموماً توقيفي من جهة الحكم والمحمول. هذا بالإضافة إلى أن العادات ذات حقائق شرعية، وفي مثلها لا بد من إعمال التوقيفية حتى على صعيد المصدق، بخلاف العناوين ذات الحقائق اللغوية كعنوان صلة الرحم وبر الوالدين فإن توقيفيتها تقتصر على الحكم وقيديه العنوان له دون ماهية العنوان، فما نحن فيه توقيفي لكن على حكم العنوان لا نفس المصدق.

وعليه فجميع هذه المسالك تصب في معنى عبادية هذه الشعائر وإن اختلف النهج في توسيعة مصاديق الشعائر الحسينية وتضييقها.

### ثالثاً: طرò العنوان الثانوي والشعائر الحسينية

ينبغي التعرّض إلى هذا الموضوع ونحن في صدد الحديث عن الشعائر الحسينية؛ لأنّه يحدّد لنا الدائرة التي يمكن من خلالها تفعيل الشعائر الحسينية في المجتمع تبعاً لكل زمان، بما فيه من الأعراف والأسلوب والمناهج المستحدثة، وعليه ستقف أيها القارئ على مقامين الأول دور العنوان الثانوي في الفقه، والثاني يختص بالموقع الطارئة على قاعدة الشعائر الحسينية.

#### المقام الأول: دور العنوان الثانوي في الفقه:

قبل الولوج فيما يتعلق بحاجة البحث، من المناسب تقديم مقدمة للوقوف على حقيقة العنوان الثانوي وطبيعته في الفقه، فيقصد من العنوان الثانوي هو "الحكم الشرعي الواقعى الذى يثبت لموضوعه بسبب طرò بعض العوارض التى لو لم ت تعرض لكان الموضوع مقتضايا للحكم الأولى" <sup>(٢٨)</sup>، وعلى هذا فالحكم الثانوى في قبال الحكم الأولى، كما يمثل عادة بجواز أكل لحم الميتة فيما لو صار مضطراً للحفاظ على بقاء نفسه في الصحراء مثلاً، فواضح أن الحكم الأولى للميتة حرام ولا شك في حرمتها، لكن طرò عنوان (الاضطرار) تسبّب في تغير الحكم للحلّية.

وبهذا التقسيم للحكم الواقعى تتجلّى المرونة في الشريعة الإسلامية وفق الضوابط والمعالجات الشرعية وليس وفق الأهواء والرؤى الضيقّة، وهنا لا بدّ من التنبيه بأنّ "الحكم الثانوى لا يلزم أن يكون بنحو الرخصة والإباحة دائمًا فقد يتضمن الوجوب أو الحرمة".

إذاً فالحكم الثانوى لا يساوّق الحكم الاضطرارى<sup>(٢٩)</sup>.

فالسؤال الذي يوجه الآن: ما هي العوارض والموانع التي تعرض على موضوع الحكم الشرعي المرتبط بالشعائر الحسينية، بحيث تكون حاجة للحكم الأولى؟ وهذا ما سيُجاب عليه في المقام الثاني بإذن الله.

#### المقام الثاني: الموانع الطارئة على قاعدة الشعائر الحسينية:

إنّ هناك عدّة عناوين ينبغي ملاحظتها في تعين أمرٍ ما أو ظاهرٍ معينة في كونها من الشعائر أم لا، فإذا تحقّقت هذه العوارض والعناوين كانت مقتضيًّا لتبدل الحكم الأولى في مقامنا، فمنها:

الأول: يجب أن لا يكون العمل المطلوب وسَمَّه بعنوان الشعيرة حراماً؛ لأنّه لا يمكن التقرُّب إلى الله تعالى بما هو حرام، فلا يمكن أن تكون هذه الأمور من الشعائر، كالكذب، والغنا، واستعمال الآلات الحرام، نعم، يكفي أن تكون مباحة بالعنوان الأخى عند بعضهم، ولكن عند بعض الأعلام حتى المباح لا يمكن أن يكون مقرِّباً للمولى كما سيتوضّح.

الثاني: لزوم الضرر والإضرار. إنّ هذا العنوان قد وقع محلًّا للنقاش بين العلماء على مستوى المقدار من الإضرار بالنفس، وهل هو مطلق الضرر أو الضرر المعتد به؟ بعد الاتفاق على حرمة مطلق الإضرار بالنفس فلا شكّ في أنه إذا انطبق عنوان الضرر والإضرار -تبعاً لكلٍّ من الرأيين - في أمرٍ ما لا يمكن الحكم بشعيريته حينئذٍ.

الثالث: لزوم عنوان الهاش والتوهين والاستهزاء بال المسلمين، أو بالذهب، أو

بعظمة الإمام الحسين عليهما السلام وثورته، وعليه فهذا العنوان يعود أمره إلى العرف؛ ولذا قد يختلف من زمان لآخر، ومن مجتمع لآخر، ومع انتباق هذا العنوان لا مجال للحكم بكون الموضوع المنطبق عليه من الشعائر<sup>(٣٠)</sup>.

وـ"الهتك على صعيد اللغة" يعني: كشف المستور. وعرفاً: عندما يقال هتك المؤمن أو هتك المجتمع الديني مثلاً يقصد منه كشف نقاط الضعف فيه أو إذلاله وإهانته، والهوان مسبب عن الهتك يتصف به المتهوك إذا هتك، أو أحدهما مسبب عن الآخر، وبديهي أنّ ممارسةً توجب الهتك للمجتمع الديني لا تلتقي مع أغراض الشارع<sup>(٣١)</sup>.

الرابع: كون الأمر خلاف المصلحة الإسلامية.

"في بعض الحالات قد يرتأى الفقيه طبق الميزان الشرعي أن تُمانع تلك الشعيرة أو الشعائر، لا لأجل إنّها ممانعة في واقع الأمر، ولكن لأجل أنّ مثل هذا الجوّ الحالي قد يُضعف نفوس المؤمنين، وإن كان هذا التضييف ليس في محلّه، ولكن لأجل فترة وقتيّة لشعيرة مستجدة أو مستحدثة قد يرى من الصالح لأجل عدم إحداث الضعف والوهن في نفوس المسلمين والمؤمنين، قد يكون من الصحيح الممانعة، لا الممانعة من جهة الهتك أو الاستهزاء، بل في الواقع ممانعة بسبب ضعف المسلمين نفسياً تجاه هذه الشعيرة، فربما عدم ممارسة هذه الشعيرة يكون أثراً أفضل في النفوس، وتحديد ذلك يكون بيد الفقهاء الأمانة على الدين والعقيدة"<sup>(٣٢)</sup>.

وتبعاً لكل ما ذكر فالشعيرة المقصودة هي الأمور المنصوص عليها، والتي جاء تحديدها في الروايات، كالبكاء، والزيارة، وذكر فضائلهم، ومناقبهم، أو غيرها من الممارسات المتتجددة مع ضرورة كون الشعيرة المستحدثة مما ينطبق عليها عنوان إحياء أميرهم عليهما السلام، مع عدم تعلوها بائع من الموضع التي ذكرت.

فهل هذه الممارسة والسلوك المستحدث في ميدان إحياء الشعائر الحسينية تعتبر مصدراً للهتك والتوهين للمذهب ولشعائر الإمام الحسين عليهما السلام أم لا؟! وهكذا بالنسبة إلى بقية المخذولات المزبورة. هذا السؤال لا بدّ من أن يبقى في أذهاننا نحن

القائمون والشرفون والدعاة الحسينيون صيانة لهذه الشعائر العظيمة.  
 السلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى  
 أصحاب الحسين، اللهم ارزقني شفاعة الحسين علیه يوم الورود وثبت لي قدم صدق  
 عندك مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين علیه.

### الهوامش:

- \* في الحقيقة هذه المقالة مستللة من بحث لمرحلة البكالريوس في الحوزة العلمية في قم المقدسة، وبعد كتابتي لمقال (استعمال الموسيقى في الشعائر الحسينية) في هذه الجلة المباركة اخترتها كعنوان بحث أقدمه للحوزة بعد إجراء التغيرات المناسبة عليه، وقد استمرت عنوان هذا العدد لردد الجميل لهذه الجلة.
- (١) مجلة الإصلاح الحسيني العدد ٨، ص ٨٩.
- (٢) الشعائر الحسينية بين الأصالة والتتجديد؛ السنن، ص ١٩٣.
- (٣) الشعائر الحسينية؛ محمد باقر الحكيم، ص ٢٢.
- (٤) سورة الحج: ٣٢.
- (٥) سورة الحج: ٣٦.
- (٦) سورة البقرة: ١٥٨.
- (٧) سورة المائدة: ٢.
- (٨) العناوين الفقهية، المراغي، ج ١، ص ٥٥٩.
- (٩) راجع المقنع: ص ٢٧٢، والمداية للصدوق علیه: ص ٢١٤، المقنعة للمفید علیه: ص ٤١٨، حيث استدلوا على وجوب الهدي في الحج بذلك، واستفاد غيرهم وجوب تعظيم الشعائر مطلقاً كالقدس الأربيلي علیه في زبدة البيان: ص ٢٨٦، والميرزا القمي علیه في غنائم الأيام: ج ١، ص ٤٣٦، والمحقق النراقي علیه في عوائد الأيام: ص ٨.
- (١٠) الحقيقة الشرعية هي اللحظة الذي استفيد من الشرع وضعه للمعنى، سواء كان المعنى واللفظ مجهولين عند أهل اللغة، أو كانوا معلومين.
- (١١) دليل الهدى في فقه العزاء، السيفي المازندراني، ص ٧١ (بتصرف).

- (١٢) نفس المصدر، ص ٧١ (بتصرف)، ص ٧٥ و ٧٦ (بتصرف).
- (١٣) استفادت هذا التقسيم بشكل أولى من مقالة على شبكة الإنترنت للأستاذ رشيد السرای بعنوان (الشعائر الحسينية بين النص والتطبيق).  
<http://www.alnoor.se/article.asp?id=258823>
- (١٤) صراط النجاة (المحسى للخوئي)، ج ٢، ص .٥٥٩
- (١٥) وقع الكلام بين الأعلام في حرمة الرياء حتى في التوصيليات. راجع (مجموع الرسائل الفقهية: كتاب رسالة القلم الأول؛ الشيخ علي فاضل الصدّي، ص ٥٣١).
- (١٦) الشهادة الثالثة؛ الشيخ سند، ص .٣٥٩
- (١٧) المصدر السابق، ص ١١٥ (خلاصة ما اختاره من براهين في المسألة).
- (١٨) الشعائر الحسينية المنسوبة، الترجي العاملی (نسخة إلكترونية).
- (١٩) سورة يوسف: ٦٠.
- (٢٠) الشعائر الحسينية المنسوبة، الترجي العاملی، ص ١٨٨
- (٢١) سورة الحج : ٣٢
- (٢٢) كراسة الشعائر الحسينية، مؤسسة شهید المحراب للسيد الحکیم قیمی.
- (٢٣) المصدر السابق.
- (٢٤) المصدر السابق.
- (٢٥) بحوث معاصرة في الساحة الدولية للشيخ محمد السندي ص ٨٣
- (٢٦) الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد ص ٢١٩
- (٢٧) الشعائر الدينية نقد و تقييم، الشيخ السندي، ص: ٤٠. (بتصرف)
- (٢٨) المعجم الأصولي، الشيخ صنقرور، ج ٢، ص ٤٦
- (٢٩) المصدر السابق.
- (٣٠) مجلة الاجتهاد والتجديد، العدد ٢٢، ص ٢٨٤ (بتصرف وتغيير).
- (٣١) الشعائر الدينية، الشيخ سند، ص ٥٥
- (٣٢) الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، الشيخ سند، ص ١٨٥

## في رثاء الحسين عليه السلام

الشيخ على إبراهيم عبد العال

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام آية من آيات الله عزَّ وجلَّ بعثه في خلقه إماماً هادياً وسيداً عاماً وعبدًا صالحًا، بذل نفسه في سبيل الله عزَّ وجلَّ ليخرج عباده من الجهلة وحيرة الضلالة فأبلغ في الموعظة وأجزل العطاء وأحسن البلاء.

كان عليه السلام بشهادة الأعداء حسن السيرة طاهر السريرة عارفاً بالله مهدياً بهداه محبوباً في الأرض معروفاً في السماء ذكرته الأنبياء واقتدت بهديه الأصفياء.

إنَّ الحسين عليه السلام مأوى كل مظلوم ونجمة يتغنى بها كل محروم فقد فاق في إخلاصه كل فائق، وأظهر ببذل مهجته دفائن الحقائق، وقد عرف الناس بعد الحسين كيف يتميّز الحق من الباطل، وسطر للتاريخ درساً بلি�غاً حيّاً متجدداً خالداً تليداً عميقاً أصيلاً.

ولقد جمع صلوات الله عليه كل الصفات الحميدة والفضائل الجيدة، فلا يشذ منها شارد ولا يفوته منها فائت. فإنْ أتيته من حيث العبادة فهو العابد، ومن حيث الزهد فهو الزاهد، ومن حيث نظرته للدنيا فهو البصير الناقد. لا يغره شيء من زخرفها ولا يخدعه طيف من زبرتها. كان عالماً بالله لا ينطق غلطًا ولا يقول سلططاً قد ظهره الجليل وشهد بذلك القرآن والتوراة والإنجيل.

عاش نبيلاًً ومات عزيزاً ينظر بعين البصيرة، ويُقدم بالحكمة والعزيمة. وهو الذي قال فيه بعض الرواية: "والله ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جائساً ولا أمضى جناناً ولا أجرأ مقدماً منه، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله وإن كانت الرجال لتشد عليه فيشد عليها بسيفه فتنكشف عن يمينه وعن شماله انكشف المعزى إذا شد فيها الذئب، ولقد كان يحمل فيهم فينهزمون من بين يديه كأنهم الجراد المنتشر".<sup>(١)</sup>

غيراً متى عاينته الكماة  
ألوانها يختطف الربع  
فما أجلت الحرب عن مثله شجاعتها  
يحيى قتيلاً يحيى شجاعها

وكان أول من رثاه وشرع عليه البكاء هو الله عز وجل من فوق عرشه.

ففي بحار الأنوار: «إنَّ نَبِيَ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ نَاجَى رَبَّهُ فَقَالَ: إِنَّ فَلَانَا عَبْدُ الْإِسْرَائِيلِيِّ أَذْنَبَ ذَنْبًا وَيُسَأَّلُكَ الْعَفْوُ، قَالَ: يَا مُوسَى أَعْفُكُ عَنْ اسْتَغْفَرْنِي إِلَّا قاتلَ الْحَسَنَ، قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّي وَمَنْ الْحَسَنُ؟ قَالَ لَهُ: الَّذِي مَرَّ ذَكْرُهُ عَلَيْكَ بِجَانِبِ الْطُّورِ، قَالَ: يَا رَبِّي وَمَنْ يَقْتَلُهُ؟ قَالَ يَقْتَلُهُ أُمَّةٌ جَدَّهُ الْبَاغِيَةُ الطَّاغِيَةُ فِي أَرْضِ كُرْبَلَاءِ وَتَنْفَرَ فَرْسَهُ وَتَحْمَّمَ وَتَصَبَّلَ، وَتَقُولُ فِي صَهِيلَاهَا: الظَّلِيمَةُ الظَّلِيمَةُ مِنْ أُمَّةٍ قُتِلَتْ ابْنَ بَنْتِ نَبِيِّهَا فَيَقِي مَلْقِي عَلَى الرَّمَالِ مِنْ غَيْرِ غَسلٍ وَلَا كَفْنٍ، وَيَنْهَبُ رَحْلَهُ، وَيَسْبِي نَسَاؤُهُ فِي الْبَلَادَنَ، وَيَقْتُلُ نَاصِرَهُ، وَتَشَهَّرُ رُؤُوسُهُمْ مَعَ رَأْسِهِ عَلَى أَطْرَافِ الرَّمَاحِ، يَا مُوسَى صَغِيرُهُمْ يَمِيتُهُ الْعَطْشُ، وَكَبِيرُهُمْ جَلْدُهُ مَنْكَشُ، يَسْتَغْيِيُونَ وَلَا نَاصِرٌ وَيَسْتَجِيرونَ وَلَا خَافِرٌ وَقَالَ: يَا رَبِّي وَمَا لِقَاتَلِيهِ مِنَ الْعَذَابِ؟ قَالَ: يَا مُوسَى عَذَابٌ يَسْتَغْيِيْهُ مِنْهُ أَهْلُ النَّارِ بِالنَّارِ، لَا تَنَاهُمْ رَحْمَتِي، لَا شَفاعةً جَدَّهُ، وَلَوْلَمْ تَكُنْ كَرَامَةُ لِهِ لَخَسْفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ، قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِرَبِّي اللَّهُمَّ مِنْهُمْ وَمِنْ رَضِيَ بِفَعَالِمِهِمْ، فَقَالَ سَبَّحَانَهُ: يَا مُوسَى كَتَبْتَ رَحْمَةً لِتَابِعِيهِ مِنْ عَبَادِيِّ، وَاعْلَمَ أَنَّهُ مَنْ بَكَ عَلَيْهِ أَوْ أَبْكَى أَوْ تَبَاكَ حَرَّمْتَ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ».<sup>(٢)</sup>

ولقد رثاه رسول الله ﷺ قبل مقتله وسالت بذلك مقلته، برشاء ما سمع من قبله، ولا يسمع بعده. فقد روى المجلسي في رثائه صلوات الله عليه روایات متعددة، منها ما عن أبي عبد الله علیه السلام قال: «كان الحسن علیه السلام مع أمّه تحمله فأخذه النبي علیه السلام وقال: لعن الله قاتلك، ولعن الله سالبك وأهلك الله المتوازرين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك، قالت فاطمة الزهراء علیها السلام: يا أبا! أي شيء تقول؟ قال علیه السلام: يا بنتاه ذكرت ما يصيبيه بعدي وبعدك من الأذى والظلم والغدر والبغى، وهو يومئذ في عصبة كأنهم نجوم السماء، ويتهادون إلى القتل، وكأني أنظر إلى معسركم، وإلى موضع رحالمم وتربيتهم، قالت علیها السلام: يا أبا! وأين هذا الموضع الذي تصف؟ قال علیه السلام: موضع يقال له كربلاء، وهي دار كرب وبلاء علينا وعلى الأمة، يخرج عليهم شرار أمتي لو أن أحدهم شفع له من في السماوات والأرضين ما شفعوا فيه، وهم المخلدون في النار. قالت علیها السلام: يا أبا! فيقتل؟ قال علیه السلام: نعم يا بنتاه، وما قتل قتله أحد كان قبله وبيكيه السماوات والأرضين، والملائكة، والوحش، والنباتات، والبحار، والجبال ولو يؤذن لها ما بقي على الأرض متنفس، ويأتيه قوم من محبتنا ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقنا منهم، وليس على ظهر الأرض أحد يلتفت إليه غيرهم أولئك مصابيح في ظلمات الجبور، وهم الشفعاء، وهم واردون حوضي غداً أعرفهم إذا وردوا على بسياتهم، وكل أهل دين يطلبون أنتم، وهم يطلبوننا لا يطلبون غيرنا، وهم قوام الأرض، وبهم ينزل الغيث، فقالت فاطمة الزهراء علیها السلام: يا أبا! إنا لله، وبكت فاطمة علیها السلام إلى أن قال لها رسول الله علیه السلام: أما ترضين أن يكون الملائكة تبكي لابنك، وتتأسف عليه كل شيء؟ أما ترضين أن يكن من أئاه زائراً في ضمانته طرفة عين، وإذا ماتت شهيداً وإن بقي لم تزل الحفظة تدعوه لما بقي، ولم يزل في حفظ الله وأمنه حتى يفارق الدنيا قالت علیها السلام: يا أبا! سلمت، ورضيت وتوكلت على الله، فسح على قلبها ومسح عينيها، وقال علیه السلام: إني وبعلك

**وأنت وابنيك في مكان تقر عيناك، ويفرح قلبك»<sup>(٣)</sup>.**

وكيف لا تجزع عليه الأرض، ولا تبكي له السماء دمًا، وهو الذي قامت الملائكة لولادته بالتسبيح، وزخرفت لها الجنان، وأطفأً مالك لها النيران، كرامة له من الله المنان.

فقد روى الشيخ إبراهيم الجوني الحموي الشافعي أنَّ اللَّهُ عَزَّ ذِلْكَ أَوْحَى إِلَى "مالك" خازن النيران أنَّ أَخْمَدَ النَّيْرَانَ عَلَى أَهْلِهَا؛ لكرامة وليد مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ في دار الدنيا.<sup>(٤)</sup>

وفي بحار الأنوار أنه أوحى تبارك وتعالى إلى "رضوان" خازن الجنان أن زَخَرَفَ الجنان وطَبَيَّبَها، لكرامة مولود النبي المصطفى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وكذا أوحى إلى الملائكة أن قوموا صفوفاً بالتسبيح والتحميد والتمجيد والتکبير. وقال الله تعالى لجبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَخِيزْهُ - يَا جِبْرِيلَ - أَنِّي قد سَمِّيَّتُهُ الْحَسِينَ، وَعَزِّهُ، وَقُلْ لَهُ: يَا مُحَمَّدَ، يَقْتَلُهُ شَرَارُ الدَّوَابَاتِ، فَوَيْلٌ لِلْقَاتِلِ، وَوَيْلٌ لِلسَّائِقِ، وَوَيْلٌ لِلْقَائِدِ. قَاتَلَ الْحَسِينَ، أَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ مَنِّي بَرِيءٌ؛ لَأَنَّهُ لَا يَأْتِي أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَقَاتَلَ الْحَسِينَ أَعْظَمُ جُرْمًا مِنْهُ»<sup>(٥)</sup>.

وهذا نبي الله إسماعيل صادق الوعد استثقل بأن لا يكون له بالحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أسوة، ولم يرض لنفسه دون مواساة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بنفسه. ففي علل الشرائع عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ إِسْمَاعِيلَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ ذِلْكَ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾». لم يكن إسماعيل بن إبراهيم، بل كان نبياً من الأنبياء، بعثه الله عَزَّ ذِلْكَ إلى قومه، فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه، فأتاهم ملوك، فقال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذِلْكَ بعثني إليك، فرنى بما شئت، فقال: لي أسوة بما يصنع بالحسين».

وفي العلل أيضاً عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ إِسْمَاعِيلَ كَانَ

رسولاً نبياً، سلط عليه قومه، فقشروا جلدته وجهه وفروة رأسه، فأتاهم رسول من رب العالمين، فقال له: ربك يقرئك السلام ويقول: قدرأيت ما صنع بك، وقد أمرني بطاعتك، فرنى بما شئت، فقال: يكون لي بالحسين بن علي أسوة»<sup>(٦)</sup>.

### الأئمة عليهم السلام يقيمون العزاء على سيد الشهداء

وأما الأئمة عليهم السلام، فقد حملوا راية الرثاء وسنوا للمؤمنين سنة العزاء. وقالوا كلمات خالدة شيدت أساس العزاء على مر العصور. فمهما اختلفت الأساليب وتعددت المشارب وتغيرت الأزمان إلا أن للمؤمنين في أئمتهم عليهما السلام الأسوة والقدوة في إقامة العزاء على سيد الشهداء.

فمن ذلك ما رواه العلامة الجلسي عن دعبدل الحزاعي قال: "دخلت على سيدى ومولاي على بن موسى الرضا عليهما السلام فى مثل هذه الأيام -يعنى محرم- فرأيته جالساً جلسة الحزين الكثيب، وأصحابه من حوله، فلما رأى مقبلاً قال لى: «مرحباً بك يا دعبدل، مرحباً بناصرنا بيده ولسانه»، ثم وسع لى فى مجلسه، وأجلسنى إلى جانبه، ثم قال لى: «أن تنشدنا شعراً، فإن هذه الأيام أيام حزن كانت علينا أهل البيت، وأيام سرور كانت على أعدائنا، خصوصاً بني أمية، يا دعبدل من بك وأبكى على مصابنا ولو واحداً كان أجره على الله، يا دعبدل من ذرفت عيناه على مصابنا وبكى لما أصابنا من أعدائنا حشره الله معنا في زمرةنا، يا دعبدل من بك على مصاب جدي الحسين غفر الله له ذنبه البتة»، ثم إنه عليهما السلام نهض وضرب ستراً بيننا وبين حرمه، وأجلس أهل بيته من وراء الستر ليكونوا على مصاب جدهم الحسين عليهما السلام، ثم التفت إلى وقال لى: «يا دعبدل إرث الحسين عليهما السلام فأنت ناصرنا، ومادحنا ما دمت حياً، فلا تقصير عن نصرتنا ما استطعت»، قال دعبدل: فاستعبرت وسائلت عبرتى، وأنشأت أقوال: أقاطم لو خلت الحسين بمنلاً وقد مات عطشاناً بشرط فرات

إذاً للطمت الحدة عنده وأجريت دمع في الوجنات<sup>(٧)</sup>.

وروى العلامة المجلسي عن بعض المؤلفات، أنه لما أخبر النبي عليه السلام ابنته فاطمة عليها السلام بقتل ولدتها الحسين عليه السلام، وما يجري عليه من الحزن، بكى فاطمة بكاءً شديداً، وقالت: «يا أبت متى يكون ذلك؟ قال: في زمان خالٍ مثي ومنك ومن علي، فاشتد بكاؤها وقالت: يا أبت فن يبكي عليه؟ ومن يلتزم بإقامة العزاء له؟ فقال النبي عليه السلام: يا فاطمة إن نساء أمتي يبكون على نساء أهل بيتي، ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي، ويجددون العزاء جيلاً بعد جيل في كل سنة، فإذا كان القيمة، تشفعين أنت للنساء، وأناأشفع للرجال، وكل من بكى منهم على مصاب الحسين أخذنا بيده، وأدخلناه الجنة»<sup>(٨)</sup>.

وروى الشيخ الصدوق قائلًا بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «إن الحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرّمون فيه القتال، فاستحلّت فيه دماءنا، وهتك حرمتنا، وسبى فيه ذارينا ونساؤنا، وأضرمت النيران في مضارينا.

ثم قال عليه السلام: كان أبي (صلوات الله عليه) إذا دخل شهر الحرم لا يرى صاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تضي عشرة أيام منه، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك يوم مصيبيته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام»<sup>(٩)</sup>.

#### محطات من حياته صلوات الله عليه

وقد كان سلام الله عليه منذ صغر سنّه إلى حين شهادته مظهراً من مظاهر الرحمة والعزّة والإباء، وتتجلى فيه الحكمة وحسن التصرف وسمة الهدى وصبغة الله. فهو خير من قال فيهم أمير المؤمنين عليه السلام: «فن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم، وعلمًا في حلم، وقصدأ في غنى، وخشوعاً في عبادة، وتحملاً في فاقة، وصبراً في شدة...».

و نحن نذكر في ذكر اه العطرة جملة من مواقفه، ليظهر أن إباء الحسين عليه السلام وعزته و حكمته ونصرته للمظلوم و تحسينه للمحروم، ليس وليد خبراته المتراكمة، بمعنى أن هذه الصفات لم تكن معدومة فوجدت، بل ذلك من جبلته و مغروس في ناصيته، أليس هو وارث الأنبياء وسليل الأوصياء؟ فهو لم يترك واجب الأمر بالمعروف يوماً قط، ولم تزدد نفسه إلا كرمًا على كرم، وبصيرة على بصيرة. وهذا إمامنا الرضا صلوات الله عليه يقول في وصف الإمام المقصوم:

«هـيـاهـ هـيـاهـ!.. ضـلـتـ العـقـولـ، وـتـاهـتـ الـحـلـومـ، وـحـارـتـ الـأـلـبـابـ، وـحـسـرـتـ الـعـيـونـ، وـتـصـاغـرـتـ الـعـظـمـاءـ، وـتـحـيـرـتـ الـحـكـاءـ، وـتـقـاسـرـتـ الـحـلـامـاءـ، وـحـصـرـتـ الـخـطـبـاءـ، وـجـهـلـتـ الـأـلـبـاءـ، وـكـلـتـ الـشـعـرـاءـ، وـعـبـزـتـ الـأـدـبـاءـ، وـعـيـيـتـ الـبـلـغـاءـ عنـ وـصـفـ شـأنـ منـ شـأنـهـ أوـ فـضـيـلـةـ منـ فـضـائـلـهـ فـأـقـرـتـ بـالـعـجـزـ وـالـتـقـصـيرـ... إـنـ الـعـبـدـ إـذـ اـخـتـارـ اللـهـ بـرـئـةـ لـأـمـورـ عـبـادـهـ، شـرـحـ صـدـرـهـ لـذـلـكـ، وـأـوـدـعـ قـلـبـهـ يـنـابـيعـ الـحـكـمةـ، وـأـهـمـهـ الـعـلـمـ إـلـهـاماـ، فـلـمـ يـبـيـيـ

بعدـهـ بـجـوـابـ، وـلـاـ يـحـيـرـ فـيـهـ عـنـ الصـوـابـ، وـهـوـ مـعـصـومـ مـؤـيـدـ مـوـقـعـ مـسـدـدـ، قـدـ أـمـنـ

الـخـطـلـاـيـاـ وـالـزـلـلـ وـالـعـثـارـ، يـخـصـهـ اللـهـ بـرـئـةـ بـذـلـكـ، لـيـكـونـ جـهـتـهـ عـلـىـ عـبـادـهـ وـشـاهـدـهـ عـلـىـ

خـلـقـهـ، وـذـلـكـ فـضـلـ اللـهـ يـؤـتـيـهـ مـنـ يـشـاءـ، وـالـلـهـ ذـوـ الـفـضـلـ الـعـظـيمـ، فـهـلـ يـقـدـرـونـ عـلـىـ مـثـلـ

هـذـاـ فـيـخـتـارـهـ؟ـ أـوـ يـكـونـ مـخـتـارـهـ بـهـذـهـ الصـفـةـ فـيـقـدـمـوهـ؟ـ»<sup>(١٠)</sup>.

فمن شجاعته صلوات الله عليه أنه هزم أبا أيوب الأعور السلمي عن الماء يوم صفين، وكان قد حرزه عن الناس، فمضى إليه مع فوارس فأجلاه عن الماء وبني خيمته وخط فوارسه<sup>(١١)</sup>.

ومن كياسته عليه السلام ما أورده ابن أثيم في موقف له بصفين حيث أراد عبيد الله بن عمر خديعنته عليه السلام، ولكن جاء الرد من الحسين عليه السلام حتى قال معاوية لابن عمر: "إن الحسين بن علي لا يخدع، وهو ابن أبيه"<sup>(١٢)</sup>.

ومن رحمته ما روی أنه عليه السلام مرّ بمساكين قد بسطوا كساء لهم وألقوا عليه

كسرات من الخبر فقلوا: هلم يا بن رسول الله، فأكل معهم ثم تلى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ ثم قال: «قد أجبتكم فأجيوني» قالوا: نعم. فقاموا معه حتى أتوا منزله فقال للجارية: «أخرجي ما كنت تدخررين».

ومن كرمه ما رواه عمرو بن دينار أنه دخل الإمام الحسين عليهما السلام على أسامة بن زيد وهو مريض وهو يقول واغماه فقال له الإمام الحسين عليهما السلام: «وماغنك يا أخي» قال ديني وهو ستون ألف درهم، فقال الحسين عليهما السلام: «هو عليّ»، قال: إني أخشى أن أموت، فقال الحسين: «لن تموت حتى أقضيها عنك»، فقضاهما قبل موته.

ومن عزّته أنه وفد إلى الحسين عليهما السلام وفده فقلوا: "يا ابن رسول الله إن أصحابنا وفدوا إلى معاوية ووفدنا نحن إليك. فقال: «إذن أجيئكم بأكثر ما يجيزهم». فقالوا: جعلنا فداك إنما جئنا مرتادين لدينا. قال فطأطاً رأسه ونكت في الأرض وأطرق طويلا ثم رفع رأسه فقال: «قصيرة من طولة، من أحينا لم يحبنا لقرابة بيننا وبينه ولا معروف أسدیناه إليه، إنما أحبنا لله ورسوله، فمن أحبنا جاء معنا يوم القيمة كهاتين» وقرن بين سبابتيه<sup>(١٣)</sup>.

ومن عزّته أيضاً وأخذه بالحق ما أورده ابن أبي الحديد أن مالاً حمل من اليمن إلى معاوية، فلما مر بالمدينة وتب عليه الحسين بن علي عليهما السلام فأخذه وقسمه في أهل بيته ومواليه، وكتب إلى معاوية: «من الحسين بن علي إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فإن عيرا مرت بنا من اليمن تحمل مالاً وحللاً وعنبراً وطيباً إليك لتودعها خزان دمشق وتعل بها بعد النهل بني أبيك، وإن احتجت إليها فأخذتها والسلام»<sup>(١٤)</sup>.

ومن مواقفه الخالدة إنكاره على معاوية أخذ البيعة لابنه يزيد، فقال عليهما السلام مخاطباً إياه: «فضح الصبح فحمة الدجى، وظهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستثارت حتى أجهفت، ومنعت حتى بخلت، وجرت حتى جاوزت،

ما بذلت لذى حق من أتم حقه بنصيب حتى أخذ الشيطان حظه الأول، ونصيبه الأكل، وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتئاله وسياسته لأمة محمد، تريد أن توه الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً، أو تنتع غائباً، أو تخبر عما كان بما احتويته بعلم خاص، وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيها أخذ به من استقراره الكلاب المهاشرة عند التحארش، والحمام السبق لأنزابهن، والقينات ذوات المعاف، وضروب الملاهي، تجده ناصراً، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر ما أنت لاقيه، فوالله ما برحت تقدر باطلأ في جور، وحنقاً في ظلم، حتى ملأت الأسقيمة، وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود، ولا ت حين مناص»<sup>(١٥)</sup>.

وأما صدقه صلوات الله عليه ورغبته عن الخديعة، فقد ظهرت في موقفه من أصحابه عشية عاشوراء. فقد روى أبو مخنف في مقتله: أنه لما كان الليل قال جملة أصحابه وأهل بيته: «هذا الليل قد غشيمكم فاتخذوه جلاً. ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيته، ثم تفرقوا في سوادكم ومدائكم حتى يفرج الله، فإن القوم إنما يطلبونى، ولو قد أصابوني هوا عن طلب غيري». فقال له أخوه وأبناءه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر: «لم نفعل لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً». برأهم بهذا القول العباس بن علي ثم إنهم تكلموا بهذا ونحوه. فقال الحسين عليه السلام: «يا بني عقيل حسبكم من القتل بسلام، اذهبوا قد أذنت لكم»، قالوا: «فما يقول الناس؟ يقولون: إننا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ولم نرم معهم سهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندرى ما صنعوا، لا والله لا نفعل ولكن نفديك أنفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبح الله العيش بعدك...»<sup>(١٦)</sup>. ثم دار نحو ذلك بيته وبين أصحابه.

## فضل زيارته

وأما زيارته فقد ورد فيها الفضل العظيم والثواب الجزييل، فهي تجلب الرزق، وتدفع السقم، وترد البلاء، وتدفع مدافعسوء، وتصافحه غداً الملائكة، وتغفر له ذنوب سبعين سنة، بل ويخرج يوم القيمة وليس له ذنب يتبع به، ويورث الغرف المبنية في الجنة مع النبي ﷺ... ومن ترك زيارته رأى من الحسرة ما يتمفي أن قبره كان عنده.

وكيف لا تكون زيارته كذلك وهو دم يطلبه الله تعالى، وإن قبره لروضة من رياض الجنة وترعة من ترعةها، وما بين قبره والسماء مختلف الملائكة بين صاعد شاكر ونازل متلهف، وقد وكل الله بالحسين سبعون ألف ملك شرعاً غرباً يصلون عليه منذ يوم قتل إلى ما شاء الله ويدعون له زاره، ويقولون: يا رب هؤلاء زوار الحسين افعل بهم وافعل بهم.

وإن يوم الحسين لأعظم الأيام فعن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: قلت للإمام جعفر الصادق ع: يا ابن رسول الله كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغم وجزع وبكاء دون اليوم الذي قبض فيه رسول الله ع واليوم الذي ماتت فيه فاطمة ع واليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين ع واليوم الذي قتل فيه الحسن ع بالسم؟

فقال الإمام جعفر الصادق ع: «إن يوم الحسين ع أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام؛ وذلك لأن أصحاب الكساة الذين كانوا أكرم الخلق على الله تعالى كانوا خمسة، فلما مضى عنهم النبي ع بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين ع فكان فيهم الناس عزاء وسلوة، فلما مضت فاطمة ع كان في أمير المؤمنين والحسن والحسين للناس عزاء وسلوة، فلما مضى منهم أمير المؤمنين ع كان للناس في الحسن والحسين عزاء وسلوة، فلما مضى الحسن ع كان للناس في الحسين ع عزاء



<sup>(١٧)</sup> مصيبة».

السماء بالدماء

وسلاوة، فلما قتل الحسين عليه السلام لم يكن بقي من أهل الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء  
وسلاوة فكان ذهابه كذهب جميعهم كما كان بقاوه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم

ولقد جزعت على قتله الأملأك، وتقرحت لفقد عيون الأنبياء، وبكت له

ففي كتاب الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام قال في حديث: «إن أبا عبدالله

الحسين عليه السلام لما قضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن،  
ومن ينقلب في الجنة والنار من خلق ربنا وما يرى وما لا يرى»<sup>(١٨)</sup>.

وروى ابن قولويه بسنده قالوا: سمعنا أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إن أبا عبدالله  
الحسين بن علي عليه السلام لما مضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن  
وما بينهن ومن ينقلب عليهم، والجنة والنار، وما خلق ربنا، وما يرى وما لا يرى»<sup>(١٩)</sup>.

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «بكت الإنس والجن والطير والوحش  
على الحسين بن علي عليه السلام حتى ذرفت دموعها»<sup>(٢٠)</sup>.

فعليك السلام يا أبا عبدالله ما بقيت وبقي الليل والنهار، وحسبنا الله ونعم  
الوكيل.

### الهوامش:

(١) تاريخ الطبرى، محمد بن جرير الطبرى، ج ٤، ص ٣٤٥.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسى، ج ٤٤، ص ٣٠٨.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسى، ج ٤٤، ص ٢١٤.

(٤) فرائد السعطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين، الحمويني الجوييني، ج ٢، ص ١٥٣.

(٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسى، ج ٤٣، ص ٢٤٣.

(٦) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٧٣.

# يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْمُطَنَّبِ



- (٧) بحار الأنوار، العلامة الجلسي، ج ٤٥، ص ٢٥٧.
- (٨) البحار، ج ٤٤، ص ٢٩٣.
- (٩) أمالی الصدق، الشيخ الصدق، ص ١١١.
- (١٠) إكمال الدين وقام النعمة، الشيخ الصدق، ص ٣٨٠.
- (١١) المنتخب للطريحي ج ٢، ص ٣٠٠، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٦٦.
- (١٢) الفتوح ج ٣، ص ٥٣.
- (١٣) بحار الأنوار ج ٢٧، ص ١٢٧، أعلام الدين ٤٦.
- (١٤) شرح نهج البلاغة، ج ١٨، ص ٤٠٩.
- (١٥) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، ج ٢، ص ٢٠٨.
- (١٦) مقتل الحسين، لأبي حنف الأزدي، ص ٨.
- (١٧) علل الشرائع، ج ١، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.
- (١٨) الكافي، ج ٤، ص ٥٧٦.
- (١٩) كامل الزيارات، ص ١٦٦.
- (٢٠) كامل الزيارات، ص ١٦٥.

# لقاء مع آية الله الشيخ عيسى قاسم حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ذِكْرَهُ عن طلب العلم

الشيخ حسين عبد الله الأعرج

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآلله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

لقاء أجري مع سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم بتاريخ ٢٠٠٩-١٠-٢٦  
بعد صلاة العشاء.

شغلني التفكير في طلب العلم الديني منذ سنوات قبل الالتحاق بالجامعة، وظل مخبوءاً لمكان اشتغالي بالدراسة الأكاديمية ومن بعدها الوظيفة، وبرز مرة أخرى بحال أشد من الظهور الأول بعد عقد الزواج، فأخذت أسأل وأستفسر إلى أن خطر في بالي أن أستشير سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (آية الله)، وكان طلب الموعد واللقاء في يوم واحد حيث سماحته استجاب سريعاً، وعلى ذلك كان مرتجلاً، فحصل التسجيل بجهاز الاتصال النقال، فلم يكن التسجيل واضحاً لدرجة كبيرة، وبقى ما سُجل محفوظاً في الجهاز لما يقارب الخمس سنوات إلى أن عزمت على

تفریغ الصوت وتدوین ما دار في اللقاء ومن ثم نشره لتعمیم الفائدة.

سماحة الشیخ فی هذا الحوار یرسم الخطوط العاًمة لمن یرحب بـ دراسة العلوم الإسلامية كطالب علم، فأدرج سماحته أفكاراً وعنوانين مهمّة لها أن تبصر من يرید سلک طریق طلب العلم، وأیضاً لها أن تجعل من يتربّد في ذلك أن یقف على المرسى المناسب له ويقطع أمره ويقرر إلى أي وجهة یسیر، ولک أن تشعر من کلام سماحة الشیخ نضوج الفكرة وزبده التجربة المتداة لعقود.

حاولنا إجلاء ما ورد بعض الشيء بـ وضع العنوانين وكتابة مقدمات لما یتكلّم عنه سماحته، وبعض الأحيان ذكرنا المفهوم من الأفكار التي أتى بها.

### طلب العلم الديني ومشكلة نقص المادة

من یغفل عن عظمة خدمة دین الإسلام، وواجب إقامة الدين بنشر أحكامه ومفاهيمه، ولا بدّية نفرة فرقة ليتفقّهوا في الدين، یعترض على الراغب في طلب العلم للنقص المادي المتعاهد وروده على سالك هذا الطريق، ويصف حياتهم بالزرية وشُؤونهم المالية بالمتدهورة وما إلى ذلك.

وهذا التصور قد یقضي على رغبة طلب العلم ويدفعها، وقد یتجاوزها آخر لیصارع ویتغلّب على الظروف الصعبة بالتوکل على الله تعالى وطلب العلم بإخلاص وجدية، فلکثرة ما راودني ذلك وأخذ مني مأخذًا استهلّیت اللقاء مع سماحة الشیخ بما یلي:

**الكاتب:** أرحب بـ دراسة طلب العلم الديني والأهل لا يؤيّدون ذلك بسبب ما

يُقال عن نقص المادة في طریق طلب العلم الديني، ما هو نظركم؟

**الشیخ: الأرزاق بيد الله (جواب الشیخ كان بنبرة جازمة).**

## الهدف والمراد من الدراسة الدينية

الكاتب: (لماذا؟) سؤال كبير يشكل محور ما يقوم به الإنسان في حياته، وهذا هو منطق العقلاء في أنْ يسألوا لماذا وما المهدى من كلّ فعل؟ وانتخاب طريق العلم الديني بشرفه وعظمته وثقل مسؤوليته يتحتم السؤال هنا بصورة أكبر، لماذا أنتخب طريق طلب العلم الديني على بقية الطرق؟ ما المهدى من تحصيل العلوم الحوزوية؟ ما العمل المراد القيام به كطالب علم؟ أسئلة تبرز مجرد هبوب رياح طلب العلم والانشغال به وبحيثياته وتبعاته، وعلى هذا الأساس كانت الاستشارة من سماته فكان الكلام:

الشيخ: إذا وجد من عنده مستوى دراسي جيد وغيره فتُوجَد موقع تطلُّبه [فيستطيع أن يعمل بما يملك من مستوى دراسي وأن يخدم في مجال العمل الإسلامي]، والأساس [في الدراسة الحوزوية] هو أنَّ الشخص يلاحظ ماذا يريد من الدراسة؟ هل يريد من الدراسة أن يشقَّف دينيًّا؟، طبعًاً كثقافة دينية ومعرفة الأحكام الشرعية التي يبتلي بها يوميًّا وغيره هذا مستوى معين، هذا بإمكانه أن يبقى في البحرين ويجمع بين الدراسة [الأكاديمية] وطلب العلم، أمَّا إذا كان إرادته أن يكون اليوم طالب علم صاحب دور، أي طالب علم يتهمَّ أن يكون صاحب دور دينيًّا مؤثِّر نافذ، فماذا هذا الدور؟

إذا كان المراد هو الخطابة، فمن مقوّماتها الصوت والحفظ، ويكتفى في الخطابة أن يدرس الطالب أربع أو خمس سنوات، ولكن اليوم نرى بعض الخطباء بلا فقه ولا دراسة وغيره، وهذه من الأمور التي تساهم في تضييف جانب الخطابة.

(يُفهم من كلام الشيخ وبعونه ما سيأتي لاحقًا أنَّ الخطابة هزيلة بلحاظ ضعف

اللغة العلمية الخطابية)

إذاً، قضيَّة مدرِّس حوزوي مطلوب أو كاتب إسلامي مطلوب، يعني يستطيع

أن يكتب، ينبغي أن يكون ملماً إماماً جيداً من الناحية الإسلامية، يعني يستطيع أن يكتب، يستطيع أن يحاضر محاضرات نافعة وما إلى ذلك، وأماماً مستوى الفقاہة فيحتاج لسن مبكر جداً، صاحب ذهنية لامعة، وأن يكون صبوراً، ويبذل جهداً هائلاً وكثيراً جداً عسى أن يصل لمستوى الفقاہة.

### الصلاحية والقابلية عند الفرد لدراسة العلوم الحوزوية

الكاتب: مستوى القدرات الذهنية وغيرها متفاوتة لدى إنسان وآخر، والمناسب لكل أحد أن ينظر لطبيعة ما عنده من قدرات وقابليات وإمكانيات ويضع نفسه مكاناً بما ينسجم مع ذلك، طبعاً مع العطاء والبذل، فالإنسان يكون راجحاً لنفسه إذا عرف قيمة نفسه وتفاعل بما هو قدر حجمه، ويكون ظالماً لنفسه حين يهوي بنفسه إلى موضع في حال أن غيره الأنسب والأوفر قدرة أو ليس بأهل للدراسة، كذلك هي العلوم الحوزوية وطريقها بشكل عام ينبغي لمريدها أن يتفحّص ويستكشف ما لديه، مدى صلاحية القدرات وقابلية الأرضية للتحصيل مع مشقتها وعنتها، ويعرف حد الصبر عنده، حول هذه النقطة تطرق سماحته:

الشيخ: الإنسان قد يكون عنده كما يسمى (ذكاء عام)، ذكاء عام في رياض العلم، في تلك الزاوية، في هذا الحقل، في الرياضيات يشتغل، في الهندسة، في الفقه، وفي اللغة، [يعني] تكامل، وقد يكون مع الذكاء العام توجد قدرات خاصة ذهنية، وقد يكون شخص عنده مستوى جيد وعنه قدرة استيعابية، لكن عنده ميل في حقل الرياضيات، يعني أن ذهنه مركب هذا التركيب، باعتبار أن الرياضيات يُراد لها فهم، فيستطيع أن يزيد من فهمه في الرياضيات، وأحياناً يوجد شخص عنده ميل نفسي وقدرة ذهنية خاصة في حقل التاريخ أو العلوم الإنسانية وما إلى ذلك.

فنسأل في أي مجال يجد الشخص قدراته؟ أ يستطيع أن يعرف نفسه أم لا؟  
أحياناً نجد البعض لا يوجد عنده (ذكاء نظري)، بل عنده (ذكاء عملي)، [مثلاً]

في] الصناعات وغيرها، وعلى ذلك لا يُعاتب من يُقال عنه أنه لا يصلح للحوza، وهذا لا يعني أنه فاقد للكفاءات والقابليات، بل إنّما قدراته في جانب آخر، مثلاً قد يكون شخص ماهر اليد في النجارة فلو جعلته في صناعة أخرى لا يفلح في عمله، فالإنسان لا بدّ له من أن يكتشف نفسه، فهو سيذهب مثلاً إلى كلية رياضيات مثلاً، فيسأل أيوجد عندي قدرة ذهنية؟ قدراتي الذهنية مركبة في هذا الجانب أو مركبة في جانب آخر؟.

أيضاً العلوم الحوزوية كذلك، هل عندي قدرات ذهنية تناسب العلوم الحوزوية أو لا تناسب؟ فإذا وجدت الذهنية الكافية والقدرة الاستيعابية وعلوم اللغة وبشرط علوم الفقه -أي أنَّ علوم اللغة عنده لا تشكُّل عائقاً-، فعنده مثلاً قدرة على النحو والصرف، وغيرها من دروس المقدمات، [فالصلاحية متوفّرة].

ينبغي للإنسان أن يختار الطريق على بصيرة، [وهذا الأمر يعتبر] الخطوة الأولى قبل الدراسة، فلا يدرس ثلاث أو أربع سنوات في طريق ليس بطريقه، ولا أن يُتعب نفسه في هذا الجانب، أو في تخصص ليس بتخصصه، كذلك يا ولدي، فقد يوجد شخص يرى أنَّ التخصص لا يناسبه، بل يناسبه تخصص آخر، وأحياناً تجد أنَّ شخصاً عنده شوق إلى هذا التخصص لكن لا يوجد عنده قدرة ذهنية، وأحياناً عنده قدرة ذهنية لكن لا يوجد شوق إلى التخصص، فالتخصص أو الدراسة تحتاج إلى شيئين، (القدرة الذهنية) و(الشوق)، وطبعاً والصبر وغيره.

### مستوى شهادة البكالوريوس في العلوم الحوزوية

الكاتب: تحت هذا العنوان حتَّى سماحة الشيخ على السعي لتحصيل العلم إلى المراتب العالمية بشكل ضمني، وذلك عندما قارن بين مستوى البكالوريوس في الدراسة الأكاديمية وبينها في العلوم الحوزوية من حيث حجم العطاء المتلقَّب بعد التخرج، ولنا أن ننطلق من كلام سماحته ونقول أنَّ تحصيل العلم إلى أعلى الدرجات

مطلوب فالمؤمن القوي خير من الضعيف، والقوّة في العلم خير مصدق لذلك، بل نترقى لنقول إنَّ دين الإسلام لا يعلو بضعف بل بأقوياء، وكلمة الله هي علياً يعلو الهمم لأعلى مراتب العلم، فهذا مفهوم كلام الشيخ في السطرين التاليين:

الشيخ: الدّرّاسة في الكلّيات والجامعات تُنْتَج في أربع سنوات بكالوريوس، وهذا يفعل شيئاً، لكن البكالوريوس لا تفعل كثيراً في العلوم الدينية، فصاحب هذه الشهادة يُعتبر طالب عادي؛ لأنَّ البكالوريوس بمدتها الأربع سنوات مثلاً لا تخرج طالباً قوياً يستطيع أن يتكلّم، بلحاظ أنَّ العلوم في تلك المرحلة علوم أساسية.

### الجدير بالحوزة يتغلب على منع الأهل من الدّرّاسة

الكاتب: بعد توفر المقدارة لطلب العلم، أي الأهلية النفسيّة والذهنية وغيرهما يصطدم البعض بعائق الأهل، ويرفض الوالدان أو أحدهما الدراسة الدينية وهنا تعارض بين الرغبة الشخصيّة وكلمة الأهل، فيحصل لدى البعض حيرة في كيفية حلّ هذه المشكلة، إنْ غداً في طلب العلم تألم وحزن أهله وقد يكون لشقة، وإنْ بقى على حاله جنَّى على نفسه بإجبارها على قبول وضعه وهو غير مرتاح له، وهذه المشكلة وإنْ تصوّرها أحدٌ كبيرة إلا أنَّ سماحة الشيخ بكلمته القصيرة أقنع من يمنع من ذلك لارتباط الدراسة بالآخرة وهذه مقصد كلٌّ أحد، كلٌّ يصنعها بيديه، ولكن لا ملازمة بين الحوزة والحال الحسن في الآخرة، فقال سماحته:

الشيخ: هل يوجد صبر؟ هل توجد ذهنية متفاعلة في هذا الجانب؟ هل جرّب نفسه في دراسة حوزوية؟ إذا حصل هذا الشيء فهو مؤهّل للدرّاسة الدينية، ولا يستطيع أحد أن يمنع من يرغب بالدراسة الحوزوية؛ لأنَّ فيها الآخرة، لكن الآخرة ليست دائمًا موجودة في طريق الحوزة، حيث يوجد من الناس من يذهب للحوزة ويلعب بالدين، فهو لا ليسوا جديرين بالحوزة.

و قضية العلم تحتاج إلى الله تعالى، فطريق العلم الديني طريق شريف بلا أدنى

إشكال، ويفتح الآفاق إلى معرفة الدين، وهو مصدق واضح لهذه الكلمة: كلما عرف الإنسان دينه عرف قيمة نفسه ... وعرف ربّه.

### وجود القابلية مع الهدف الدنيوي والأخروي

الكاتب: من يدرس بين هدفين، دنيوي وأخروي وكلّ منهما له درجات، طالب يرتخي الأمر الدنيوي وآخر يطلب الهدف الآخر، قسم يستغلّ العلم والمكانة للاستزادة من ترف الدنيا بشكل فاحش، وينسى ما ينبغي القيام به من أمثلهم في هذا الموقع الشريف، على هذا أسلوب الشيخ في الكلام فقال: الشيخ: يا ولدي على الإنسان أن يلتفت إلى نفسه جيداً، هل يوجد عنده قابلية في الدراسة العادلة أو عنده قابلية في دراسات أخرى؟ أيوجد عنده سوق وصبر أو لا يوجد؟ وما هو الهدف؟ إذا كان الهدف دنيوياً فطريق الحوزة لا يصلح لذلك، أمّا إذا كان هدفه أخروياً فيستطيع أن يذهب للحوزة.

إذا كان من يدرس يتطلع إلى بيت شاهق وإلى سيارة فخمة وغيره، يعني يوجد عنده ميل إلى الدنيا كثيراً ولو في الحال، وأيضاً يريد أن يتسع كثيراً طريق الحوزة ليس طريق التوسيع المادي حتى الحال منه، فإذا صار بناءه التوسيع المادي حتى الحال وفي يوم من الأيام لا يوجد هذا في الناحية الدينية وكطالب علم لا يستطيع تحصيل هذا الشيء، بعد ذلك سيدهب لمن؟ سيدهب لمن عندهم دنيا، وذلك من أجل تلبية حاجته النفسية.

إذا رأيت نفسك لا تستطيع أن تعيش المعيشة العادلة المتوسطة فليس ب صحيح أن أسلك طريق الحوزة، وقد يكون طالب العلم الديني أحسن من غير الطالب من الناحية المادية وقد يكون بالعكس، لكن ينبغي أن لا يكون طالب العلم عنده شره الدنيا حتى الحال، يعني أن تكون نفسه لا تقنع بالشيء الذي يناسب ويقضى الحاجة وغيره، فيريد أثاثاً راقياً جداً، ويريد بيته راقياً جداً، ويريد كلّ شيء راق،

فهذا إما حصل على مال وسرق ما هو مسؤول عنه لأجل تلبية حاجاته النفسية، وإما حصل على ذلك فيبيع آخرته بدنياه، ويعطي الثمن من دين الله، فيصبح ظالماً وما إلى ذلك، والإنسان على نفسه بصيرة.

### الدورات العقائدية والفقهية مثلاً تلبّي حاجات بعض الأفراد

الكاتب: ليس الكلُّ عليه أن يكون طالب علم، بل بعض من الناس تكفيه الدورات ذات الآجال المختلفة لتلبية حاجاته العقائدية والفقهية والأخلاقية وغيرها، وليس الكلُّ مستعداً لسير مشوار طويل في طلب العلم يتحمل فيه الصعب، فيذهب لطريق أقصر ومن ثمَّ ينخرط في الخدمة الدينية في أحد أبوابها المتعددة، لذلك ضرب سماحة الشيخ مثلاً يوضح به أنَّ الحاجة قد تكون فقط في دورة وقال:

الشيخ: قد رسمتُ لك الخطوط العامة وأنت عليك أن تقرر، وأمّا قضية الجنة فقد يطلبها أحد عن طريق المحوza، وقد تطلب عن طريق دراسات أخرى، لكن القدر المطلوب هو معرفة مسائل الابتلاء لدفع الشبهات الدينية عن النفس وما إلى ذلك، ولو عن طريق الدورات، فتُوجَد دورات مرَّة في هذا العلم ومرَّة في هذا الحقل على حسب طلب المجموعات، فيُوجَد مثلاً أشخاص من عُمان وغيرها يذهبون في الصيف لدورات مدتها شهر أو غيره، يعني دورات ذات آجال مختلفة يحضرون فيها مسائل يحتاجونها من ناحية عقائدية، من ناحية فقهية، وهذا المقدار يجب على الإنسان أن يحصل به دينه.

### خدمة الدين لا على أساس الإضرار بالنفس والدين

الكاتب: يحدُّ سماحة الشيخ من الانحراف في الخدمة الدينية بطلب العلم إذا كان ذلك يضرُّ بالنفس والدين، وهذا يستلزم على الإنسان أن يختار طريقه على

بصيرة، ويعربل الفكرة مراراً ليتجنب ما يسوؤه ويضيّع عليه أيام عمره الثمين، فكان حديث سماحته:

الشيخ: بقية التخصصات والانخراط في الخدمة الدينية، من صلاة جماعة وكتابات دينية جيد بلا أدنى إشكال، لكن لا على أساس أن يضر بنفسه ويضر بالدين؛ لأن البعض يذهب وبعد سنتين، أو ثلاث سنوات مثلاً، فيرى البحر ليس ببحره، والموس ليس بجده، وأحياناً لا يقدر على الغربة، والبعض يريد أشياء ترفية كثيرة فينصلد.

الكاتب: منذ فترة وأنا عندي رغبة للعلوم الإسلامية ودرست مقداراً من الأحكام من الرسالة العملية وغيرها، ولكنني أتطلع لشيء أكبر وأوسع.

الشيخ: هذا جيد، ولكن أيضاً أنظر لبقية النقاط التي ذكرت.

### حاجة المذهب أو الدين في بلد البحرين

الكاتب: بالإضافة إلى ما ذكر من الشروط المؤمل مراعاتها، يجد كل أحد متى لزوم النظر إلى الواقع المعاش في بلده ومحيه، بأن يستقصي الحاجة ويتحسس النقص الموجود ليسعى لرفع الحاجة وإكمال الناقص بطلب العلم والتبلیغ، فجاء السؤال التالي المهم لنعرف من سماحته حاجة البلد الدينية وهو يخبر حاله؛ لأنّه قريب من المجتمع، يقابل الأفراد، المجموعات و مختلف شرائح الناس، فكان السؤال:

الكاتب: الشيء الذي أريد أن أصل إليه كوظيفة وأجد نفسي تسميل إليه هو خطيب أو مبلغ، فما هي حاجة المذهب أو الدين في البحرين؟

الشيخ: نحن نحتاج إلى الشخص المجيد الكفوء، سواء في الخطابة والخطابة اليوم مغطاة بدرجة كبيرة جداً أو التبلیغ، فنحتاج إلى التبلیغ القائم على اللغة العلمية واللغة الخطابية والدراسات وما إلى ذلك، هذا مجال نحتاج إليه، مثل المحاضرات في التلفزيون وغيره، بمعنى أنّ عنده إمام على أن يقنع الناس بفكرة

معينة عن طريق علمي، يستطيع أن يناقش ويرد على نقاش الآخر.

محاجون إلى الكتابات العلمية، ومحاجون إلى العمل المؤسسي بحيث يوجد كفاءة تعتمد عليها، فلما يقال تدرис، إدارة مشروع تدريس، يعني من يكون في ذلك المكان شخص كفؤ يحمل فكراً إسلامياً، فعلى سبيل المثال: مدرس علوم تفسير يملك درجة عالية من الإحکام ويستطيع أن يناقش الشبهات وما إلى ذلك.

**الكاتب:** هل تقصد التّدریس في الحوزة بالدّرجة الأولى؟

**الشيخ:** نعم، تدریس في حوزة أو تدریس أطفال، أو حتى تدریس جامعيين مثلاً، يعني شخص كفؤ يستطيع أن يركّز عندهم الفكر الإسلامي الصحيح الدقيق.

**الكاتب:** أنظر إلى التّبليغ باللغة الانجليزية، فهل هذا الباب مطلوب وجيد؟

**الشيخ:** مطلوب مطلوب ولكن يحتاج إلى أمرين، أولاً اللغة الانجليزية، وثانياً إتقان المادة العلمية الإسلامية.

بعد ذلك أقدم سماحة الشيخ على توجيهه بعض الأسئلة إلى الكاتب يقيس من خلاها القابلية لدراسة العلوم الحوزوية، وكما يأتي أنّ الشيخ ذكر الجانب الصحي وملائمة الفرد لجوء مكان الدراسة، وهذه نظرة ممتازة، كأنه يحاول أن يذكّرنا بلزم استقصاء كل الجوانب والجهات الدخيلة في أمر الدراسة.

**الشيخ:** حينما كنت تدرس الفقه أو الرسالة العلمية -طبعاً الفقه الاستدلالي مختلف عن فقه الرسالة العلمية- كيف كان تفاعلكم الفكري معها؟

**الكاتب:** جيد.

**الشيخ:** كيف هو مستواك في اللغة العربية؟

**الكاتب:** أكثر من جيد.

**الشيخ:** عندما تقرأ في الثقافة العامة، أبحاث، مناقشات، مجلات إسلامية وغير إسلامية، لا الجرائد بل المجالات والنشريات والبحوث، كيف مستواك أو تفاعلك

الفكري معها؟

الكاتب: فهمي لا بأس به، وأحب أن أقرأ ذلك.

الشيخ: هل الجو هناك يناسبك؟

الكاتب: نعم

الشيخ: كيف أنت من الناحية الصحية؟

الكاتب: الحمد لله.

الشيخ: وفقك الله لخير الدنيا وأهدأها وأرضأها إلى الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وأفضأها إلى قربه.

والحمد له رب العالمين.

المعلم والمبتدئون - السنن العددية عشرة  
محرم ١٤٣٧ هـ - أكتوبر ٢٠١٥

إمام المعلم

١٠٨

# المستشرقون والقرآن الكريم

الشيخ عقيل إبراهيم المهوبي

## المقدمة

هناك أناس من الغرب تعرضوا إلى دراسة حضارة الشرق، وتراثه، وثقافته، وما يتعلق به من أمور ثقافية، واقتصادية، وسياسية... وغيرها، وفي موضوعنا هذا نتطرق إلى قسم خاص من هذه الفئة، وبالأخص إلى واحد من هذه الفئة؛ وهم المستشرقون الذين تعرضوا إلى الكتاب المقدس عند الشرق، الذي يشكل المحور الأساسي عندهم، وعلى دستوره تقوم حياتهم الشرقية، ألا وهو القرآن الكريم المنزل من عند خالق البشرية جماء، وقبل أن نتعرض إلى هذا القسم من المستشرقين، نوضح الصورة العامة للمستشرقين، لكي نتعرف على بعض آرائهم، والرد عليها فنقول:

جاء في كتاب (قراءة نقدية في تاريخ القرآن للمستشرق شيدر نولدكه. حسن علي حسن مطر الهاشمي) في تعريف الاستشرقاً لغةً واصطلاحاً:

## الاستشراق لغةً واصطلاحاً

### الاستشراق لغةً:

اشتقاقه من استشرق، على وزن استفعل، وهو للسؤال والطلب غالباً نحو: (استخر جته)، ويجيء للإعتقداد في الشيء أنه على صفة أصله نحو: (استئنف الجمل) أي: حسب الجمل ناقةً. ويكون للتحول إلى الشيء حقيقة، نحو (استحجر الطين)، أي: صار حجراً أو مجازاً أي: صار كالحجر في الصلابة. وعلى قياسه تقول: (استشرق الغربي) أي: صار شرقياً، وقد يُراد منه الدخول في الشرق، فنقول: (أشرق الرجل) أي: دخل في شروق الشمس، وفي التنزيل في سورة الحجر: ﴿فَأَخَذَهُمْ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾<sup>(١)</sup> أي مصبين. وتقول: (أشرق القوم) أي دخلوا في وقت الشرق، وفي سورة الشعراء: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup> أي لحقوهم وقت دخولهم في شروق الشمس.

وفي كتاب (المستشرقون والدراسات القرآنية: للدكتور محمد حسين على الصغير) يعرف الاستشراق: "الاستشراق بمعنى موجز: دراسة يقوم بها الغربيون لتراث الشرق وبخاصة كل ما يتعلق بتاريخه، ولغاته، وأدبها، وفنونه، وعلومه، وتقاليده، وعاداته"<sup>(٣)</sup>.

### أما اصطلاحاً:

مصطلح الاستشراق يرجع إلى العصر الوسيط، بل إلى العصور القدية، أي إلى الوقت الذي كان فيه البحر المتوسط كما قيل يقع في وسط العالم، وكانت الجهات الأصلية تتحدد بالنسبة إليه. فلما انتقل ثقل الأحداث السياسية بعد ذلك من البحر المتوسط إلى الشمال، بقي مصطلح الشرق دالاً على الدول الواقعة شرق البحر المتوسط.

ويبدو أنَّ مصطلح الشرق لم يقتصر على هذه الرقعة جغرافياً فحسب، بل

تجاوز إلى غرب الجزيرة العربية، وشمال أفريقيا، وذلك بعد الفتوحات الإسلامية، فعدّت كل من مصر والمغرب وشمال أفريقيا، وما تعرّب من سكان هذه الدول من الشرق، فشملها هذا الاسم باعتبار دينها الإسلام، ولغتها العربية.

وكما تخطّى مصطلح الشرق حدوده الجغرافية إلى غرب الجزيرة العربية وشمال أفريقيا، فقد تخطّى مصطلح الاستشراق الغربيين، وتجاوزهم إلى المستعربين بعامة، فمن لم يعتنق الإسلام ديناً، ولم ينطق بالعربية لغةً، وكان من شأنهم أن يجثوا في تراث الشرق لغةً وأدباً. وإن كانوا شرقيين، فشملهم فعادوا مستشراً.

وحيث أنها يصحّ لنا إطلاق الاستشراق الروسي على المعنيين بالشؤون المشار إليها من قضايا الشرق الثقافية، وهكذا يقال الاستشراك الياباني أو الصيني، كما يقال الاستشراك الأميركي، أو الإنكليزي جنباً إلى جنب<sup>(٤)</sup>.

وعرّف آخرون الاستشراك اصطلاحاً: "هو علم يدرس تراث الشرق وحضاراته ومجتمعاته، ماضيها وحاضرها، ويدخل ضمن معنى الشرق، أي منطقة شرقية"، لكن (المصطلح) هنا يعني أحياناً: (مالة علاقة بالدراسات الإسلامية والعربية، أو اللغات التي أثرت العربية فيها، كاللغة التركية، والفارسية).

وبعبارة أخرى: إنَّ للاستشراك المصطلح إطلاقي:

الأول: البحث في تراث الشرق عامـة.

الثاني: البحث في تراث الإسلام، وكل ماله صلة به خاصة.

وقد بدأت هذه الدراسات تتسع حتى أصبح لكل دراسة مساحتها التي تُعنـى بها، فبدأ بعضهم يطلق على دراسة اللغة العربية، وشؤون العرب، تسمية الدراسات العربية (Arabistics).

ويطلق على المستشراين المتخصصين باللغة العربية مصطلح (المستعربين). وعليه فإنَّ الاستعراب فرع من فروع الاستشراك، وقد يتسع هذا المصطلح، ليشمل

كل باحث غير عربي قد تخصص في دراسة العربية وما يتعلق بها من العلوم والمعارف، حتى وإن كان شرقياً.

فالباباني أو الصيني مثلاً قد يكون مستعرباً، ولكن لا يمكن اعتباره مستشرقاً، لكونه شرقياً أصلاً بحكم الجغرافيا.

نعم يمكن اعتباره مستشرقاً من باب التوسع اللغظي، فيكون مستشرقاً بالمعنى الخاص. وبذلك تكون النسبة القائمة بين الاستشراق والاستعرب، نسبة العموم والخصوص من وجه، إذ يجتمعان في الغربي إذا نظر إلى العالم العربي، فهو حينها مستعرب ومستشرق.

ويفترق الاستعرب عن الاستشراق، إذا كان الدارس للشؤون العربية صينياً، أو يابانياً، أو هندياً. ويفترق الاستعرب عن الاستشراق، إذ لم تكن الدراسة الشرقية، التي يعني بها الغربي عربية، كأن تكون هندية، أو فارسية، أو تركية<sup>(٥)</sup>.

### نشأة الاستشراق وتاريخه

يمكننا حصر أراء الباحثين في تاريخ الاستشراق، في النقاط الآتية:

**الأولى:** يرجع بعض الباحثين الاستشراق إلى أواخر القرن السابع من الميلاد<sup>(٦)</sup>.

ويستند في ذلك إلى كتابات بعض المسيحيين من العرب عن الإسلام، من أمثال: (يوحنا الدمشقي) وأضرابه. إلا أن هذا الرأي غير منسجم مع المفهوم العام للاستشراق، لأن (يوحنا الدمشقي) لم يكن غربياً بل هو مسيحي عربي، أي شرقي، وليس مستشرقاً.

**الثانية:** ومنهم من يرجع الاستشراق إلى المرحلة التي نقل فيها الكنيسيون علوم الكنيسة، وفلسفة اليونان، من الحاضر العربية إلى روما، حين كانت الكنيسة في احتضار فكري، فبدأت هذه المرحلة منذ وقت مبكر في تاريخ الإسلام، فكان أعظم ما قام به العرب، بعد نشرهم الإسلام، قيامهم بترجمة آداب وفلسفات العالم،

وخاصة اليونانية، والهندية، والفارسية، ومناقشتها والرد عليها.

فكانت علوم الكنيسة من العلوم التي تناولوها بالترجمة، والنقد، والمناقشة. وكان للإسلام بذلك الفضل على الغرب. فبدون هذه الترجمات لم يكن لدى الغرب قدرة على استعادة تراثه اليوناني والروماني، وخاصة في العصر الذي أطغى الجهل فيه على جميع الشعوب الأوروبية<sup>(٧)</sup>.

**الثالثة:** هناك من الباحثين من يرى الاستشراق نتيجة طبيعية من نتائج الحروب الصليبية، لكونها آخر مراحل الصراع الديني المسلح بين المسلمين والمسيحيين؛ إذ توصل الغرب بعد ذلك الصراع الطويل إلى قناعة مفادها: (عدم إمكان التغلب على المسلمين عسكرياً، ما داموا متمسكين بدينهم وقرآنهم)؛ حيث قال في ذلك قائد الحملة الصليبية السابعة -والأخيرة- (لويس التاسع) وهو ملك فرنسا (١٢٢٦-١٢٧٠م)، إذ صرّح للجهات المعنية في أوروبا بعد عودته من أسره في مدينة المنصورة بمصر: "إنه لا جدوى من القتال مع المسلمين؛ لأنهم يملكون عقيدة راسخة تدفعهم إلى الجهاد، وتحضّهم على التضحية بكل ما يمتلكون، وعليه لا بدّ من الفصل بين المسلمين وبين مصدر قوتهم المتمثل بالقرآن الكريم، من طريق الغزو الفكرى".

فتبنّت الكنيسة هذا المشروع، وقامت برعاية كلّ الجهود الرامية إلى ذلك، وتطورت بالتدريج لتكون فيما بعد حركة الاستشراق؛ وعليه يكون الاستشراق نشأ في القرن الثاني عشر من الميلاد، مقترباً بظهور أول نتاج استشرافي بترجمة معاني القرآن الكريم، وظهور أول قاموس لاتيني - عربي<sup>(٨)</sup>.

**الرابعة:** منهم من يرى أنّ الاستشراق نشأ في القرن العاشر للميلاد، حيث بدأت الدراسة الغربية للشرق، والتي كان رائدها الراهب (جريير) الذي تعلم العربية في قرطبة، ثم عاد إلى بلاده ليتولى البابوية، ملقباً نفسه: (البابا سلفستر الثاني).

الخامسة: وأخيراً من يُرجع نشأة الاستشراق إلى القرن الثامن عشر، متخدّاً من حملة (نابليون بونابرت) على مصر نقطة انطلاق للحركة الاستشرافية، حيث اصطحب نابليون في حملته العسكرية مطبعةً وعدهاً من العلماء والباحثين، مما دفع إلى القول بأنّها بداية الاستشراق.

هذا ويحاول الدكتور (سعدون محمود الساموك) إرجاع جذور الاستشراق إلى القرن الميلادي الأول، فقد قال: "لا بد من التنويه إلى أنَّ دراسة الغربيين لأحوال الجزيرة العربية أو الشرق، قد سبقت عصر الصليبيين بكثير. وحسب آراء المؤرخين، فقد عثر على كتابٍ لمؤلفٍ غربيٍّ مجهول، بعنوان: (الطواف حول البحر الإريتري)، يعود وفقاً لرأي (الدكتور جواد على) إلى نهاية القرن الأول للميلاد"<sup>(٤)</sup>.

### دّوافع الاستشراق

إذا نظرنا إلى أهداف الاستشراق فنجد أنها متغيرة في مقصودها فمنهم غرضه التبشير، وبعض الآخر هو الاستعمار، وقسم آخر بهدف البحث العلمي فنوضح كالتالي:

#### أ- الدّوافع التبشيرية:

ذهب (رودي بارت) إلى أنَّ الهدف الرئيسي للمستشرقين في بدايات الاستشراق في القرن الثاني عشر الميلادي وفي القرون التالية له: هو التبشير، وعرفه بأنّه: "إنقاذ المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى الدين المسيحي"، ويمكن الرجوع في ذلك إلى الكتاب الذي وضعه: (نورمن دانييل) باسم: الإسلام والغرب (١٩٦٠م).

وقد أكدّ لهم المستشرقين التبشيرية الأستاذ (محمد البهي) بكتابٍ أسماه (المبشرون والمستشرقون) في موقفهم من الإسلام، وقد ردّ عليه الدكتور (محمد يحيى الهاشمي)، الذي فندَ أغلب النوايا الهاشمية للاستشراق، نحن لا ننفي جميع هذه

الادعاءات بنية التبشير، كما أنها لا نوافقها جميعاً، فمنهم للاستعمار أيضاً، كما أنّ منهم من هو منصف ببحثه العلمي وسنذكر أمثلة على ذلك.

يلحظ أنّ جماعة من المستشرقين قد وصف القرآن بأنّه نسيج من السخافات، وبأنّ الإسلام مجموعة من البدع، وبأنّ المسلمين وحوش، ومن ضمن من عبر بذلك من المستشرقين (نيكولا ديكيز، وفيتش، وفراتشي، وهوتنجر، ويلياندر، ويريدو) وغيرهم.

كما أنّ قسماً آخر من المستشرقين الألمان واليهود أمثال (فيل، وجولد سهير، وبول) قالوا بأنّ القرآن حرف وبديل بعد وفاة النبي ﷺ، وفي صدر الإسلام الأول، وأنّ النبي ﷺ كان يصاب بالصرع! وأنّ ما كان يسميه الوحي الذي ينزل عليه إنما كان أثر لنوبات الصرع! فكان يغيب عن صوابه، ويسلّم منه العرق، وتعتريه التشنجات، ونخرج من فيه الرغوة، فإذا أفاق من نوبته ذكر أنه أُوحى إليه، وتلا على المؤمنين ما يزعم أنه من وحي ربه.

وقد تكفل بالردّ على هذه المزاعم الكاذبة جملة من المستشرقين المنصفين لا سيما (السير ولIAM موير) في كتاب (حياة محمد): فكان ما تحدث فيه عن منزلة القرآن ودقة وصوله سالماً، خير ردّ على التجني والخذل الأعمى، واعتبر ذلك تهريباً عن البحث العلمي الرصين، وعقب على ظاهرة الوحي، فنفي ما افتراه الجاهلون على النبي ﷺ من حالات الصرع المدعاة، لأنّ حركة الشعور والتفكير تتقطع فيه تماماً العطل، وهذا ما نشاهده عياناً في حالات الإغماء، وقد أيد كل من (الأب هنري لامنس)، و(فون هامر) مذهب (موير) في التفريق بين حالة الصرع والوحي.

بينما زعم آخرون: بأنّ النبي ﷺ كان في القرآن ساحراً، وأنّه لم ينجح إلى كرسي البابوية، فاختبر ديناً جديداً لينتقم من زملائه. وقد هزّ هذا التحدي السافر المستشرق (آميل درمنجهام)، ففند أباطيل هؤلاء الدعاة وحمل عليهم، وردّ هذه

اللهم الرحيم التي خالفت الواقع.

وبذلك أدين المستشرقون المتطرفون بضم المستشرقين المنصفين<sup>(١٠)</sup>.

#### بــ الدوافع الاستعمارية:

وقد يكون دافع الاستشراق دافعاً استعمارياً تليه طبيعة عمل المستشرقين في البلدان العربية والإسلامية، من ضرورة إتقان اللغة، والتخصص بجملة من فنون الشرق، أن يشكك المسلمين بعقيدتهم، أو يسفّه أحلامهم، أو ينحو باللائمة على أئمتهم، أو يقلل من أهمية تراثهم.

يقول الأستاذ نجيب العقيقي: "فلما أرادت معظم دول الغرب عقد الصلات السياسية بدول الشرق والاعتراف من تراثه، والانتفاع بشرائه، والتزاحم على استعماره، أحسنت كل دولة إلى مستشرقيها فضمهما ملوكها إلى حاشياتهم أمناء أسرار وترجمة، وانتدبوهم للعمل في سلكي الجيش والدبلوماسية إلى بلدان الشرق، وولوهم الكراسي اللغات الشرقية في كبرى الجامعات والمدارس الخاصة، والمكتبات العامة، والمطابع الوطنية، وأجزلوا عطاهم في الحل والترحال، ومنحوهما ألقاب الشرف وعضوية المجامع العلمية"<sup>(١١)</sup>.

وقد يكون الدافع الاقتصادي الذي أوجده الجهد الاستعماري مرتبطةً بالهدف العلمي باعتبار الاستشراق مهنة عملية يوظف لها الأكفاء والمتخصصون، فأساتذة اللغات الشرقية في العصر الوسيط وترجمته عملوا لقاء أجراً، وأوائل المستشرقين وعلماء الجدل والموسرون نالوا جزاءهم بإرساء النهضة الأوروبية على التراث العربي<sup>(١٢)</sup>.

#### جــ الدوافع العلمية:

وهناك من المستشرقين الذين كرسوا جهودهم على الوصول إلى الحقيقة العلمية، وكان هدفهم البحث العلمي، والوقوف على الحقائق، ولم تتدخل الأهواء

في نقل ما توصلوا له من معارف، ووقائع وجودية، فأنصفو الناس في إيصال تلك النتائج والمعارف والحقائق العلمية إليهم.

فقد أخذوا على أنفسهم منهاجاً علمياً حيادياً وموضوعياً، تحرّد من جميع السلبيات التي واكبت الدراسات الاستشرافية الأخرى، ونذكر من أولئك على سبيل المثال: (جان جاكوب رسيكه)، (لورا فيشيا فاغليري)، (روجييه غارودي) وغيرهم<sup>(١٣)</sup>:

وهنا نتطرق إلى من هو أكثر المستشرقين شهرة وكتاباته عن القرآن والنبي محمد عليهما السلام، فنتطرق إلى تعريف المستشرق، وما يقوله في القرآن والنبي عليهما السلام، إلا وهو المستشرق: (ثيودور نولدكه) ونوجز حياته في سطور:

ولد (ثيودور دور نولدكه) في مدينة هامبورغ -التي أطلق اسمه فيما بعد على أحد شوارعها- في الثاني من مارس سنة ١٨٣٦م في أسرة عريقة قاتل قدماؤها الرومان، وشغل أفرادها مناصب إدارية وعلمية كبيرة. اشتهر (نولدكه) بمتانة الخلق وسعة الأفق، ووضوح الفكر، والتزامه أسلوباً علمياً صارماً طبع به الدراسات الشرقية طوال سبعة عقود من حياته. وقد درس اليونانية واللاتينية على يد والده، الذي كان وكيلاً للمدرسة الثانوية، ثمّ صار بعد ذلك ناظراً للمدرسة الثانوية في مدينة (النجن) وفيها قضى (نولدكه) من ١٨٤٩-١٨٥٣م، للاستعداد للدخول تحت إشراف أبيه، فأصبح ذا باع طويل في الآداب اليونانية واللاتينية. وكان قد بدأ قبل ذلك بالإلمام بمبادئ اللغة العبرية. كما وقع له حادث جسماني اضطره إلى الانقطاع فترة عن الدراسة في المدرسة الثانوية، فوجّهه (إنفالد) إلى دراسة اللغتين العبرية والعربية وأدابهما، فدرس عنده اللغة السريانية، كما حضر درس (برتو) عن الآرامية الخاصة بالكتاب المقدس، ودرس السنسكريتية عند (بنفاري)، وكذلك بدأ وهو طالب في الجامعة دراسة اللغتين الفارسية والتركية.

نال درجة الدكتوراه الأولى سنة ١٨٥٦ م وهو في العشرين من عمره على رسالته التي كتبها باللاتينية والتي تناول فيها (أصل القرآن وترتيب سوره) وبعد عامين من ذلك خصّ هذا الكتاب بدراسة عميقه، حينما أعلنت أكاديمية باريس عن جائزة لبحث يكتب في هذا الموضوع، فتقدم له (نولدكه) وتقاسم هو و(شبرنجر)، و(ميكليله آماري) الجائزة التي ضوعفت حتى نال كل واحدٍ منهم مبلغ (١٣٣٣) فرنكاً فرنسياً<sup>(١٤)</sup>.

والعجب أنه لم يرحل إلى البلاد العربية والإسلامية مطلقاً، رغم تخصصه في لغاتها، وأدابها، وتاريخها، وجغرافيتها.

تزوج (نولدكه) سنة ١٨٦٤ م، وكانت ثمرة هذا الزواج عشرة أولاد من البنين والبنات، توفي ستة منهم أثناء حياته. وبعد وفاة زوجته بأربع سنوات، وفي ربيع ١٩٢٠ م بالتحديد ارتحل (نولدكه) إلى مدينة (كارلسرويه) في منطقة الراين الأعلى، حيث أقام في منزل ابنه الذي كان آنذاك يعمل مديرًا للسكك الحديدية، حيث قضى عقده الأخير، وكانت وفاته، في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر، عام ١٩٣٠ م<sup>(١٥)</sup>.

#### ظاهرة الوحي عند نولدكه:

أولاًً قبل الشروع في هذا الموضوع، نتطرق إلى تعريف الوحي، ومفهومه، واختلاف أنواعه، وما هي المعاني المختلفة من هذا المفهوم، والأسباب التي دعت بعض الغربيين إلى التنكر من الوحي، ثم العودة إلى الإيان به، وما هو منظورهم للوحي الذي يتلقاه نبينا محمد ﷺ فنقول:

#### أ- الوحي في اللغة:

الإشارة، والكتابة، والمكتوب، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته على غيرك، وأوحى إليه: بعثه، وأهمه...، والوحي: السيد الكبير، والنار، والملك،

والعجلة، والإسراع.... واستوحاه: حركه وداعه ليرسله<sup>(١٦)</sup>.

#### بـ- الوحي في المصطلح الديني:

ما ينزله الله على أنبيائه ورسله، قال محمد فريد وجدي:

"إنَّ الْوَحْيَ لِغَةٍ هُوَ الْإِعْلَامُ فِي خَفَاءٍ، ثُمَّ اصْطَلَحَ عَلَى أَنَّهُ تَعْلِيمُ الله لِأَنْبِيَائِهِ أَمْوَارَ الدِّينِ بِوَاسِطَةِ الْمَلَائِكَةِ يَرْسِلُهُمْ إِلَيْهِمْ، وَهُوَ بِهَذَا الْمَعْنَى عَامٌ فِي أَكْثَرِ الْأَدِيَانِ السَّمَاوِيَّةِ وَلَا سيَّما الْأَدِيَانِ الإِبْرَاهِيمِيَّةِ الْثَّلَاثَةِ الْكَبْرَىِ: الْيَهُودِيَّةِ وَالْمُسْكِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ"<sup>(١٧)</sup>.

#### جـ- استعمالات الوحي في القرآن الكريم:

لقد استعمل الوحي في القرآن الكريم في معانٍ مختلفة منها:

١- الإباء، كما في قوله تعالى حكاية عن زكرياء عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾<sup>(١٨)</sup>.

٢- الإهام الغريزي والفطري، قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَيَّ التَّحْلِيلَ أَنَّ الْتَّخْذِيَّ مِنَ الْحِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾<sup>(١٩)</sup>.

٣- الإعلام أو الخطور الباطني، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ مُوسَى أَنَّ أَرْضَعِيهِ فَإِذَا خَفِتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَخْرُنِي إِنَّا رَادُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٢٠)</sup>.

٤- الوساوس الشيطانية، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوْحُونَ إِلَيْ أَوْلَيَاءِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنَّ أَطْعُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾<sup>(٢١)</sup>.

٥- الوحي السماوي، الذي يتلقاه الرسل والأنبياء من مصدر غيبي بجامع الخفاء، وقد استعمل في القرآن بكثرة، وأوضحى هو المراد في المصطلح الديني، وعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أَمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾<sup>(٢٢)</sup>.

وكقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا

## الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾

### د- الفرق بين الوحي النبوي وغيره:

لقد أدى عدم الالتفات عند البعض إلى استعمال القرآن لكلمة الوحي في معنียه، اللغوي والاصطلاحي إلى الخلط والاشتباه، إذ ساوى بين الوحي الذي ينزل على الأنبياء، والوحي الذي ينزل على غيرهم من الصالحين والعرفاء، ومن هم دون الأنبياء في القدسية، مما أدى هذا الالتباس إلى اعتبار الوحي تجربة دينية يخوضها النبي على المستوى الشخصي، كما يحصل لسائر الأولياء والصالحين، في حين أن هناك بوناً شاسعاً بين الوحيين، ولبيان الفارق بين الوحي النازل على الأنبياء وغيره النازل على سواهم، أخذ المتكلمون من المسلمين يطلقون على الوحي النازل على غير الأنبياء تسميته بالإلهام، أو الخطور النفسي، تقييزاً له عن الوحي النبوي. وهو وإن كان كذلك في الغالب، ولكنه ليس دائماً بالضرورة، فلا يمكننا أن نقول بأنّ الملك الذي مثل للسيدة مريم العذراء عليه السلام كان حضوراً نفسياً أو إلهاماً؛ وعليه نقول: إنّ الوحي النازل على النبي يتاز بأمور منها:

أولاً: إنّ النبي يعلم مصدر الوحي، وأنّه من الله عزوجل، بخلاف الوحي النازل على غيره فليس من الضرورة لمن يستشعره من الأولياء والصالحين أن يعلم مصدره.

ثانياً: إنّ الوحي النازل على الأنبياء هداية الناس، وإخراجهم من الضلال إلى الهدى فلا بد من أن يكون الموحى إليه معصوماً من الخطأ على مستوى التلقى والتبلیغ، فـأي احتمال للخطأ أو اللبس في حقه يعدّ تغريراً ونقضاً للغرض، ومخالفاً للحكمة من بعثته وإرساله. ويدور نزول الوحي الرسالي على النبي مدار توفره على هذه العصمة وعدم انسلاخه منها، فلو انسلاخ منها انسلخت النبوة منه وزالت عنه، وبذلك قال الله عزوجل على نحو الشرطية غير المتحققة: ﴿وَلَوْ تَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَفَوَيْلِ \* لَأَخْدُنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتَيْنِ \* فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ

حَاجِزِينَ<sup>(٢٥)</sup>.

كما أخبرنا القرآن أيضاً عن (بلعم بن باعوراء) الذي وصل بطاعته مقاماً قارب فيه الأنبياء، فأضحت مستجاب الدعوة، ولكنه في لحظة ضعف أخلد إلى الأرض، فزال عنه جميع ما ناله بالاستحقاقات السابقة، وعاد خاسراً خاسئاً حسيراً، قال تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾<sup>(٢٦)</sup>.

وعليه يكن القول: إنّ الوحي باعتبار معانيه اللغوية والاصطلاحية مفهوم مشكك، يختلف في مراتبه شدةً وضفافاً بحسب سعة وقبول الأفراد، فيبدأ درجاته الضعيفة آخذًا منحى صعودياً، حتى يبلغ الذروة عند الأنبياء والمرسلين، على الشروط المتقدمة التي تتوفر فيهم دون سواهم<sup>(٢٧)</sup>.

وعلى غرار ما تقدم من التفريق بين الوحي وغيره نأتي إلى كلام المستشرق (شودور نولدكه).

كيف آمن (نولدكه) بنبوة محمد ﷺ؟

لم تسر نظرة الغرب بالنسبة للوحي على و蒂رة واحدة، فقد تغيرت النظرة إليه طردياً مع التغيرات التي عصفت بهذا العالم ابتداءً من القرون الوسطى إلى عصر النهضة، ثم الثورة الصناعية، وصولاً إلى معجزة الروح، والظاهرة الأرواحية التي سادت المجتمعات الغربية في نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر للميلاد، فقد ثبت علمياً أنّ للإنسان شخصية باطنية وراء شخصيته الظاهرة، وأمنوا بهذه الشخصية. إلا أنهم على رغم إيمانهم هذا أنكروا على هذه الشخصية أن تتصل بما وراء الغيب، دون أن يقدموا دليلاً على توقفهم عند هذا الحد، اللهم إلا أن نعزوا ذلك إلى انقطاع عهد النبوات منذ أن التحق النبي الأكرم ﷺ بالرفيق الأعلى، فانقطع الوحي السماوي، واستمرّ على مستوى ما يصطلاح عليه بالإلهام، الذي لا

(٢٨) . (٢٩)

يصل بصاحبـه إلى مستوى الوحيـ، والاتصال بالغـيبـ، وفقـاً لـمعنى المصطلـحـ، من هنا فقد نـسـجـ (نـولدـكـ) بـوصفـهـ واحدـاًـ منـ أولـئـكـ الغـربـيـنـ عـلـىـ هـذـاـ المـنـوـالـ، فـآمـنـ بـنـبـيـةـ رـسـولـ اللـهـ عـلـيـهـ وـالـلـهـ عـلـيـهـ وـالـلـهـ عـلـيـهـ عـلـىـ هـذـاـ الطـرـيقـةـ الـخـاصـةـ، فـقـالـ: "لـابـدـ لـنـاـ مـنـ الـاعـتـرـافـ بـأـنـ مـحـمـداـ كـانـ بـالـحـقـيقـةـ نـبـيـاـ، إـذـاـ مـحـصـنـاـ شـخـصـيـتـهـ بـتـجـرـدـ وـتـمـعـنـ، وـفـهـمـنـاـ النـبـوـةـ فـهـمـاـ صـحـيـحاـ"

منـ حـقـنـاـ أـنـ نـتـسـاءـلـ: مـاـ هوـ الـفـهـمـ الصـحـيـحـ لـلـنـبـوـةـ عـنـ (نـولدـكـ)؟ـ  
وـقـدـ أـجـابـ عـنـ ذـلـكـ قـائـلاـ: "جـوـهـرـ النـبـيـ يـقـومـ عـلـىـ تـشـيـعـ روـحـهـ مـنـ فـكـرـةـ دـيـنـيـةـ ماـ، تـسيـطـرـ عـلـيـهـ أـخـيـراـ، فـيـتـرـاءـىـ لـهـ مـدـفـوعـ بـقـوـةـ إـلهـيـةـ، لـيـلـعـ مـنـ حـولـهـ مـنـ النـاسـ تـلـكـ الفـكـرـةـ عـلـىـ أـنـهـ حـقـيقـةـ مـنـ اللـهـ"ـ (٣٠)ـ (٣١)ـ .

فـهـنـاـ يـتـضـحـ لـنـاـ التـنـاقـضـ الـذـيـ عـلـيـهـ (نـولدـكـ)ـ أـوـلـاـ يـقـولـ: إـنـهـ يـقـولـ جـوـهـرـ النـبـيـ عـلـيـهـ وـالـلـهـ ...ـ فـكـرـةـ دـيـنـيـةـ مـاـ تـسيـطـرـ عـلـيـهـ أـخـيـراـ، فـيـتـرـاءـىـ لـهـ أـنـهـ مـدـفـوعـ بـقـوـةـ إـلهـيـةـ ...ـ عـلـىـ أـنـهـ حـقـيقـةـ مـنـ اللـهـ عـلـيـهـ، وـبـعـدـهـاـ يـقـولـ: لـابـدـ لـنـاـ مـنـ الـاعـتـرـافـ بـأـنـ مـحـمـداـ كـانـ بـالـحـقـيقـةـ نـبـيـاـ، فـهـنـاـ نـجـدـ التـهـافتـ فـيـ كـلـامـهـ؛ كـيـفـ أـنـ النـبـيـ عـلـيـهـ وـالـلـهـ كـانـ نـبـيـاـ بـالـحـقـيقـةـ، وـقـدـ فـسـرـ النـبـيـ عـلـيـهـ وـالـلـهـ أـنـهـ مـتـأـثـرـ بـفـكـرـةـ وـهـمـيـةـ دـيـنـيـةـ تـسيـطـرـ عـلـيـهـ، وـبـيـتـرـاءـىـ لـهـ أـنـهـ مـدـفـوعـ بـقـوـةـ إـلهـيـةـ!ـ فـإـذـاـ مـاـ هـوـ عـنـدـكـ يـاـ (نـولدـكـ)ـ مـعـنـيـ النـبـيـ؟ـ إـمـاـ هـوـ نـبـيـ مـرـسـلـ مـنـ قـبـلـ اللـهـ، أـوـ هـوـ إـنـسـانـ لـيـسـ بـنـيـ وـبـيـتـرـاءـىـ لـهـ أـنـهـ نـبـيـ بـسـبـبـ الـوـهـمـ الـذـيـ يـعـيـشـهـ مـنـ الـفـكـرـةـ الـدـيـنـيـةـ الـمـسـيـطـرـةـ عـلـيـهـ؟ـ أـوـ نـقـولـ إـنـ (نـولدـكـ)ـ قـدـ فـهـمـ النـبـوـةـ فـهـمـاـ خـاطـئـاـ، أـيـ كـلـ مـنـ تـسيـطـرـ عـلـيـهـ فـكـرـةـ دـيـنـيـةـ، حـتـىـ الـمـصـابـ فـيـ عـقـلـهـ يـحـسـبـ نـفـسـهـ أـنـهـ مـرـسـلـ وـنـبـيـ فـيـكـونـ عـلـىـ هـذـاـ الـمـقـيـاسـ عـنـ (نـولدـكـ)ـ نـبـيـاـ عـلـىـ الـحـقـيقـةـ.

وـالـغـرـيـبـ أـنـهـ ذـاـ مـاـ يـلـتـزـمـ بـهـ (نـولدـكـ)ـ عـلـىـ الـمـسـتـوـيـ الـعـلـمـيـ، فـالـنـبـوـةـ عـنـدـهـ ثـوـبـ فـضـفـاضـ يـتـسـعـ لـكـلـ مـنـ يـتـقـمـصـهـ وـبـرـتـديـهـ، حـتـىـ لوـ كـانـ مـهـرـجـاـ مـثـلـ (مـسـيـلـمـةـ الـكـذـابـ)، وـ(ـطـلـيـحةـ)، وـ(ـمـتـبـيـةـ)ـ، وـ(ـسـجـاجـ)ـ الـتـيـ اـنـتـهـتـ جـوـلـتـهـاـ الـدـيـنـيـةـ مـعـ تـجـربـةـ

(مسيلمة) إلى مشروع خيري وعاطفي تم توجيهه أخيراً بحفلة زفاف<sup>(٣٢)</sup>.

كما أن العجيب بالنسبة لـ(نولدكه) الذي قرأ تاريخ المسلمين والإسلام أن يجعل مستوى النبوة إلى هذا الحد من السذاجة وعدم رزانة العقل بحيث يصدق بفكرة تسيطر عليه؟، وكيف أنه (نولدكه) غاب عن ذهنه ونسي المعاجز التي سطرها التاريخ عن النبي ﷺ، اللهم إلا أن يكون (نولدكه) لا يعترف بها بأنها معاجز، ويعتبرها أكاذيب في نظره مع أنها من التاريخ، وأكذ عليها المسلمين في إحصاءها، فهل (نولدكه) يؤمن ببعض التاريخ ويكره ببعض مع كثرة تواته؟ وهو الملقب عنه بشيخ المستشرقين، فكيف لم يلحظ أهمية أن يأتي مدّعي النبوة ببيانات وبراهين وأدلة تصدق مدعاه؟ ولو أتى أحداً إلى (نولدكه) وقال له إنينبي ومرسل فهل يصدقه بمجرد سماعه، أم يطلب منه أدلة مدعاه؟ هذا بالنسبة لشخصه هو، فكيف يسمح لشعوب وأمم آمنت بالنبي من دون ما تتأكد من مدعاه؟ وهل كل تلك الأمم والشعوب بهذا المستوى من السذاجة تصدق رجلاً بمجرد أن تأثر بفكرة؟!

وقد قال السيد الخوئي في بيان ذلك: "إن السفاراة الإلهية من المناصب العظيمة التي يكثر لها المدعون، ويرغب في الحصول عليها الراغبون، ونتيجة هذا أن يشتبه الصادق بالكافر، ويختلط المضل بالهادى، وإذاً فلا بد لمدعى السفاراة من أن يقيم شاهداً واضحاً يدل على صدقه في الدعوى، وأمانته في التبليغ، ولا يكون هذا الشاهد من الأفعال العادية التي يمكن لغيره أن يأتي بنظيرها، فينحصر الطريق بما يخرق النوميس الطبيعية، وإنما يكون الإعجاز دليلاً على صدق المدعى، لأن المعجز في خرق للنوميس الطبيعية، فلا يمكن أن يقع (الخارق) من أحد إلا بعنایة من الله تعالى وإقدار منه، فلو كان مدّعى النبوة كاذباً في دعواه، كان إقداره على المعجز من قبل الله تعالى وإغراء بالجهل، وإشادة بالباطل، وذلك محال على الحكيم تعالى، فإذا ظهرت المعجزة على يده كانت دالة على صدقه"<sup>(٣٣)</sup>.

والمعجزة التي جاء بها نبينا ﷺ بحيث يراها ويلمسها من زمانه إلى

### مذهب (نولدكه) في الإعجاز القرآني:

يوم القيمة خالدة ما خلد الدهر ألا وهي القرآن الكريم فقد جاء في كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٣٤)</sup>.

لقد فرغ (نولدكه) الإعجاز القرآن الكريم من محتواه ويفهم من كلامه أنه لا يعتقد بإعجاز القرآن، بل يعتقد أنّ النبي محمدًا ﷺ تحدى المشركين بشيء لا علم لهم به، ولا معرفة وعليه فإنه جاء لهم بشيء لا حول لهم ولا قوة، بمعنى آخر لا يسمى تحدياً لأن التحدي فيما يقدرون عليه من ما اشتهروا به، كما جاء النبي موسى عليه السلام ببياض يده وقلب حقيقة العصا إلى حقيقة الشaban، في قوم سحرة يراءون للناس ويختيّلون لهم أن العصي تنقلب حيات وثوابين، كما جاء النبي عيسى عليه السلام لقوم يشتهر فيهم الطب فكانت معجزته يبرئ الأكمه ويحيي الموتى وهكذا، فترجع إلى ما يعتقد (نولدكه) في إعجاز القرآن فكان يقول: "إذا تفحصنا تحدي محمد عن كثب، اكتشفنا أنه لم يتحدى خصوصه أن يأتوا بما يضاهى القرآن من ناحية شعرية أو خطابية (بلاغية) بل يضاهيه من حيث الجوهر (عقائدية) وهذا مالم يكن في وسع أعدائه بطبيعة الحال فكيف كان لهم أن يدافعوا عن الإيمان القديم بالله، وكان على اقتناع شديد به، بالطريقة نفسها التي دفع فيها ذاك عن وحدة الله وما يتعلّق بها من عقائد؟"<sup>(٣٥)</sup>.

ونحن إذا رجعنا إلى كلام (نولدكه) لوجدنا أنه يرجع إلى هذا النوع من الحال، وعليه لا يمكن أن يكون ما قاله صحيحاً، إذ لا يمكن للمشركين أن يأتوا بما هو توحيد؟ مع بقائهم على الشرك، للتنافي الذاتي بين الشرك والتوحيد، نظير التنافي بين الزوجية والثلاثة، وهذا يفسّر أيضاً إشكالنا على النصارى حين ذهبوا إلى التشليث، مع ادعائهم التوحيد، وعليه لا يمكن أن يكون النبي قد تحداهم بهذا النوع من التحدي الحال في ذاته<sup>(٣٦)</sup>.

بل إن المراد من التحدي هو الإعجاز البلاغي والبيان، أو أن الإعجاز البلاغي هو أحد وجوه الإعجاز القرآني (وحتى الآن لم تنجح أي محاولة في هذا المجال).

#### محاولات فاشلة في معارضة القرآن:

حاول (شيدور نولدكه) إثبات بعض المحاولات الناجحة بزعمه في معارضته القرآن والإتيان بعلمه، فقال: "لم يتلاش تحدى محمد من دون صدئ. ففى أثناء حياته وبعد فترة قليلة من وفاته ظهر فى أماكن مختلفة من شبه الجزيرة العربية رجال ادعوا أنهم أنبياء قومهم، وأنهم يتلقون الوحي من الله عز وجل. هؤلاء هم لقيط بن مالك العماني، ذو الخمار عبهرة بن كعب الأسود، وطليحة الأسدى، ومسيلمة التميمى، وأخيراً (النبيّة) سجاح. وقد أطلقوا آيات لم تصلنا منها إلا أقوال مسيلمة، وهى مع أنها لا تتعذر كونها شذرات فقط، تطلعنا على الأفكار الدينية التى نشرها هذا الرجل. ولكونه ديناً وعى قوته وأراد أن يجذب إليه العالم كله، لأن الدين الحق الأفضل، أعلن الإسلام الفتى الذى كان يجاهد من أجل بقائه أن كل هذه الحركات خداع الشيطان وعلمه".<sup>(٣٧)</sup>.

تفقىباً على هذا الكلام نقول: إن هذا العدد الكبير من أدعياء النبوة من الذين لم يدعوها إلا بعد أن شاهدوا ما وصل إليه النبي ﷺ من سطوة، وما حققه من انتصارات على أعدائه حتى أخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، فظروا إلى الأمر من زاويتهم المادية البحتة، ورأوا في انتصار النبي ﷺ غلبة له على خصومه، ومن هنا أطلق أبو سفيان كلمته المشهورة حين قال للعباس عم النبي ﷺ يوم فتح مكة: "لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً".<sup>(٣٨)</sup>.

فالمسألة عنده وعند أمثاله مجرّد ملك وزعامة دنيوية، ولذلك كثر أدعياء النبوة عندما فتح الله عليه، وتصوروا أن بإمكانهم بلوغ ما بلغه النبي ﷺ بمجرّد ادعاء النبوة والظهور بنزول الوحي عليهم، وإلا أين كانوا حينما كان المسلمين مستضعفين، يتخطّفهم الناس من كل جانب، وذاقوا ما ذاقوا من العذاب والعنّت

## والحصار والمقاطعات؟! (٣٩).

**أولاً:** نتساءل هل الذي كما يدعوه (نولده) أنه خداع الشيطان وعمله، أن الشيطان لا يجعل أولياءه يدعون إلى الخير طوال حياتهم، ومن كان في بداية ادعاءه أنه يريد المصلحة للناس والعباد، لا بد وأن يأتي يوم وبظاهر كذب هذا الادعاء، وفساد مرماه ومقصده، فيظهر الظلم بعد أن يصل إلى مقام السلطة والرئاسة وهذا ما نراه في كثير من حكام الزمان الظالم، حيث يدعى أنه منقذ الشعب، وإذا صار في مقام الرئاسة، أذاق شعبه ويلات من العذاب، فهل كان النبي محمد ﷺ من هذا القبيل يا (نولده)؟ أما قرأت التاريخ وأنت من يقال عنه أنه تخصص في التاريخ الإسلامي - أن كثيراً من أصحابه - وهو في هذا المقام الأول في الدولة الإسلامية - ممن يتجرأ على النبي ﷺ ويسيء إليه فضلاً عن أعداءه، حتى قال روحه فداء: «ما أؤدينبي مثل ما أؤديت».

**ثانياً:** هل قال العلماء فيمن ادعى النبوة من بعده في أن ادعائهم وأقوالهم وتصرفاتهم أنها توافق الحكمة والعقل والعلم المكتشف كما جاء بالنسبة للنبي محمد ﷺ ولو كان كذلك لظهرت لنا حكمهم وأقوالهم، ولنقلها التاريخ لنا فإذاً لو كان لبان.

ونأتي ببعض الشواهد على صحة مدعى النبي ﷺ من المسلمين وغيرهم فنقول:

ما أفاده السيد الحوئي قده حيث قال: "أخبر القرآن الكريم في غير واحد من آياته عما يتعلّق بسِنِ الكون ونواميس الطبيعة وغيرها مما لا سبيل إلى العلم به في بدء الإسلام، إلا من ناحية الوحي الإلهي، وبعض هذه القوانين وإن علم بها اليونانيون في تلك العصور، أو غيرهم ممن لهم سابق معرفة بالعلوم، إلا أنَّ الجزيرة العربية كانت بعيدة عن العلم بذلك، وإن فريقاً مما أخبر به القرآن لم يتضح إلا بعد توفر العلوم

وكثرة الاكتشافات، وهذه الأنباء في القرآن كثيرة<sup>(٤٠)</sup>.

هذا من جانب بعض من جهة المسلمين، أما بعض من جهة الغربيين فنقول: قال (رينوت) في الإعجاز العلمي: "يجب أن نعترف بأنَّ العلوم الطبيعية والفلك والرياضيات التي أنشئت أوروبا في القرن العاشر مقتبسة من القرآن"<sup>(٤١)</sup>.

وقال المستشرق الفرنسي (موريس بوكاي): "إذا أخذنا مستوى ما بلغته العلوم في عصر محمد بنظراً للاعتبار، لم يعد بإمكاننا أن نصدق بأنَّ القرآن نتاجٌ بشري، وذلِك لما يحتويه هذا الكتاب من العقائد العلمية في الكثير من مضامينه... وعليه من المعقول جدأً عدم الالتفاء باعتبار القرآن وحياً فحسب، بل ويجب علينا أن نضع <الوحى القرآني> في مرتبة ممتازة جداً، لما يتمتع به من أصالة مضمونه في إثبات حقائق علمية لم يؤمن بها العلم الحديث إلا من خلال البحث والتحقيق، بعد أن كان يعدّها تحدياً للفرضيات البشرية"<sup>(٤٢)</sup>.

هذا وعلم الحديث يكشف لنا كل يوم عن حقائق و المعارف جديدة ودقيقة وعظيمة، مما تطرق إليها القرآن الكريم الذي هو معجزة نبينا عليه وآله.

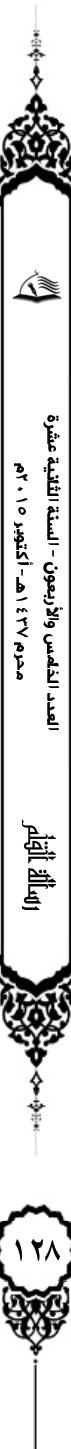
## الخاتمة

إنَّ المقام ليطول في ذكر أحقانية النبي عليه وآله، ومعجزاته التي شهد بها الأعداء قبل الأصحاب وال المسلمين الذين أيقنوا بصدق ما جاء به الرسول عليه وآله، ولكن لو كان حسب ما يدعوه (نولدكه) بأنَّ الذي جاء به النبي عليه وآله هي مجرد تخيلات، وخدع شيطانية، لكان فرصة واسعة وساحة لأعدائه بأن يظهروها، في مواجهته وتکذيبه، وهذا مالم يقدروا عليه، بل اعترفوا بعجزهم عن مواجهته، ولذلك حاولوا أن يُشنوه عن هدفه وهو إبلاغ الرسالة بإغرائه بمناصب فقال مقولته المشهورة: «والله لو وضعوا الشمس في يمي و القمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه»<sup>(٤٣)</sup>.

فأردت في هذه الأسطر القليلة أن أذكر بعض التفاهات التي ذكرها المستشرق (نولدكه) لأنّ المقام لا يسع أن نذكرها جميعاً.

#### الهوامش:

- (١) الحجر: ٧٣.
- (٢) الحجر: ٦٠.
- (٣) المستشرقون والدراسات القرآنية: للدكتور محمد حسين علي الصغير: ص ١١.
- (٤) المصدر السابق: ص ١١-١٢ بتصرّف.
- (٥) قراءة نقدية في تاريخ القرآن، حسن علي حسن مطر الهاشمي: ص ١٦-١٨.
- (٦) الاستشراق أهدافه ووسائله لمحمد فتح الله الزيداني: ص ٢٤، ط ١٩٩٨.
- (٧) المصدر السابق: ص ١٨-٢٠.
- (٨) المصدر السابق: ص ٢٠-٢٢.
- (٩) المصدر السابق: ص ٢٢-٢٤ بتصرّف.
- (١٠) المستشرقون والدراسات القرآنية للدكتور محمود حسين علي الصغير: ص ١٣-١٥.
- (١١) المصدر السابق: ص ١٤-١٥.
- (١٢) المصدر السابق: ص ١٦-١٧.
- (١٣) قراءة نقدية في تاريخ القرآن للمستشرق ثيودور نولدكه، حسن علي حسن مطر الهاشمي: ص ٣١-٣٢.
- (١٤) المصدر السابق: ص ٩٧-٩٨.
- (١٥) المصدر السابق: ص ١٠١.
- (١٦) المصدر السابق: ص ١٢١.
- (١٧) قراءة نقدية في تاريخ القرآن، للمستشرق ثيودور نولدكه، حسن علي حسن مطر، ص ١٢٤ - ١٢٢.
- (١٨) مريم: ١١.
- (١٩) النحل: ٦٨.



مِدْرَسَةُ الْمُتَّقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ - السَّنَدُ الْمُتَّقِيَّ عَلَيْهِ  
جَمِيعُ الْمُؤْمِنُونَ - ١٤٣٧ هـ - ٢٠٠٥ م



- (٤١) نفس المصدر: ص ١٧٨ نقلًا عن الإعجاز العددي في القرآن لبيضون، لبيب: ص ٨٩، مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٥، بيروت.
- (٤٠) المصدر السابق: ص ١٧٣-١٧٢، نقلًا عن كتاب الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن.
- (٣٩) المصدر السابق: ص ١٦٠.
- (٣٨) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٣٣، ص ٢٠٨.
- (٣٧) نقلًا عن كتاب نولذكه، ثيودور، تاريخ: ج ١، ص ٥١.
- (٣٦) المصدر السابق: ص ١٥٣.
- (٣٥) نفس المصدر: ص ١٥٢-١٥٣، نقلًا عن نولذكه، ثيودور، تاريخ القرآن: ج ١، ص ٥٠-٥١.
- (٣٤) الحجر: ٩.
- (٣٣) قراءة نقدية في تاريخ القرآن للمستشرق ثيودور نولذكه - حسن على حسن مطر الهاشمي ص ١٥٠، نقلًا عن البيان في تفسير القرآن للسيد أبو القاسم الخوئي: ص ٣٧-٣٨، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، قم المقدسة، ٢٠٠٧.
- (٣٢) المصدر السابق: ص ١٤٩.
- (٣١) قراءة نقدية في تاريخ القرآن ص ١٤٧.
- (٣٠) نقلًا عن نولذكه، ثيودور، تاريخ القرآن: ج ١، ص ٣.
- (٢٩) قراءة نقدية في تاريخ المستشرقين: ص ١٤٦-١٤٧.
- (٢٨) نقلًا عن نولذكه، ثيودور، تاريخ القرآن: ج ١، ص ٤.
- (٢٧) المصدر السابق: ص ١٢٥-١٢٧ بتصرف.
- (٢٦) الأعراف: ١٧٦-١٧٥.
- (٢٥) الحاقة: ٤٤-٤٧.
- (٢٤) المصدر السابق ص ١٢٢-١٢٤.
- (٢٣) يوسف: ٣.
- (٢٢) الشورى: ٧.
- (٢١) الأعما: ١٢١.
- (٢٠) القصص: ٧.

- (٤٢) نفس المصدر: ص ١٧٨، نقلًا عن القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم لبوكاي، موريس: ص ٣٠٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦.
- (٤٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٦.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ يَأْتِيَنِي  
 شَرٌّ مِّنْ يَدِي وَمِنْ يَدِ الْمُجْرِمِينَ  
 فِي الْأَرْضِ وَمِنْ أَنْ يَأْتِيَنِي  
 شَرٌّ مِّنْ أَنَا أَعْمَلُهُ وَمِنْ أَنْ يَأْتِيَنِي  
 شَرٌّ مِّنْ يَدِ أَهْلِ أَهْلِ الْمُنْكَارِ



# الوفاء بالعقود

(القسم الثاني)

الشيخ جعفر سلمان آل طوق

## مقدمة تربط بين القسم الأول والثاني

ذكرنا في القسم الأول من البحث أنَّ الكلام في آية (الوفاء بالعقود) تارة يقع في مرحلة المقتضي وأخرى في مرحلة المانع، ففي المرحلة الأولى يتم البحث في جهتين، أولاهما: المراد من العقود في الآية، والأخرى في المراد من (أوفوا) وقد انتهينا في القسم الأول من البحث عن الجهة الأولى.

أما الجهة الثانية فقلنا: إنَّ هناك عدة مسالك في تفسير المراد من الوفاء في الآية تعرضاً فيما مضى إلى مسالك ثلاثة من الأعلام وهم: الشيخ الأعظم الأنباري، والحق الأصفهاني، والحق النائيني تَسْبِيحُهُ، وبيننا الإشكالات الواردة على كل مسلك. وبقي علينا في هذا القسم التعرض إلى مسلك الحق السيد الخوئي تَسْبِيحُهُ - الذي هو البحث الرابع في هذه الجهة - ومسلك الشيخ الوحيد الخراساني حَلَقَةُهُ، وبه سينتهي البحث عن مرحلة المقتضي، ثم نتكلّم في مرحلة رفع المانع، أي: نقوم بدراسة الإشكالات التي ذكرت حول الاستدلال بالآية.

#### المبحث الرابع: بيان نظر السيد الخوئي في الإشكال عليه

ذهب السيد الخوئي إلى أن الآية يستفاد منها الإرشاد كما ذكر أستاذه الحق النائيني ولكن ذكر تقريراً آخر للإرشادية وحاصله<sup>(١)</sup>:

توجد قرينة على حمل الأمر بالوفاء في الآية على الإرشادية وبها نرفع اليد عن الظهور الأولى للأمر في الملوية وهذه القرينة هي أنه لو حملنا الأمر بالوفاء على الوجوب لكان لازم ذلك أن فسخ العقد حرام تكليفاً وهو باطل بالضرورة؛ إذ الفسخ ليس من المحرمات الشرعية بضرورة الفقه، وبناءً على ذلك يرتفع كلا الإشكالين اللذين أوردا على بيان الحق النائيني.

وقد نوقش هذا التقرير بمناقشات أهمها ما يلى:

##### المناقشة الأولى:

إن ما ذكره مبني على أن الأمر بالوفاء يعني الأمر بعدم الفسخ فيقال حينئذٍ: إن عدم الفسخ ليس واجباً مولوياً أو الفسخ ليس حراماً بالضرورة، ولكن لا نسلم بأن المراد بالأمر بالوفاء ذلك، فقد تقدم عند استعراض كلام الحق الأصفهاني في أن الأمر بالوفاء إشارة إلى وجوب الوفاء العملي وحرمة النقض العملي ولا يعقل أن تكون الآية دالة على عدم الفسخ.

##### المناقشة الثانية:

أشرنا سابقاً عند مناقشة كلام الشيخ الأعظم في أنه يوجد عندنا عهد وعقد على النتيجة وعهد وعقد على الفعل، وبناءً عليه نقول: لو كانت الآية ناظرة إلى خصوص العقد على النتيجة لتزدّلنا عن الإشكال الأول وسلماناً أن معنى الوفاء هو عدم الفسخ؛ إذ العقد على النتيجة لا يستتبع فعلاً كما تقدم بيانه، فيكون معنى وجوب الوفاء بعقد البيع الذي يعني ملكية الدار للمشتري هو عدم الفسخ، ولكن الأمر بالوفاء في الآية يشمل العقود والعقود على الأفعال والنتائج - كما سيأتي بيانه

في الإشكال الثالث - فلا بدّ من تفسير الوفاء بمعنى يناسبهما.

### المناقشة الثالثة:

تخصيص آية الوفاء بالعقد على النتيجة ممنوع؛ لأنّ نفس المستدل وهو السيد الخوئي قدّر التزم بأنّ معنى العقود في الآية هو العهد أو العهد الموثق، وهذا المعنى هو الذي ذهب إليه أكثر الأعلام كما اتضح سابقاً، وهو ما جاء في رواية ابن سنان الواردة في تفسير الآية، فلا وجه لتخصيص الآية بالعقد الاصطلاحي، وحينئذ لا بدّ من أن يفصل بين العقد على الفعل والعقد على النتيجة، فيحمل الأول على التكليف ويحمل الثاني على الإرشاد، وهذا مما لا يمكن الالتزام به؛ إذ لا يعقل حمل مفاد **﴿أَوْفُوا﴾** على كليهما؛ لأنّ التكليف من سُنْنَةِ الْإِنْشَاءِ، والإرشاد من سُنْنَةِ الْإِخْبَارِ، فلا يعقل الجمع بينهما، وعلى فرض معقوليته فهو خلاف ظاهر الآية.

والنتيجة: أنه لا يصح حمل الآية على الإرشاد، والوجه في ذلك ما ذكرناه سابقاً من أنّ صيغة الأمر ظاهرة في الملوية لصدور الطلب من المولى، ولا تحمل على الإرشادية إلا بالقرينة، وهي مفقودة في المقام.

### المبحث الخامس: بيان نظر المحقق الشيخ الوحيد الخراساني حَفَظَهُ اللَّهُ<sup>(٢)</sup>

التزم بأنّ مفاد الآية هو الوجوب التكليفي الملوبي كما ذهب إليه الشيخ الأعظم قدّر ولكن طريقة الاستدلال مختلفة، ويمكن بيان كلامه في مرحلتين: ففي المرحلة الأولى تقوم بإثبات المقتضي، وفي المرحلة الثانية نرفع المانع وهي الإشكالات التي سجلها الأعلام على كلام الشيخ قدّر.

#### المرحلة الأولى: إثبات المقتضي

لا بدّ من تفسير مفاد **﴿أَوْفُوا﴾** بالحكم التكليفي الملوبي وذلك للأسباب

التالية:

١- مقتضى القاعدة الأولية في الأوامر هو حملها على الملوية والتکلیف كما

تقديم، فحمل الصيغة على الإرشاد مخالف لأصله الظاهر.

٢- حمل الآية على الإرشاد مناف لظهور الآيات الدالة على أن الوفاء المأمور به تكليفي وهذه الآيات هي:

أ- قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾<sup>(٣)</sup> والمفروض أن العهد هو العقد.

ب- قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْوُلًا﴾<sup>(٤)</sup>.

ج- قوله تعالى: ﴿بَلَّ مَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ وَاتَّقِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

د- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَاهَدُوهُمْ رَاعُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

ه- قوله تعالى: ﴿فَلْ أَتَخَذْنُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾<sup>(٧)</sup>.

فهذه الآيات تدل على أن نقض العهد مبغوض والوفاء محظوظ، وهذا يتناقض مع حمل الآية في مقامها على الإرشاد للزوم. فمن الواضح أنه لا فرق بين قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُهُودِ﴾ وبين قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾، فلا يصح حمل الأولى على الإرشاد والثانية على التكليف.

٣- حمل الأمر بالوفاء على الإرشاد إلى اللزوم مناف للأخبار الدالة على أن الوفاء بالعهد والعقد حكم تكليفي مولوي، وهذه الأخبار هي ما نقله العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار في كتاب العشرة وهي ما يلي:

أ- ما رواه الصدوق رحمه الله في الخصال بسنده عن الحسن بن مصعب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ثلاثة لا عنز لأحد فيها، أداء الأمانة إلى البر والفاجر، والوفاء بالعهد للبر والفاجر، وبر الوالدين بينانا أو فاجرين»<sup>(٨)</sup>.

ومن الواضح دلالة الرواية على أن الوفاء بالعهد حكم مولوي تكليفي وليس هو حكم وضعية وذلك لقرنينتين في الرواية:

القرينة الأولى: الرواية في صدد نفي المعدورية المساوقة للتنجيز، وهذا إنما



يتصور في الحكم التكليفي دون الوضعي؛ إذ لا يتعلق الوعيد به.

القرينة الثانية: قرينة السياق، حيث سيقت الفقرة المستدل بها في المقام وهي الفقرة الثانية بين فقرتين الحكم فيها تكليفي وهما: أداء الأمانة وبر الوالدين، فقد قال تعالى:

«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا»، وقال تعالى: «وَإِذْ أَحَدْنَا مِيشَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُنَّ إِلَّا اللَّهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا»<sup>(٩)</sup>. وحيث إنّ الحمول في الفقرات واحد فيتعين كون المراد من الفقرة الثانية هو الحكم التكليفي.

ب-ما رواه الشيخ الصدوق عليه السلام في الحصول عن عنبسة بن مصعب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ثلاث لم يجعل الله لأحد من الناس فيهن رخصة: بر الوالدين، بربان كانوا أو فاجرين، ووفاء بالبر والفاجر، وأداء الأمانة إلى البر والفاجر»<sup>(١٠)</sup>.

ومن الواضح أنّ الترخيص وعدمه إنما يرتبان بالتكاليف دون الأحكام الوضعية، مع أنّ نفي الترخيص مثبت للوجوب التكليفي دون الوضعي.

ج-ما رواه الشيخ عليه السلام في الحصول بسنده عن عبد الله بن بكير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أربعة أسرع شيء عقوبة: رجل أحسنت إليه ويكافيك بالإحسان إليه إساءة، ورجل لا تبغى عليه وهو يبغى عليك، ورجل عاهدته على أمر فن أمرك الوفاء له ومن أمره الغدر بك، ورجل يصل قرابته ويقطعنوه»<sup>(١١)</sup>.

ومن الواضح أنّ الرواية تدل على ترتيب العقوبة على الأمور الأربعة، ولا يعقل ترتيبها على الحكم الوضعي بل هي تترتب على الحكم التكليفي ابتداءً أو الحكم الوضعي المترتب عليه حكم تكليفي.

د-ما رواه الشيخ الصدوق عليه السلام في الحصول بسنده عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلوات الله عليه وآله قال: «أربع من كن فيه فهو منافق، وإن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد

غدر، وإذا خاصم فجر»<sup>(١٢)</sup>.

ولا يخفى دلالة الرواية على الحكم التكليفي.

هـ- ما رواه الشيخ المفید رحمه الله في أمالیه بسنده عن الحسن بن زید عن الصادق عن آبائہ عليهم السلام قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «أقربکم غدا منی في الموقف أصدقک للحديث، وأدأک للأمانة، وأوفاک بالعهد، وأحسنک خلقاً وأقربک من الناس»<sup>(١٣)</sup>.  
وهناك روایات أخرى من قبيل هذه الروایات تدل على الترغیب في الوفاء بالعهد وتنہی عن نقض العهد والخیانة.

النتیجة: من کل ذلك أن المستفاد من هذه النصوص وغيرها فضلاً عن دلالة الكتاب أنّ وجوب الوفاء بالعهد وجوب تکلیفی وليس إرشاداً إلى حکم وضعی، خصوصاً مع مناسبة مادة الوفاء والنقض للحكم التکلیفی، فکل ذلك یوجب الخروج عن إجمال الآية ویتعین ظهورها في التکلیف وفاقاً للشيخ الأعظم والحق الأصفهانی رض، بل نترقی أكثر من ذلك ونقول: إنّ جملها على الحكم الإرشادي یلزم منه تاله فاسد؛ وذلك لأنّه یوجد ثلاثة احتمالات في المقام وهي:  
**الاحتمال الأول:** أن یقال بدلالة هیئته أَوْفُوا على الحكم الإرشادي دون التکلیفی، وهذا فاسد لأنّه یلزم رفع اليد عن ظهور هیئة الأمر في المولوية والتکلیف.

**الاحتمال الثاني:** أن یقال بدلالة الهیئة على كلا الحکمین أي التکلیفی ولو ضعی، وهذا أيضاً باطل لمحذورین:

١- لزوم استعمال هیئته افعل في معنیین، وهو إما محال أو خلاف الظاهر كما حقق في محله.

٢- لزوم الجمع بين الحکمین المتضادین، إذ الحكم التکلیفی متقوّم بما فيه الاقتضاء والتخییر، أما الحكم الوضعی فهو متقوّم بما ليس فيه الاقتضاء والتخییر،

فهم حكمان متضادان لأن النسبة بينهما هي الوجود والعدم.

الاحتمال الثالث: استعمال الهيئة في الجامع بينهما أي الجامع بين الحكم التكليفي والحكم الوضعي، وهذا الاحتمال فاسد أيضاً؛ لعدم إمكان تصور جامع حقيقي بينهما، نعم كلاهما مشتركان في إطلاق الحكم عليهما ولكن مجرد الشركة العنوانية غير مجدية في وجود الجامع بينهما بعد التباهي الحقيقي بينهما، فلا يمكن تصوير الجامع بينهما.

هذا تمام الكلام في المرحلة الأولى وهي إثبات المقتضي، واتضح دلالة الآية على الحكم المولوي التكليفي كما ذكر الشيخ قتيلش.

#### المرحلة الثانية: رفع المانع:

في هذه المرحلة نحاول رفع الإشكالات الواردة على الاستدلال السابق وما أثاره الأعلام من لوازم فاسدة على حمل الآية على الحكم التكليفي.

#### الإشكال الأول وجوابه:

ما هو المانع من فرض أن الآية **(أَوْفُوا بِالْعُهُودِ)** قضية حقيقة، ومقتضى الانحلال في القضايا الحقيقة تعدد المصاديق فيتبعه تعدد الحكم من كونه تكليفياً أو إرشادياً؟

وبعبارة أخرى، إننا لا نقول إن الآية بنفسها تدل على الحكمين الوضعي والتكليفي حتى تأتي الإشكالات السابقة، بل إن الحكمين تابعين لتعدد المصاديق الحاصلة بسبب انحلال القضية الحقيقة، فكل مصدق يتباعه الحكم المناسب له فلا يلزم استعمال الهيئة في معنيين.

**الجواب عن ذلك:** بأن انحلال القضية الحقيقة إلى قضايا عديدة بعد مصاديقها إنما يكون بعد فرض صلاحية اللفظ لذلك كما في مثل (أكرم العلماء)، فالعقل يقوم

### الإشكال الثاني وجوابه:

ما أشكل به الآخوند تثث على الشيخ الأعظم تثث، وخلاصته: أنَّ المراد من الوفاء هو وجوب العمل بمقتضى العقد، وبالتالي نقول: إنَّ حرمة التصرف في المبيع من مقتضيات الملكية الحاصلة بسبب العقد فليس هو-التصرف في المبيع- مقتضى العقد، بل مقتضى مقتضاه، أي الملكية، وعليه لا معنى لتفسير وجوب الوفاء بالعقد بالحكم التكليفي وهو حرمة التصرف في المبيع.

وقد أجاب بعض الأعلام المعاصرین رحمه الله بقوله: "مناقشة المحقق الآخوند+ صحيحه لا غبار عليها فيما لو التزمنا بأنَّ المراد من الوفاء هو وجوب العمل بمقتضى العقد ليس إلا، فيصبح حينئذ عدم جواز التصرف في المبيع من مقتضيات الملكية الحاصلة دون ذات العقد إلا أنَّ البحث في أصل هذه الدعوى، وأنَّ وجوب الوفاء هل منحصر في خصوص الأمر الاعتباري - وهو التزام العمل بمقتضى العقد وعدم الفسخ دون غيره- أم أنَّ الوفاء يقتضي فضلاً عن ذلك القيام بالعمل الخارجي ولو على نحو الموجبة الجزئية؟ وهذا ما ينبغي التحقيق حوله.

فنقول: لا شك [في] أنَّ الوفاء أمر عرفي يجب أن نعود إليه في تحديد المصداق فالمرجع في صدق الوفاء بالمعاملة هو العرف العام والوفاء عندهم -فضلاً عن دلالة

بتحليل هذه القضية وتطبيقها على مصاديقها مع وحدة المعنى في الجميع، ولكن مع اتحاد اللفظ وتعدد المعنى لا يصح الانخلال لأنَّنا نقع في مشكلة استعمال اللفظ في أكثر من معنى.

ولهذا في المقام عندنا هيئة واحدة **﴿أوفوا﴾** إما هي مستعملة في الحكم التكليفي، أو الإرشادي، أو كليهما، أو الجامع بينهما، وقد عرفت سابقاً بط LAN الاحتمالات الثلاثة الأخيرة فيتعين الاحتمال الأول فالحكم التكليفي مستفاد من الهيئة، وليس الحكم مستفاد من مقام التطبيق كما ذكره المستشكل.

اللغة- بمعنى إنتهاء الأمر وانتهاء الشيء وإتمامه، ولذا نجدهم لا يحددون المصداق بخصوص الأمر الاعتبارى بل يتجاوزون إلى الأمور الخارجية ويؤكدون أن تسلیم المبيع إلى المشتري بعد العقد من مصاديق الوفاء بالعقد حقيقة ويتعلق به التکلیف، ولا يخفى أنه مع إمكان تعلق التکلیف بالأمر الخارجی ولو بالوجبة الجزئیة يصبح رفع اليد عن ظهور الهيئة في التکلیف وحملها على الوضع مخالفًا للقاعدة. نعم لا ندعى أن عدم جواز التصرف في المبيع يعد من مقتضيات العقد حتى يرد علينا ما سبق ذكره، بل دعونا أن العرف وارتكاز العقلاء يرى تسلیم المتعاقدين وإقراض المثمن من مقتضيات العقد ومن لوازم الوفاء به على نحو الدوام والاستمرار حيث يلام المتخلّف عن الوفاء بهذا الشرط الارتكازى ويترتب على تخلّفه خيار عدم التسلیم.

والنتيجة: أنه لو فسخ العقد فإن عموم وجوب الوفاء يقتضي تسلیم المال إلى المشتري مما يكشف عن عدم نفوذ الفسخ وبقاء المال على ملك المشتري، وعليه فلو كان متعلق الوفاء أمراً اعتبارياً صح ما ذهب إليه طائفة من الأعلام -أى الإرشاد إلى اللزوم- ولكن بعدما ثبت أن متعلقه غير اعتباري فيتعلق به التکلیف فيتحقق ظهور آية الوفاء في المولوية دون غيرها برهاناً، ويثبت صحة مدّعى الشيخ +نختلف معه في طريقة الاستدلال<sup>(١٤)</sup>. و قريب منه ما أشار إليه العلامة سماحة السيد كاظم الحائرى حاشية<sup>(١٥)</sup>.

ثم قام حاشية بتوجيهه كلام الشيخ حاشية بحيث لا يرد عليه إشكال الآخوند حاشية، وخلاصته: أنه لو تصرف الشخص في المال المنتقل عنه بالعقد بعنوان أنه مال الغير فلا يكون نقضاً للعقد ولا مخالفًا مع لزوم الوفاء به، فلا يرد عليه الإشكال السابق، نعم هو حرام للأدلة الأخرى الدالة على حرمة التصرف في مال الغير بدون رضاه وطيب نفسه.

ولكن لو تصرف فيه بعنوان أنه ماله فلا شك في أنه من مصاديق نقض العقد؛ إذ مقتضى العقد الامتناع عن التصرف في العين المباعة بعنوان أنه ماله، إذ هذا

### الإشكال الثالث وجوابه:

التصرف بعنوان أنه ماله يعد نقضاً عملياً للعقد، وعليه لو كان مراد الشيخ تبيّن أن العقد بذاته يقتضي عدم جواز التصرف في العين المنتقلة عنه بعنوان أنه ماله فهو تام.

### الجواب عن ذلك بأحد وجهين:

١- لا مانع من الالتزام بتعدد العقوبة؛ إذ تعددها تابع لتعدد عناوين المخالفة، وهنا يوجد عنوانان للمخالفة: أحدهما التصرف في مال الغير وعدم تكين المالك من ماله، والآخر عدم الوفاء بالعقد، فتتعدد العقوبة لتعدد المخالفة، ولا يوجد محذور عقلي أو نceği أو إجماع يمنع من هذا الالتزام.

٢- ما ذكره أحد السادة الأعلام حفظه حيث قال: "إإن قلت: إن لازم ذلك أن البائع مثلاً لو خالف التكليف الشرعي وغصب العين المباعة يشتند عقابه لأنّه فعل حرامين، أحدهما الغصب والثانى ترك الوفاء بالعقد، مع أنه لا إشكال في عدم الفرق بينه وبين أيّ إنسان آخر أجنبيّ عن هذه المعاملة يأتي ويغتصب هذه العين.

قلت: إن ثبت بمثل ضرورة فقهية أو وضوح لا يقبل الشك أو بظهور عرفى ناشئ من المناسبات أنهما سببان عرفنا أن السببين وهما الغصب وترك الوفاء بالعقد يتداخلان عند الاجتماع ويوجبان حكماً واحداً ليس بأشدّ وأشدّ من واحد من الحكمين كما هو الحال في كل حكمين بين موضوعهما عموم من وجہه، لو علمنا من الخارج بعدم

التأكد في مادة الاجتماع فلو ورد أكرم العالم وأكرم الهاشمي وعلمنا بعدم تأكيد الحكم في العالم الهاشمي ثبت عليه حكم واحد غير أكد من وجوب الإكرام في مادة الافتراق<sup>(١٦)</sup>.

هذا قام الكلام في بيان المسالك في تفسير مفاد هيئة **﴿أوفوا﴾**، واتضح أنه هناك اتجاهان في ذلك:

أحدهما: حمل الأمر على الملوية كما ذهب إليه الشيخ الأعظم والحق الأصفهاني وبعض الأعلام المعاصرين عليهم السلام، وإن اختلفوا في تقريب ذلك كما تقدم تفصيله.

واتجاه آخر حمل الآية على الإرشاد للزوم كما ذهب إلى ذلك الحق النائيني ووافقه تلميذه السيد الخوئي رض. وبهذا يتم الكلام في المقام الثاني.

والنتيجة: هي أنّ الآية تدل على الزوم إما بالدلالة المطابقة أو الالتزامية على اختلاف المسالك. أما صحة العقد فيستفاد من الدلالة الالتزامية، حيث إنّ لزوم العقد ملازم لصحته، فلا يصح التفكيك بينهما بأن يكون العقد لازماً ولكنه فاسد.

#### الفصل الرابع

##### الإشكالات العامة على الاستدلال بالآية والجواب عنها

نتحدث في هذا الفصل عن الإشكالات العامة على الاستدلال بالآية والجواب عنها.

##### الإشكال الأول:

ما ذكره الآخون قد يثني في حاشيته على المكاسب<sup>(١٧)</sup>، وحاصله: إن التمسك بالآية بعد صدور الفسخ من أحد المتعاقدين تمسك بالعام في الشبهة الموضوعية وهو غير جائز؛ إذ بعد صدور الفسخ نشك في وجود العقد لاحتمال زواله بالفسخ، ومع

عدم إحراز صدق العقد كيف يتمسك بإطلاق الآية؟!

وهناك إجابات على هذا الإشكال:

**الجواب الأول:** ما أفاده المحقق النائي قيش<sup>(١٨)</sup>:

وحاسله: هناك احتمالان في مادة العقد والعقد وهم:

**الاحتمال الأول:** أن يراد المعنى المصدري وبالتالي يكون الملحوظ جهة الفعل فيكون المعنى يجب الوفاء بما قمت به من فعل وهو الالتزام.

**الاحتمال الثاني:** أن يراد من العقد الاسم المصدري الذي هو نتيجة المصدر - أعني الالتزام - وهو العقد.

والإشكال المذكور إنما يرد لو كان الظاهر من الآية هو الاحتمال الثاني؛ للشك في صدق العقد بعد الفسخ، فيكون تمسك بإطلاق الدليل في الشبهة الموضوعية، أما لو كان المراد هو الاحتمال الأول فلا يرد الإشكال؛ إذ موضع وجوب الوفاء هو الالتزام الصادر من العقد، وهذا لا يزول بمجرد فسخه؛ لأنّ الالتزام صدر وانتهى. والظاهر من الآية هو الاحتمال الأول؛ إذ المناسب عرفاً للفظ الوفاء أن يكون متعلقه الفعل والجهة الصدورية من الفاعل، فإذا قام بعمل يقال له عليك الوفاء بما قمت به، وهذا يعني أنّ الملحوظ جهة الفعل الصادر من العقد فيكون المراد من العقد المعنى المصدري، فلا يرد الإشكال. وهذا الجواب مبني على استظهار الاحتمال الأول ويسلّم بورود الإشكال على الاحتمال الآخر.

**الجواب الثاني:** ما أشار إليه السيد الخوئي قيش<sup>(١٩)</sup>:

وحاسله: لا فرق بين كون متعلق الوفاء هو المعنى المصدري أو اسم المصدر، فالإشكال على كل حال لا يرد؛ لأنّ موضع وجوب الوفاء إلى الأبد إنما هو العقد حدوثاً، فإنه بمجرد حدوثه يثبت له وجوب الوفاء إلى الأبد، فيكون العقد حدوثاً موضوعاً لوجوب الوفاء المستمر بقاءً، فلا يكون مشكوكاً في نفسه لكونه مقطوعاً

في ظرفه، فيتمسك بالإطلاق بعد الفسخ أيضاً.

وعلى الإجمال، إن العقد حدوثاً يكون موضوعاً لوجوب الوفاء بقاءً، وهو ليس بشكوك أصلاً حتى لا يفيد التمسك بالإطلاق ويُنتج إلى الاستصحاب، بل هو مقطوع بعد الفسخ وقبله، نعم بعد تحقق الفسخ تكون الملكية مشكوكة ولكنها لا ترتبط بما نحن فيه. وعلى هذا فكلما نشأ في ارتفاع ذلك، أي وجوب الجري على طبق العقد السابق فيتمسك بالإطلاق. وقد وافقه على ذلك بعض تلامذته<sup>(٢٠)</sup>.

### الإشكال الثاني:

ما أشار إليه العلامة رحمه الله في المختلف<sup>(٢١)</sup> من أن الآية لا دلالة فيها على اللزوم؛ إذ غاية ما يستفاد منها وجوب العمل على مقتضى العقد من اللزوم والجواز، فلا تشبت لزوم كل عقد بل تقول إن كان العقد لازماً فالالتزام به وإن كان العقد جائزاً فلا يجب الالتزام به، أما أن هذا العقد بخصوصه لازم أو جائز فهي ساكتة عن ذلك.

### والجواب عن ذلك بوجهين:

١-اللزوم والجواز حكمان شرعيان ومن المجنولات الشرعية يتربان على المعاملة وليسدا داخلين في مدلولها، فلا يعقل أن يكون موضوع وجوب الوفاء هو العقد اللازم أو الجائز؛ إذ لا يعقل أن يكون الحكم جزء من الموضوع للزوم ما فرض متأخراً متقدماً وهو محال.

٢-إن اللزوم والجواز ليسا من مقتضيات العقد، فإذا تعلق الأمر بالوفاء بالعقد فمعناه وجوب الوفاء بمقتضى العقد، ومقتضى العقد هو مدلوله ومفاده، مثلاً مفاد عقد البيع هو الملكية وحصول النقل، فوجوب الوفاء بمقتضاه ومدلوله عبارة عن ترتيب آثار الملكية، والسر في ذلك أن العقد طبيعة واحدة ومقتضاه أيضاً ملكية واحدة ولم يؤخذ في مقتضاه كون الملكية جائزة أو لازمة، بل ما يقتضيه العقد نفس

الملكية، فإذا اقتضى العقد نفس الملكية في جميع العقود فإذا جاء الأمر بالوفاء بقتضاه يعني الأمر بترتيب آثار الملكية ومقتضى إطلاق هذا الأمر ترتيب آثار الملكية حتى بعد الفسخ وهذا هو الدال بالدلالة الالتزامية على اللزوم، بل مقتضى العموم الأحوالى للأمر - وهو **﴿أَوْفُوا﴾** - وجوب العمل على مقتضى العقد على نسق واحد في جميع العقود وهو ترتيب آثار الملكية فُسخ العقد أو لم يُفسخ وهو مساق للزوم إلا إذا قام دليل مُختص لـ **﴿أَوْفُوا بِالْعُهُود﴾** ودل على أن العقد جائز كما في عقد الهبة، وإن فمقتضى إطلاق الأمر بالوفاء هو لزوم المعاملة سواء تعقبها الفسخ أم لا، فهذا الإشكال الذي طرحته العالمة بنت ومن تبعه غير وارد.

### الإشكال الثالث:

النصوص قد دلت على أن المراد من العقود في الآية هي العهود وحينئذٍ نقول: إن المعاملات الجارية اليوم في السوق لا يصدق عليها العهد عرفاً، فلا يصح التمسك بالآية لإثبات لزوم المعاملات الجارية بين الناس لعدم صدق موضوع الآية عليها. والجواب عن ذلك: الصحيح أن كل عقد هو عهد، إذ حقيقة العهد هو الالتزام بالشيء، نعم قد يكون بينهما فارق مفهومي كما أشرنا إليه سابقاً، لكن هذا لا يؤثر شيء في المقام إذ يوجد بينهما اتحاد مصداقى، ففي المورد الذي يوجد فيه عقد فهناك عهد معه، فهما متّحدان مصداقاً - وإن قلنا بالتمايز المفهومي بينهما - فلا إشكال في صدق العهد - وهو الالتزام - على المعاملات السوقية الجارية بين عموم الناس، فجميع المعاملات مصاديق للعهد، والمهم في مقام الاستدلال ملاحظة الصاديق بما كان مصداقاً لموضوع الخطاب فإن الخطاب يشمله.

### الإشكال الرابع:

إن الآية مخصصة بمحضات كثيرة، وهذا يوجب وهنَا في الاستدلال بها

فيكون عموم الآية ساقط عن المحبة.

وببيان ذلك: إنّ هناك عقوداً كثيرة باطلة شرعاً كالمعاملات الربوية وبيع الكالي بالكالي و...، فيكون أكثر مصاديق العام قد خرج بالتخصيص، وهذا مع كونه قبيحاً فإنّه موجب لعدم بقاء ظهور الآية في العموم، فلا يمكننا الرجوع إلى أصلة العموم عند الشك في لزوم عقد ما فيسقط ما هو المهم منها.

والجواب عن ذلك بأمرتين:

١- إنّ دعوى كثرة التخصيص الوارد على عموم الآية متوقف على إثبات شمول الآية ابتداءً إلى هذه العقود الباطلة شرعاً كالعقد الربوي والغربي والسفهي وما شاكل ذلك، الحال أننا لا نسلم بذلك بل نقول إنّ عموم الآية منصرف عن هذه العناوين الباطلة فلا موضوع للتخصيص أصلاً، فضلاً عن كونه كثيراً مستهجناً. أما وجه الانصراف فلأنّ مناسبات الحكم والموضع تقتضي أنّ ما كان من قبيل النظام الثانوي كالوفاء بالعقد أو الشرط أو النذر لا بدّ من أن يكون في إطار الأنظمة الأولية والأحكام الموجودة في الشريعة، فلا معنى لشمول دليل الإمضاء لعقد يراه الشارع باطلاً، فإنّ هذا لا يخلو من استهجان عريفي يمنع من شمول دليل الإمضاء له.

٢- لو سلمنا شمول الآية لهذه العناوين من أول الأمر وقلنا بالتخصيص، ولكن هذا التخصيص ليس مستهجناً عرفاً.

وببيان ذلك: إنّ التخصيص في مورد القضايا الحقيقة على نحوين:

أ- التخصيص الكثير بلحاظ العناوين، وذلك بأن يخرج من القضية أكثر العناوين ولا يبقى تحت العام إلا العناوين القليلة، كما لو قال المتكلم: (أكرم العلماء)، ثم آخر جنا أكثر العناوين كالنحوي والبلاغي والفلكي و...، ولم يبقَ إلا الفقيه، فإنّ هذا النحو من التخصيص مستهجن عرفاً لا ينبغي حمل خطاب الشارع عليه.

بـ-التخصيص الكبير بلحاظ الأفراد، وذلك بخروج أكثر الأفراد ذات العناوين القليلة وبقاء الأفراد القليلة المندرجة تحت العناوين الأكثر تحت العام، ومثال ذلك أنه في المثال السابق لو أخرجنا من تحت العام عنوانين كالنحوي والفلكي، ولزم من ذلك خروج أفراد كثيرة وبقي تحت العام العناوين الأخرى الكثيرة، ولكن الأفراد المندرجة تحتها قليلة، فهنا لا نسلم استهجان العرف مثل هذا التخصيص ما دام بقى تحت العام أكثر العناوين، حيث إنّ القضية حقيقة، فالممحوظ فيها قابلية الانطباق؛ إذ الموضوع فيها مقدر الوجود.

وبالجملة إنّ تخصيص الأكثر مستهجن بلحاظ الحالة الأولى دون الثانية، وكل ذلك بالرجوع للمرتكزات العرفية، ومقامنا من قبيل الثاني؛ إذ الباقي بعد التخصيص أكثر عنوانين العقود فالعنوانين المخصصة ليست بتلك الكثرة الموجبة للاستهجان العرفي، نعم قد يكون الخارج أكثر الأفراد -على تأمل في ذلك- لكن هذا لا يضرُ كما عرفت.

#### الإشكال الخامس:

إنّ الآية جملة فلا يصح التمسك بها لإثبات حكم سواء كان تكليفياً أو وضعياً، وبيان ذلك في نقاط:

١- يوجد عندنا ظهوران في الآية:

أو هما: ظهور هيئة الأمر في المولوية.

ثانيهما: ظهور لفظ العقود في العموم لكونه جمعاً محلّي باللام، وبالتالي الآية تشمل العقد على الفعل كما في نذر الفعل، وتشمل العقد على النتيجة كما هو الحال في البيع وأمثاله من العقود الاصطلاحية.

٢- مقتضى الظهور الأول اختصاص لفظ (العقود) في الآية بالعقد على الفعل؛ إذ هو الذي يتصور فيه الحكم التكليفي؛ إذ لو عمنا الآية للبيع مثلاً ل كانت الآية

تدل على حرمة فسخ العقد، وهو باطل بالضرورة؛ إذ الفسخ بعنوانه ليس محرماً في الشريعة قطعاً، وبالجملة لو أردنا الحفاظ على الظهور الأول للزم رفع اليد عن الظهور الثاني.

٣- مقتضى الظهور الثاني رفع اليد عن ظهور الأمر في المولوية، فنتصرف في الظهور الأول بحمله على الإرشاد.

وبالجملة الحفاظ على الظهور الثاني يقتضي رفع اليد عن الظهور الأول. والنتيجة أنه يدور الأمر في الآية بين ظهورين لا يمكن الجمع بينهما، وهذا يقتضي التصرف في أحدهما، ولا مرجح في البين، فتكون الآية مجملة فلا يصح التمسك بها لإثبات حكم شرعي سواء كان تكليفياً أو وضعياً.

**الجواب:** يمكن الجواب عن ذلك بوجهين:

**الوجه الأول:**

هذا الإشكال مبني على أنه لا يعقل كون العقد على النتيجة كالبيع وأمثاله حراماً تكليفياً، وهذا قال المستشكل: إنّ حمل صيغة الأمر على المولوية يقتضي تخصيص لفظ (العقود) بالعقود على الأفعال، ولكن لا نسلم بذلك؛ حيث ذكرنا عند التعرض لمناقشة كلام السيد الخوئي فتبيّن أنه لا مانع من الالتزام بأنّ صيغة الأمر في الآية ظاهرة في التكليف، ولا قرينة على رفع اليد عن ذلك، وما ذكر كقرينة في المقام وهو دعوى أنّ الفسخ ليس من المحرمات الشرعية بالضرورة ليس تاماً؛ وذلك لأنّه يمكن الالتزام بحرمة الفسخ، ولعله وقع الخلط بين صورتين وهم:

**الصورة الأولى:** مجرد إنشاء الفسخ بحيث لا يستتبعه أي أثر بل مجرد قول الشخص: (فسخت) كلام صوري. وهذا لا إشكال في عدم حرمته للارتكاز المنزهي الضوري.

وليس هذا المعنى هو مراد من يلتزم بحمل الآية على المولوية التكليفية كالشيخ

## الوجه الثاني:

إن المستشكل خلط بين معنيين للحكم الإرشادي.

وبيان ذلك: أن الحكم الإرشادي له إطلاقان:

١- يطلق الحكم الإرشادي بمعنى كون المتكلم ناصحاً مرشدًا ومشيراً لحكم عقلي وليس في مقام إعمال المولوية كأوامر الطبيب، وبهذا المعنى يكون مقابلًا للحكم المولوي؛ لأن الحكم الإرشادي بهذا المعنى في حقيقته إخبار، وأما الحكم المولوي فهو إنشاء، ولا شك في أن الإخبار غير الإنساء.

٢- يطلق الحكم الإرشادي ويراد من الدلالة على الحكم الوضعي كاللزوم والصحة في مقابل الحكم الشرعي التكليفي.

والحكم الإرشادي بهذا المعنى مولوي لأنّه حكم وضعي، والأحكام الوضعية أحكام شرعية تصدر من المولى كما هو واضح.

إذا اتضح ذلك فنقول: إن المراد من الحكم الإرشادي في المقام هو الثاني، فلا يصح التقابل الذي ذكره المستشكل، فلا دوران بين الإرشادية والمولوية في المقام، نعم غاية ما في المقام أننا نرفع اليد عن ظهور الصيغة في المولوية التكليفية ونحملها على المولوية الإرشادية، فلم نتصرف في المولوية أصلًا؛ إذ أن إمضاء العقد وجعله

الأعظم والحق الأصفهاني فَلِيَهُمَا.

الصورة الثانية: أن يكون الفسخ مستتبعاً لحصول الأثر، كرجوع كل مال إلى صاحبه الأصلي، ولا مانع فقهياً من الالتزام بأن الآية تدل على حرمة إيجاد هذا الفسخ المستتبع لزوال العقد. ومراد الأعلام القائلين بحمل الآية على الحكم التكليفي هذا المعنى ولا ضرورة تقتضي بطلانه.

نعم هذا الجواب لا يصلح بناء على ما التزم به السيد الخوئي فتش من أنه لا يمكن الالتزام بأن فسخ العقد محروم تكليفاً، فنحتاج إلى جواب آخر.

غير منفسخ بالفسخ حكم مولوي شرعى، وبالجملة حمل الآية على الإرشاد ليس فيه تصرف في المولوية.

وعليه فالآية تدل على لزوم كل عقد سواء كان عقد فعل أو عقد نتيجة؛ إذ المراد من الأمر المولوي هو اعتبار شيء في ذمة المكلف من تكليف أو وضع، ففي مورد عقد الفعل هناك حكم تكليفي في ذمة العبد، وفي مورد عقد النتيجة كالبيع يوجد اعتبار للزوم. وقد أشار السيد الخوئي تبليغ إلى ذلك في مصباح الفقاہة أيضاً<sup>(٢٢)</sup>.

#### الإشكال السادس:

نسلم أنّ مقتضى الظهور الأولى هو حمل لفظ العقود على العموم لكونه جماعاً محلى باللام، ولكن نرفع اليد عن ذلك في الآية لاحتفاف الكلام بالقرينة، أو لا أقل من احتفاف الكلام بما يصلح للقرينية، وذلك مانع عن استظهار العموم كما حُقِّق في علم الأصول. وهذه القراءة هي تقدم طلب بعض أفراد العقود، إذ سورة المائدة نزلت في أواخر عهد النبي ﷺ، ولا شك في أنّ قبل نزولها قد علم من الشارع وجوب الوفاء بطائفة من العقود، كالعقود التي بين الله سبحانه وبين عباده، بل بعض العقود التي بين الناس بعضهم مع بعض. وتقدم طلب الوفاء بتلك العقود قرينة لإرادتها من قوله ﴿أَوْفُوا بِالْعُهُودِ﴾ خاصة أو يصلح قرينة لإرادتها، فلا يمكن التمسك لإرادة جميع الأفراد من الجمع المحلي. والقراءة الثانية على ذلك أنّ قوله تعالى: ﴿أَحِلْتُ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ﴾ إلى آخره تفصيل لبعض العقود أيضاً، وهذا أيضاً مما يضعف الحمل على العموم.

**والجواب:** أما القراءة الأولى وهي تقدم طلب بعض أفراد العقود فلا تصلح للقرينية على اختصاص الآية بتلك الأفراد، خصوصاً مع ملاحظة أنّ طلب الوفاء بهذه الأفراد تدربيجي وخلال عشرين سنة -بناء على أنّ الآية نزلت في أواخر عهد

النبي ﷺ، وهذا لا يوجب رفع اليد عن العموم المتأخر فهو كما لو قال المولى لعبيده: (أكرم زيداً)، ثم بعد مدة قال له: (أكرم بكرًا)، وهكذا في فترات متفاوتة، وكانوا من العلماء، ثم جاء وقال: (أكرم العلماء)، فلا يتوقف العرف في استفادة العموم من هذا الخطاب، ولو ترك العبد إكرام عالم ما بدعوى أنه ليس هناك ظهور في العموم لتقديم طلب إكرام بعض أفراد العلماء لما قبلوا منه هذا الكلام. نعم نسلم دخول تلك الأفراد تحت العموم، ولكن دعوى الاختصاص فاسدة .

وأما القرينة الثانية فالجواب عنها بأنّ مجرد تعقب الآية بقوله: **﴿أَحَلْتُ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ﴾** لا يصلح قرينة على صرف لفظ العقود في الآية إلى العقود الإلهية، أعني التكاليف الشرعية. ولو سلّمت قرينية ذلك فإنّما هي قرينة على شمول الآية للعقود الإلهية، حيث إنّها تعتبر مواثيق مأخوذة من البشر في عالم الذر أو الفطرة كما قال تعالى: **﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَّا تُرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾**<sup>(٢٣)</sup> فيصحّ تعليق الوفاء بذلك، ولكنّ هذا لا يعني اختصاص الآية بالعقود والمواثيق الإلهية، بل مقتضى إطلاقها شمولها للعقود التي تكون بين الناس.

#### الإشكال السابع:

إنّ حمل الآية على العموم يوجب كونها تأكيداً بالنسبة إلى العقود التي تقدم طلبها على نزول الآية وتأسيسها بالنسبة إلى ما لم يسبق طلبه، فيكون أمر واحد تأكيداً وتأسيسياً معاً كما في استعمال المشترك في معنييه وهذا غير جائز.

والجواب عن ذلك واضح، إذ إنّ صيغة الأمر لم تستعمل تارة في التأسيس وأخرى في التأكيد حتى يرد هذا الإشكال، بل الصيغة استعملت في النسبة الإرسالية والبعضية، أما التأسيس والتأكيد فهما أمران منتزحان بعد الاستعمال، فإذا كان الشيء مسبوقاً بالطلب ثم جاء المتكلم وطلبه مرة أخرى فتنزع التأكيد، وإن كان الطلب

ابتدائياً فننزع التأسيس. وبالجملة التأكيد والتأسيس ليسا داخلين في المعنى المستعمل فيه لفظ أصلاً.

## تنبيهان

### التنبيه الأول: حول شمول الآية للعقود الإذنية

أشرنا في المباحث التمهيدية<sup>(٢٤)</sup> إلى تقسيم العقود إلى أقسام ثلاثة: (العقود الإذنية - العقود العهدية التعليقية - العقود العهدية التجنجيزية). وقلنا إنَّ المراد بالعقود الإذنية -حسب ما أفاده النائي في تهئث- هي ما كان قوامه بالإذن ومحرر طيبولي الأمر ومالكه ورضاه ولا يكون فيه عهد والتزام، وهذه كالوديعة والعاربة، بناء على أن يكون مفادها الإباحة المجانية. وقد أفاد أنَّ هذا القسم لا ينطبق عليه عنوان العقد عرفاً ولا لغة، بل هو عقد باصطلاح الفقهاء فيكون خارجاً عن قوله: «أوفوا بالعقود» تخصصاً لا تخصيصاً؛ إذ العقد هو العهد المؤكَّد وما يكون فيه إلزام والتزام، وإنما تسمى عقوداً لأنَّها ترتبط بشخصين، لا لأنَّ فيها عهداً وعقداً.

ولكن يلاحظ عليه:

١- إنَّ تعريف العقد بأنه العهد المؤكَّد وما يكون فيه إلزام والتزام محل إشكال؛ إذ إنَّ العرف واللغة لا يساعد على ما ذكره، أما اللغة فلما عرفت عند التعرض لكلماتهم في المباحث التمهيدية أنَّ الصحيح هو أنَّ العقد مطلق العهد فيشمل مثل الوديعة، فقيد التأكيد ليس مندرج في مفهوم العقد لغة، وكذا الحال لو رجعنا للعرف فإنه لا يتوقف في إطلاق العقد على العقود الإذنية ويرى أنَّ صدق العقد عليها كصدق العقد على البيع والإجارة بلا فرق، فالعقد في العرف هو ارتباط شيء بآخر، فلا محل للتأنيد في الارتكازات العرفية.

نعم ذكر السيد المخوئي قد يثير نكتة أخرى لعدم شمول الآية للعقود الإذنية عند التعرض لإثبات أنّ المضاربة من العقود الجائزة حيث قال: "الوجه هو قصور أدلة اللزوم عن الشمول للعقود الإذنية التي لا يكون فيها أى التزام من أحدهما بشيء كي يشمله ﴿أوفوا بالعقود﴾ وأنّ من التزم بشيء فعليه أن ينهاه، وإنّما هي مجرد إباحة وإنّ في التصرف من أحدهما وقبول من الآخر كالعارض، وعليه فمتى ما رجع الإذن في إذنه لكونه مسلطًا على ماله يتصرف فيه كيف يشاء، ارتفع الموضوع ومعه يت遁ق الحكم لا محالة" <sup>(٢٥)</sup>.

٢- العقود الإذنية ليست مجرد الإذن والإجازة والإباحة؛ فإن هذه الأمور إيقاع وليس بعقد، بل المراد بالعقود الإذنية هي العقود التي يكون بناء الطرفين فيها على إمكان فك الالتزام فيعلم، كلا الطرفين أو أحدهما أنّ له فك الارتباط بقاءً، سواء كان هذا الفسخ سببه الخيار أم لا - كالعقود الجائزة - وهذا بخلافه في العقود الازمة التي لا خيار فيها.

### التنبيه الثاني: حول شمول الآية للعقود الجائزة

وقد أفاد سيدنا العلامة حـلـيـةـهـ أنّ الصحيح هو التفصيل في هذه المسألة <sup>(٢٦)</sup>، فإن العقود الجائزة على قسمين:

القسم الأول: ما كان جوازه حكمياً كالهبة مثلاً، فجواز العقد فيها بحكم الشارع، ولذا لا يمكن إلغاؤه أو إسقاطه ما لم تكن الهبة لذى رحم، أو يتصرف الموهوب له تصرفًا مغيراً للعين، ففي هذا القسم - وهو ما يكون الجواز حكمياً - قد يقال بالخروج التخصسي؛ إما لأنّ الهبة ليست بعقد أصلًا كما إذا عرّفنا العقد بأنّه ربط التزام بالتزام، وليس الهبة التزامات، فتخرج الهبة عن العقد تخصصاً، فلا تشملها الآية من الأساس، أو لأنّ الهبة وإن كانت عقداً إلا أنّ مورد الآية ما يصدق عليه الوفاء والنقض، حيث إنّ كل عقد يصدق على إبقاءه عنوان الوفاء وعلى

فسخه عنوان النقض يكون مندرجأ تحت الآية، وهذا لا ينطبق على عقد الهبّة؛ فإنّه لا يصدق على إيقائه عنوان الوفاء؛ لأنّه ليس فيه تعهد والتزام بالملكية المطلقة وإنما هو متضمن لإنشاء الملكية، فلذلك لا يكون إبقاء العقد وفاء ولا رفع اليد عنه نقضاً؛ فإن الإبقاء والنقض فرع وجود التزام بالملكية المطلقة، والهبة خالية عن ذلك، فلما لم يصدق على إيقائه الوفاء وعلى رفع اليد عنها النقض فهي خارجة عن الآية خروجاً تخصّصياً.

نعم لو قلنا بأنّ المراد بالوفاء الوفاء العملي فقط بمعنى ترتيب الأثر، فكأنّه قال: من عقد عقداً فليترتّب الأثر عليه، فحينئذٍ يصدق على بقاء الهبة عنوان الوفاء وعلى رفع اليد عنها عنوان النقض، لأنّ المراد بالوفاء مجرّد ترتيب الأثر، ومن النقض عدم ترتيبه، فلذلك يكون حكم الشارع بجواز فسخ الهبة تخصّصياً لقوله ﴿أوْفُوا بِالْعُقُود﴾ وليس خروجها خروجاً تخصّصياً.

القسم الثاني: ما يكون الجواز فيه جوازاً حقيّاً عن طريق الخيار كما في البيع، والمراد بالجواز الحقيّي الجواز الذي جعله الشارع حقاً للمتعاقدين، فلهما إسقاط هذا الحق ولهما إبقاءه، كما في الجواز عن طريق الخيار فإنه جواز حقي، وبالتالي فالجواز الحقي أيضاً على نوعين:

أ-الخيار عن طريق الشرط: كما لو اشترط البائع لنفسه الخيار في ضمن متن العقد، أو اشترط المشتري لنفسه الخيار في ضمن متن العقد، فهنا في هذه الصورة يلحقه حكم الهبة؛ لأنّه من الأول لم يلتزم البائع بالملكية المطلقة؛ لأنّه اشترط لنفسه الخيار أو لم يلتزم المشتري بالملكية المطلقة؛ لأنّه اشترط لنفسه الخيار فيأتي ما ذكرناه في الهبة من أنه إذا كان المراد بالوفاء الوفاء العملي بمعنى لزوم ترتيب الأثر شملته الآية، ولكن ما دلّ على جواز هدم العقد بركرة شرط الخيار تخصيص للآية، وأما إذا قلنا بأنّ المراد بالوفاء في الآية البقاء على الالتزام فالمفروض أن لا التزام في

هذا البيع المشروط بالخيار بالملكية المطلقة، فإذا لم يكن هناك التزام بالملكية المطلقة من الأول فلا يصدق على إبقاء العقد عنوان الوفاء، ولا يصدق على رفع اليد عنه عنوان النقض، فيكون خارجاً عن الآية خروجاً تخصصياً.

**ب- الخيار المجعل من قبل الشارع كخيار المجلس وختار الحيوان وختار الغن والعيوب، فإنه مما جعله الشارع لا مما جعله البائع لنفسه بخلاف الشرط، ففي مثل هذا المورد سواء قلنا بأنّ الوفاء عبارة عن الوفاء العملي أو قلنا بأنّ المراد بالوفاء التقيد بالالتزام فإنه على كلا التعريفين تكون الآية شاملة لهذا العقد، وإن كان فيه خيار المجلس أو خيار الحيوان أو خيار الغن والعيوب.**

فإذا كان الخيار لأحد الطرفين دون الآخر فمن الواضح حينئذٍ إنّ الآية تشتمل على الطرف الآخر الذي ليس له خيار؛ فإنه يجب عليه التقيد بالعقد؛ إذ ليس له خيار وإن كان الخيار للطرفين فإنّ الآية أيضاً تشتمل ذلك؛ إذ يجب على كل منهما التقيد بالعقد ما لم يفسخا، فما لم يفسخا فإنّ عليهما أن يتزما بالعقد لو لا ما دلّ على جواز الفسخ بأدلة الخيار الأخرى، فأدلة الخيار الأخرى تعتبر تخصيصاً للآية وإلا فالآية في نفسها شاملة للعقد الجائز جوازاً حقياً.

وبهذا نختتم البحث حول هذه الآية سائلاً المولى القبول، وأن يوفقنا للعلم والعمل الصالح، وأن ينظر إلينا نظرة رحيمة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سميع.

### الخلاصة

وفي ختام هذا القسم يمكن استعراض بعض نقاط من هذا البحث:

- ١- هناك أربعة أقوال مهمة في تفسير الوفاء بالعقد الوارد في الآية، تقدمت أقوال ثلاثة في القسم الأول وهي:  
القول الأول: ما ذهب إليه الشيخ الأعظم تبليغ وخلاصته: أنّ الآية تدل بالمطابقة

على الحكم التكليفي والزرم منزع منه.

القول الثاني: الآية يستفاد منها الحكم التكليفي الملوبي الحض وهو الأمر بالوفاء عملاً وحرمة النقض العملي بمعنى التعامل مع العقد معاملة العقد المؤثر حتى بعد الفسخ.

القول الثالث: ما ذهب إليه الحقائق النائيتين تبئن من أن **﴿أَوْفُوا﴾** صيغة أمر ظاهرة في الإرشاد إلى الزرم، لأن القاعدة في باب المعاملات تقضي أن تحمل الصيغة على الإرشادية ولا دلالة لها على التكليف، إذ من المقطوع به بحسب الارتكاز المتشرعي أن مجرد الفسخ ليس حراماً تكليفاً.

القول الرابع: ذهب السيد الحوئي تبئن إلى أن الآية يستفاد منها الإرشاد كما ذكر أستاذ الحقائق النائيتين تبئن، ولكنه ذكر تقريباً آخر للإرشادية وهو أننا لو جعلنا الأمر بالوفاء على الوجوب لكان لازم ذلك أن فسخ العقد حرام تكليفاً وهو باطل بالضرورة.

القول الخامس: ما نسب إلى أحد الأعلام المعاصرين عليه السلام في العقد النضيد: وهو أن الآية يستفاد منها الحكم التكليفي وهو وجوب الوفاء بالعقد وحرمة نقضه تكليفاً وذلك لسببين:

١- مقتضى القاعدة الأولية في الأوامر هو حملها على الملوية والتکليف كما تقدم، فحمل الصيغة على الإرشاد مخالف لأصل الظهور.

٢- حمل الآية على الإرشاد منافي لظهور الآيات والروايات الدالة على أن الوفاء المأمور به تكليفي.

ولا يوجد مانع من الالتزام بهذه النتيجة؛ إذ الإشكالات الواردة على هذا القول كلها غير تامة.

## النتيجة

الآية تدل على لزوم إما بالدلالة المطابقية أو الالتزامية، أما صحة العقد فيستفاد من الدلاله الالتزامية؛ حيث إنّ لزوم العقد ملازم لصحته، فلا يصح التفكيك بينهما بأن يكون العقد لازماً ولكنّه فاسد.

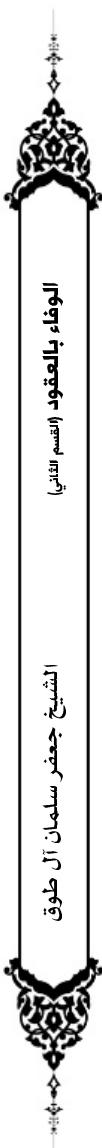
في الجهة الأخيرة تعرضت إلى أهم إشكالات الواردة على الاستدلال بالآية وهي سبعة إشكالات كلها غير قادمة. ثم أشرت إلى تنبئهين في آخر البحث، وقد ثبت شمول الآية للعقود الإذنية خلافاً للمحق النائيبي قىٰش، أما شمولها للعقود الجائزة ففيه تفصيل بين موارد الحواز الحكمي والمحقّي<sup>(٢٧)</sup>.

### الهوامش:

- (١) الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي، مصباح الفقاهة، ج٤، ص٣٠.
- (٢) لاحظ العقد النضيد، ج١، ص٢٨٧ / ج٦، ص٤٨.
- (٣) البقرة، الآية: ١٧٧.
- (٤) الإسراء، الآية: ٣٤.
- (٥) آل عمران، الآية: ٧٦.
- (٦) المؤمنون، الآية: ٨.
- (٧) البقرة، الآية: ٨٠.
- (٨) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، الحصال، ج١، ص٦١.
- (٩) البقرة، الآية: ٨٣.
- (١٠) المصدر السابق، ص٦٣.
- (١١) المصدر السابق، ص١٠٩.
- (١٢) المصدر السابق، ص١٢١.
- (١٣) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، أموال المفید، ص٦٦.
- (١٤) القمي، محمد رضا الأنباري، العقد النضيد، ج٦، ص٤٨-٤٩.

- (١٥) لاحظ فقه العقود للسيد كاظم الحائرى، ج ١، ص ٢٨١.
- (١٦) الخباز، السيد منير، دروس في فقه العقود، غير مطبوع.
- (١٧) لاحظ حاشية المكاسب للأخوند، ص ١٤٦.
- (١٨) الثنائيني، ميرزا محمد حسين غروي، منية الطالب، ج ٢، ص ٥.
- (١٩) الخوئي، السيد أبو القاسم، مصباح الفقاهة، ج ٤، ص ٢٧.
- (٢٠) التبريزى، جواد بن علي، إرشاد الطالب إلى التعليق على المكاسب، ج ٤، ص ٢٤.
- (٢١) الحلى، العلامة، حسن بن يوسف بن مطهر أسدی، مختلف الشیعه، ج ٦، ص ٢٥٥.
- (٢٢) الخوئي، السيد أبو القاسم، مصباح الفقاهة، ج ٤، ص ٢٧.
- (٢٣) الأعراف، الآية: ١٧٢.
- (٢٤) تقدم في القسم الأول من الموضوع في العدد السابق.
- (٢٥) الخوئي، السيد أبو القاسم، مباني العروة الوثقى، ج ١، ص ٣٩.
- (٢٦) ذكره العلامة السيد منير الخباز حَفَظَ اللَّهُ عَنْهُ في درسه في فقه العقود.
- (٢٧) مصادر البحث:  
\*القرآن الكريم
- (١) ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين، محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: احمد فارس، نشر دار الفكر، بيروت، ط ٣ / ١٤١٤ هـ.
- (٢) أبو الحسن، الشريف الرضا، محمد بن الحسن الموسوي، نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح، ط ١، ١٩٧٦ م.
- (٣) أبو الحسن، علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، تصحيح وتعليق: السيد طيب الموسوي الجزائري، نشر مؤسسة دار الكتاب، قم، ط ٣ / ١٤٠٤ هـ.
- (٤) أبو الحسين، احمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر دفتر تبلیغات، قم، ط ١ / ١٤٠٤ هـ.
- (٥) أبو حنيفة النعمان، محمد بن منصور، دعائم الإسلام، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، نشر دار المعارف، مصر، ط ١، ١٩٦٣ م.
- (٦) الأصفهاني، حسين بن محمد راغب، مفردات ألفاظ القرآن، نشر دار العلم، لبنان - سوريا، ط ١٤١٢ هـ.

- ٧) الأصفهاني، محمد حسين كمپانی، حاشية كتاب المكاسب (ط الحديثة)، تحقيق: عباس محمد آل سباع، نشر أنوار المدى، قم، ط ١٤١٨ هـ.
- ٨) الأيرواني، علي بن عبد الحسين نجفی، حاشية المكاسب، نشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامية، طهران، ط ١٤٠٦ هـ.
- ٩) البحراني، السيد هاشم الموسوي، البرهان في تفسير القرآن، نشر مؤسسة دار المجتبى، قم، ط ١٤٢٧ هـ.
- ١٠) البيضاوي، تفسير البيضاوي، نشر دار الفكر، بيروت.
- ١١) التبريزی، جواد بن علي، إرشاد الطالب إلى التعليق على المكاسب، نشر مؤسسة إسماعيليان، قم، ط ١٤١٦ هـ.
- ١٢) الحائری، السيد کاظم حسینی، فقه العقود، نشر مجمع الفكر الإسلامي، قم، ط ٢/١٤٢٣ هـ.
- ١٣) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصیل مسائل الشريعة، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ط ٢/١٤١٤ هـ.
- ١٤) الحلي، العلامة، حسن بن يوسف بن مظہر أسدی، مختلف الشيعة في أحكام الشريعة، نشر جامعة المدرسين، قم، ط ٢/١٤١٣ هـ.
- ١٥) الخباز، السيد منیر، فقه العقود (غير مطبوع).
- ١٦) الحراساني، الآخوند محمد کاظم بن حسین، حاشية المكاسب، تحقيق: السيد مهدی شمس الدين، نشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامية، طهران، ط ١٤٠٦ هـ.
- ١٧) الحميّي، السيد روح الله الموسوي، كتاب البيع، نشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الأمم الحميّي قيّث، طهران، ط ١٤٢١ هـ.
- ١٨) الحوئي، السيد أبو القاسم الموسوي، مصباح الفقاھة، نشر مكتبة الداوري، قم، ط ١.
- ١٩) الحوئي، السيد أبو القاسم الموسوي، محاضرات في أصول الفقه، تقریر: محمد إسحاق الفياض، نشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط ١٤١٩ هـ.
- ٢٠) دزفولی، مرتضی بن محمد أمین انصاری، كتاب المکاسب (ط حدیثة)، نشر مجمع الفكر الإسلامي، قم، ط ١٤٣٠ هـ.
- ٢١) الشیرازی، ناصر مکارم، الأمثل في تفسیر كتاب الله المنزل، نشر دار إحياء التراث



- العربي، لبنان- بيروت، ط ٢ / ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
- (٢٢) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، الخصال، تحقيق: علي أكبر غفاري، نشر جامعة المدرسين، قم، ط ٢ / ١٤٠٣ هـ.
- (٢٣) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، تحقيق: أيد باقر سلمان، نشر مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث، بيروت، ط ١ / ١٤٢٧ هـ.
- (٢٤) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، نشر منشورات الأعلمي، بيروت، ط ٢ / ١٤٢٥ هـ.
- (٢٥) العياشي، محمد بن مسعود بن عياش، تفسير العياشي، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي الملطي، نشر المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.
- (٢٦) الفراهيدي، خليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: دكتور مهدي المخزومي وعلى السامرائي، نشر هجرت، قم، ط ٢ / ١٤١٠ هـ.
- (٢٧) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، إعداد: محمد عبد الرحمن المرعشبي، نشر دار إحياء التراث العربي، لبنان- بيروت، ط ٢ / ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
- (٢٨) القمي، محمد رضا الأنصارى، العقد النضيد في تقريرات أصحاب المسجد الأعظم، نشر دار التفسير، قم، ط ١ / ١٤٢٩ هـ.
- (٢٩) الكلبي، محمد بن يعقوب، كتاب الكافي، تعليق: علي أكبر غفاري، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣ / ١٣٨٨ هـ ش.
- (٣٠) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، نشر مركز الكتاب للترجمة والنشر، ط ١ / ١٤٠٢ هـ.
- (٣١) المفید، محمد بن محمد بن النعمان، أمالی المفید، تحقيق: حسين الأستاذ ولی علی اکبر غفاری، نشر دار المفید، بيروت، ط ٢ / ١٤١٤ هـ.
- (٣٢) المنقري، ابن المزاحم، وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط ٢ / ١٣٨٢ هـ ش.
- (٣٣) التراقي، المولی احمد بن محمد مهدی، عوائد الأيام، نشر دفتر تبلیغات، قم، ط ١ / ١٤١٧ هـ.
- (٣٤) النائینی، میرزا محمد حسین غروی، المکاسب والبیع، تقریر: میرزا محمد تقی الامی، نشر جامعة المدرسين، قم، ط ١ / ١٤١٣ هـ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَاللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ يَرَنِي

- ٣٥) النائي، ميرزا محمد حسين غروي، منية الطالب في شرح المكاسب، تقرير: موسى بن محمد النجفي الحونساري، نشر المكتبة الحمدية، طهران، ط ١ / ١٣٧٣ هـ.
- ٣٦) الواسطي، الزبيدي، الحنفي، محب الدين، سيد محمد مرتضى حسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، نشر دار الفكر، بيروت، ط ١ / ١٤١٤ هـ.

# نقد المنهج القصدي في تفسير القرآن الكريم\*

الشيخ غازي عبد الحسن السمك

## مقدمة

فتح تطور الأبحاث اللغوية لدى الغربيين في ما عُرف بعلم اللسانيات الباب أمام السؤال عن مدى تأثير هذا التطور -لا سيّما بعد أن كان الحديث فيها عن اللغة بوصفها لغة مهما كانت، لا عن لغة محددة-. على الدراسات الإسلامية، أو فقل: على هذا التراث الإسلامي الهائل، لا سيّما وإنْ جزءاً مهماً منه ابتنى على النصّ، فارتبط باللغة وقواعدها.

ومن ناحية أخرى شكل القرآن الكريم، وتفسيره، وتأويله المصدر الأوّل من مصادر المعرفة. ويربط الباحثون الاهتمام باللغة العربية من قبل المسلمين بالقرآن من جهة أنّ نزول القرآن بلغة العرب ولد هذا الاهتمام، كما ساهم في تطور هذه اللغة وأبحاثها.

أضف إلى ذلك ارتباط الشريعة بالسنة القولية للنبي ﷺ والمعصومين عليهما السلام عند الإمامية وتطور البحث اللغوي عند الاتجاه الأصولي.

ومن هذه الدراسات ما نشر حديثاً عن المنحى القصدي في التفسير، وهو ما سنقدمه هنا في دراسة مختصرة.

### الفرق بين القصدية والاعتباطية:

اللغة: نظام معرفي، ومعرفيته تعتمد على التفاعل الحيوي بين الحاجة الإنسانية للتعبير، والواقع الموضوعي، ولللغة المجز الإنساني الأساس في تطوير المجتمع الإنساني. ويشير (علماء النفس) إلى أن اكتساب اللغة استعدادً ينبع جذرياً من الجينات البشرية.

إنّ أولويات التعلم تظهر منذ الطفولة حتى عند الأطفال (الخرس).

الاتجاه القصدي وهو ما يسميه صاحب هذه النظرية<sup>(١)</sup> التفسيرية بـ(المنهج اللغطي)، ويعتبره منهجاً جديداً في تفسير القرآن الكريم يعتمد على إلغاء الترافق في اللغة وما يتبعه من اعتباط، وينظر إلى القرآن بوصفه نظاماً لغوياً محكماً مستقلاً بذاته لا يخضع لقواعد (الاعتباط اللغوي)<sup>(٢)</sup>. ونجد هنا من الضروري أن نوضح مفردي (الاعتباطية) و(القصدية):

فالاعتباطية هي عبارة عن جزافية الدلالة واتفاقية الارتباط بين الأسماء وسمياتها. وقد نظر لهذه النظرية كبار أهل اللغة في الشرق والغرب، كـ(عبد القاهر البرجاني) و(دي سوسي).

وأما القصدية، فهي تعني الإيمان بوجود نوع من العلاقة الواقعية بين الدال والمدلول.

بيان آخر: القصدية: القصد في اللغة إتيان الشيء قصده، أي: نحوه، وفي الفلسفة (نظرية القصد) كانت سائدة لدى فلاسفة العصور الوسطى، وعندهم القصد: الفعل الذي يتجه فيه العقل نحو الموضوع ليدركه، والقصدية: هي خاصية الشعور حينما يشير إلى أو يتجه نحو الشيء ليدركه، وقد استمرت في الفلسفة الغربية

وامتدت إلى الفلسفة المعاصرة حيث قام (برنتانو)<sup>(٣)</sup> بإحيائها وتجديدها في دراساته النفسية وأقمع تلميذه (ادموند هوسرل)<sup>(٤)</sup> بأهمية فكرته عن القصدية فاقتنع بها وطورها في منهجه (الفونومونولوجي).

ونأخذ من المصطلح -عادةً- الفهم العام لمعرفة مؤدّاه ومعناه، فالشعور لا يمكن أن يفصح عن نفسه إلا حينما يكون مقصده شيئاً محسوساً. والشعور يستخلص معناه من الواقع (أساساً) ونعبر عنه بالكلام الحدد للمعنى ويمكن أن نطلق على هذه الكلمات مقاصد أو غaiات.

#### قصدية اللغة عند عالم سبيط:

**اللغة:** نظام يتتألف من مجموعة من العناصر الصوتية واللักษر (الكلمة)، سلسلة صوتية من الحروف (الфонيمات) وتعتبر أساساً حركات طبيعية (فيزيائية) تدل على معنىًّا محدد وبمعنى الذي يجعل الكلمة تخزن قدرة على التعبير عن معنى حسي أو عقلي أو مادي.. ينبع من مفهوم الحركة الأصلية (أو الجوهرية).. إذاً فلا ترافق أو استعارة فلكل مفردة معناها الذي يحدده التسلسل الصوتي لوجود معنى مستقل لكل حرف وهو ما ينافي الرأي القائل بالاعتباطية.

**الاعتباطية:** الاعتباط من حيث الدلالة والمعنى (أن الأشياء سميت بدون وجود صلة بين الشيء واسميته) مفهوم تداولته الإنسانية منذ زمن طويل ويدرك النيلي أنّ محاورة (كرياتيليس) تذكر موقف (هيرموجينز) عندما يقول: "لا يوجد اسم يناسب لشيء معين تمنحه الطبيعة، ولكن فقط عن طريق العادة والتقاليد لأولئك الذين يستخدمون الاسم والذين يجدون تلك الأسماء"، وهذه الفكرة (أي الاتفاق) على الأسماء هي التي نجحت في النهاية.

فتتم تأسيس مبادئ علوم اللغة والبلاغة وأبحاث الدلالة اللغوية عليها. (كما في عالمنا الإسلامي)، حيث تم تعميم الفكرة إلى دلالة كل الألفاظ، واعتبر عبد

القادر الجرجاني أول واضع لها. أما في الغرب فقد تم تأسيس الاعتباط على يد العالم اللغوي (دي سوسيير) فسمّاه لأول مرة بالمببدأ الاعتباطي.

### من هو عالم سبيط النيلي:

باحث ومفكر عراقي مهتم بالدراسات القرآنية، من مواليد عام ١٩٥٦ م في بابل.

نشأ في قرية السورة التابعة لناحية النيل شمال مدينة الحلة في محافظة بابل، وقد أنهى دراسته الثانوية في ثانوية الفيحاء في الحلة، وأكمل دراسة البكلوريوس والماجستير في جامعة أوديسا / أوكرانيا.

ألفت دراسته الهندسية بظلالها على نظرته للقرآن الكريم ككتاب إلهي يحتوي نظاماً هندسياً يليق بالتحدد العظيم الذي خلق كل شيء بقدر، فحرى بكلامه أن يكون دقيقاً ومحظياً على نظام هندسي متكامل بدءاً من الحروف وصولاً إلى المفاهيم.

وهذا ما دفعه إلى رفض تبني نفس الطرائق الموروثة لدى المفسرين واللغويين في فهم القرآن الكريم.

وقد وضع في كتابه (النظام القرآني) جملة من المبادئ لقراءة كتاب الله ومعاملته بطريقة تختلف عن طريقة التعامل مع كلام خلقه، إيماناً منه بأنّ كلام الخالق قصدي الدلالة، وكلام خلقه قد يتخلّله الاعتباط والعشوائية في توظيف الدلالات كالمجاز، والترادف، والمشترك الفظي، وغيرها.

ليس القرآن الكريم هو الوحيد (قصدي الدلالة) في نظر عالم سبيط، وإنما حديث النبي عليه السلام وأهل البيت عليهما السلام أيضاً، بل إنه يرى أن اللغة في الأصل وبشكلها العام (قصدية الدلالة) أيضاً، لكن تغيير الظروف الزمكانية والاجتماعية هي التي تتحكم بمدى ثبات قصدية لغة مجتمع ما من عدمه.



وقد أثارت أفكاره زوبعة في وسط الساحة الثقافية بين مؤيد ومعارض. توفي النيلي في يوم ١٧ من شهر أغسطس من سنة ٢٠٠٠ م، عن عمر ٤٤ سنة. حصل النيلي على تأييد ودعم الكثير من الأكاديميين وأساتذة الجامعات في العراق، خصوصاً بعد بروز نجمه بعد وفاته، وبعد انتهاء حكم صدام حسين الذي كان يمثل مانعاً رئيسياً من ظهور الفكر النيلي القصدي إلىعلن، فعقدت بعض الندوات والأمسيات التي تناول فكره، فساهمت إلى حد ما في انتشار أفكاره واحتيازها حاجز الحدود شيئاً فشيئاً لتصل إلى العديد من الدول العربية والإقليمية.

تأثر الكثير من الأكاديميين والمتخصصين بأفكاره ونظرياته، فأخذ بعضهم على عاتقه إكمال ما ابتدأه النيلي ببحوث تعتمد المنهج القصدي الذي أسسه سواءً على الصعيد القرآني أو على الصعيد الفكري بشكل عام كالتأريخ، واللغة، والفلسفة. وأصحاب بدعة السفاردة في ثوبها الجديد سرقوا هذه المنهجية وأسسوا عليها أفكارهم.

#### آثاره:

له كتب متعددة (١٦ كتاب) أهمها:

النظام القرآني مقدمة في المنهج اللغوي: وفيه مبادئ المنهج اللغوي لأجل التعامل بقصدية مع كتاب الله، ويعد هذا الكتاب من أهم كتبه في المجال القرآني.

### أسس ومبادئ المنهج اللغوي

#### التعريف بالمنهج اللغوي وغاياته

المنهج اللغوي: هو منهج تحليلي لآيات القرآن العظيم يعتمد على قواعد معينةٍ تخصّه، وله غايات ومبادئ وطرق مختلفة عن مناهج التفسير المعتادة.

وأماماً غایاته: فأهمّ غایاته هي الكشف عن نظامه الداخلي، وفتح الأبواب للمعرفة القرآنية كي تخلّ ملّ المعرفة التجريبية العاجزة عن إحداث التغيير المنشود في النظام الطبيعي سعياً لتغيير العالم وفق الإرادة الإلهية وتحقيق الهدف الأول من الخلق. ومن خلال ذلك تتم الإجابة عن جميع المعضلات في أي فرع من فروع المعرفة.

ويقول صاحب النظرية: "لا يمكن إعطاء تعريف لهذا المنهج أو وصفه بأسطرٍ معدودة، ولا يمكن كذلك تحديد غایاته. فمن طبيعة هذا المنهج أن التعريف به وتحديد غایاته وخصائصه وطريقة عمله ونتائجها تتم سويةً من خلال تطبيقاته التي لا حدود لها".<sup>(٥)</sup>

#### مبادئ المنهج اللفظي

وي يكن تلخيص هذه المبادئ الأولية التي هي بديهيات وأسس المنهج اللفظي في عناوين رئيسيةٍ هي:

**المبدأ الأول: مبدأ عدم الاختلاف في القرآن**  
يؤمن هذا المنهج أنَّ القرآن يخلو من أي اختلافٍ بصفةٍ مطلقةٍ، ويندرج تحت ذلك إيمانه بانعدام التناقض.

وهذا الإيمان له فوائد كثيرةٌ في عملية مراجعة النصِّ الديني العام، منها: إظهار التناقض عند المفسرين والذي هو نوعٌ من الاختلاف.

#### المبدأ الثاني: مبدأ قصور المتكلقي

يؤمن هذا المنهج أنَّ المخلوق قاصرٌ عن الإحاطة بكلام الخالق قصوراً دائماً. ومعنى ذلك أنه مهما بلغ من المعرفة بالقرآن فسيظلّ محتاجاً إلى النظر فيه والتفكير في شأنه.

أي أنَّ المتكلّم إذا تكلّم عن شيءٍ ما فقد تكلّم ضمناً عن نفسه أيضاً، ولما

كانت معرفة الله لا نهائية، فتبقى معرفة كلامه لا نهائية أيضاً.

#### المبدأ الثالث: مبدأ التغاير عن كلام المخلوقين

يؤمن هذا المنهج بأنَّ كلام الخالق مغايرٌ لكلام المخلوقين وإنْ تشابهت بعض الألفاظ اتفاقاً.

وفائدة هذا المبدأ هي في أنه يطبقُ لأول مرّةٍ عملياً داخل منهج تفسيريٌّ ليكون جزءاً منه ودعامةً من دعائم حركته، وبذلك يمكنه وضع الحدود الفاصلة بين الكلام المعجز والكلام غير المعجز.

#### المبدأ الرابع: مبدأ خضوع المتلقى للنظام القرآني

يؤمن المنهج اللفظي بأنَّ على الباحث الخضوع للنظام القرآني إنْ أراد التوصل إلى معارف القرآن.

فأمّا معنى النظام القرآني فهو: أن في القرآن نظامٌ محكمٌ شديد الصرامة منتشرٌ في جميع أجزائه بحيث أن اللفظ مفردةً كان أو حرفاً والترتيب أو التسلسل المعينُ للألفاظ في كلٍّ تركيبٍ هو جزءٌ من هذا النظام، والخطأ في تصور شيء منه في أي موضع يؤدي إلى الخطأ في تصور فروع كثيرةٍ متصلةٍ بذلك الموضع. فالعبارة الأصح ليست قولنا: (أنَّ في القرآن نظاماً محكماً) بل (القرآن هو بذاته نظامٌ محكمٌ).

وأمّا معنى الخضوع فهو: أنَّ على المتلقى السير على ذلك النظام والتحرّك وفقه واكتشاف مسالكه وطرقه.

إنَّ مبدأ الخضوع للنظام القرآني قد مكّن المنهج من اكتشاف ما أملاه علماء التفسير على القرآن من آراءٍ وما خالفوا فيه نظامه. (كما يقول صاحب النظرية) فالخضوع للنظام القرآني في هذا المنهج لا يعني الاعتراف به وحسب، بل يعني أنَّ على الباحث أن يكون تابعاً للقرآن لا أن يكون هو قائداً له.

## المبدأ الخامس: مبدأ التبيين الذاتي

يؤمن من المنهج اللغظي بأن القرآن مبينٌ لكل شيءٍ ومبينٌ لذاته فأماماً كونه تبيانٌ لكل شيءٍ معلومٌ من النص القرآني نفسه:  
**﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾**<sup>(٦)</sup>، ومع ذلك فهو يطبق قواعده على الآية ليبرهن أن المقصود بـ(كل شيء) فيها هو (كل شيء) فعلاً، وليس كما قال المفسرون من أنه (الأمر المشكل) من أمور الدين.  
وأماماً كونه مبيناً لذاته فيعتمد على ثلاثة أساسٍ هي:  
**الأساس الأول:** إن القرآن هو (نظام حكم). ومعلوم أن كل نظام حكم مبينٌ لنفسه من خلال النظام نفسه.

**الأساس الثاني:** وردت في النصوص القرآنية صفة التبيين على ثلاثة مستوياتٍ

الأول منها: أنه (تبيانٌ لكل شيء) كما مر سبقاً.  
والمستوى الثاني: أنه (قرآنٌ مبين) أي مبينٌ بنفسه.  
وأما المستوى الثالث: وهو على مستوى الآيات (آياتٌ بيّناتٌ) أي بنفسها.  
**الأساس الثالث:** إن الله المسلمة قد أجمعت وأقررت للقرآن اتصافه بصفتين كان قد وصف هو بهما نفسه. الأولى أنه كتاب للهداية والثانية أنه كتاب معجزٌ.  
واجتماع الصفتين يحتم أن يكون مبيناً لذاته، بل انفراد كلٍّ منهم يحتم ذلك.  
إذ لو كان مهماً لفقد القدرة على الهداية، فلا بد أن يكون (مبيناً) وآياته (بيّنات).  
وإذا لم يكن مبيناً لذاته كان خلواً من أي نظامٍ فيسقط الإعجاز إذ إن فاقد النظام لا يكون معجزاً.

## المبدأ السادس: مبدأ العلو والشمول والحاكمية والامتناع

يؤمن هذا المنهج بأن القرآن ممتنع عن قبول أي علمٍ أو معرفةٍ غير علمه هو،

فهو متعالٌ على كل علم آخر لأنَّه كلام الله الذي (أنزله بعلمه). فهو حاكمٌ على كل علمٍ غير مُحْكومٍ بأي علم.

### مبررات الإعلان عن المنهج اللفظي

إن لإعلان هذا المنهج مبررات عديدة تجعل منه ضرورة لا محيد عنها، ويمكن وضعها اختصاراً في ما يلي:

أولاً: إن المنهجُ الوحيدُ الذي يلائمُ نظامَ القرآنِ من حيث كونه كتاباً معجزاً يسري فيَّه نظامُ حكمٍ. فالكشفُ عنِّ النظامِ القرآني هو الطريقُ الوحيدُ لعرفةِ القرآنِ وأسرارِه وفتح أبوابِ معارفه وعلومه.

ثانياً: إنَّ الأسلوبَ الوحيدَ الذي يعطيُ المعنَى الحقَّ لـ(التدبر) وتنفيذَ أمرِه تعالى في قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾<sup>(٧)</sup>.

ثالثاً: إنَّ الاختلافَ في الأمةِ، بل في المللِ الدينيةِ إنما مرده إلى الاختلافِ في الكتبِ المنزلةِ ومنها القرآن. فالقضاءُ علىِ عنصرِ الاختلافِ وسببه يستلزمُ استخراجَ المعانيِّ التي لا اختلافَ فيها والحقائقِ التي لا يمكنُ إنكارها أو تأويلاً لها ليحيي من حيٍّ عن بيته وبهلك من هلك عن بيته.

رابعاً: لا يمكن إبراء ذمةِ المخلوقِ ما لم يتبعُ الشَّرعَ الإلهيِّ، ولا يمكنه اتّباعُ هذا الشَّرعِ ما لم يعرفَ ما أمرَ الله به وما نهاه عنه بصورةٍ قاطعةٍ، كذلك لا يمكنه القطعُ عند اتّباعِ أيٍّ من المذاهبِ والطرائقِ، لأنَّه إذا قطعَ بصحّتها فلا يمكنه القطعَ بصحّةِ أحکام ذلك المذهب.

خامساً: إن هناك دعوىً كثيرةً لمنكري سماوية القرآن ودعوى للعلماء للردّ عليها. ومنها إنكار كونه كلاماً معجزاً ومنها الادعاء بتناقض آياته مع بعضها البعض.. وهي دعوى مستمرة إلى اليوم بسبب ضعف الردود وهاشتها وبطلان حجتها. ولا سبيل إلى قطع دابر تلك الدعوى من جذورها إلاًّ سبيل الكشف عن

إعجاز القرآن وإظهار نظامه الداخلي.

### اصطلاحات المنهج اللفظي

هذه جملة من المصطلحات وهي تعتبر المفاتيح التطبيقية لهذا المنهج.

#### أ. اللَّفْظُ:

ويقصد به اللَّفْظُ الواحد لا المادَّةُ اللُّغُوِيَّةُ وحسب. فكل اشتقاءٍ من مادةٍ ما هو في المنهج اللفظي لفظٌ مستقلٌ بحد ذاته. فالفرد مثلاً يختلف عن الجمْع.. وهكذا. هذا في المرحلة الأولى، أما في المرحلة المتقدمة فكلّ مُحْلِّه إِعْرَابِيٌّ هو لفظٌ مستقلٌ أيضًا. فالآلفاظ الآتية مثلاً يعتبرها المنهج اللفظي أَفَاظًا مُسْتَقْلَةً في المعنى والوظيفة: كفَّارٌ، أُولئِكَ، لولا، يوْمًا، قَلْ، كافرون، أَرَأَيْتَ، أَمَّا ذَا، الظالم، آمَنَتْ، الظالِمِينَ... وهكذا.

وهذا التَّفَرِيقُ بين الأَفَاظِ هو الأَسَاسُ في العمليات البحثية للمنهج اللفظي وفوانيدِه لا تُخْصِي كثرةً.

#### ب. المركبُ:

يُقصَدُ به اقتران لفظين أو أكثر سوياً لتكوين عبارةٍ أو مقطعٍ قرآنِيٍّ معينٍ، ولا يشترط في المركب أن يكون آيةً كاملةً أو جملةً تامةً المعنى مثل: ذلك الفوز العظيم، والسماء ذات، بئس القوم، وحاق بهم، وقالوا لولا، فضل الله.. الخ.

ينفع هذا المصطلح في البحث عن الآيات التي تتضمن نفس المركب مثل (والسماء ذات الحُبُك)، (والسماء ذات البروج) حيث اشتركت العبارتان بـ مركبٍ واحدٍ هو (والسماء ذات). ومرد ذلك عند المنهج هو أن كل لفظٍ وضع عن قصدٍ في موضعه مقتربناً بلفظٍ آخر، وعند عودته للظهور في سياقه آخر فيرى المنهج وجود علاقة بينهما في الموضعين. وبهذه الطريقة يدعى اكتشاف حقائق كثيرةً، وأدرك

وجود النظام الصارم في القرآن الذي يمثل حقيقة الإعجاز القرآني.

#### ج. التركيب:

ويقصد به الجملة التامة المعنى ولا يُشترط أن يكون آيةً كاملةً، بل قد يكون شطر آيةٍ أو آيةٍ وشطرٍ أو آيتين.

استخدم هذا المصطلح لدراسة العبارة القرآنية التامة المعنى لأغراضه شتى منها إبطال قواعد النحوين وتأويلات المفسّرين.

#### د. الرباط:

يُقصد به اللفظ أو المركب الذي حافظ على صورته اشتقاقةً وإعراباً ودخل في تركيبين منفصلين. ويتألف الرباطُ من أنطقةٍ عددها مساوٍ لعدد الألفاظ المشتركة. فالأنظمة قد تمرّ بأكثر من رباطٍ خلال النسخ القرآني. فمثلاً: هناك رباطٌ بنطاقين بين آية النبأ وآية صاد:

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا \* لِلْطَّاغِيْنَ مَا بَأَبَ﴾<sup>(٨)</sup>.

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلْطَّاغِيْنَ لَشَرٌّ مَّا بِ \* جَهَنَّمَ يَصْلُوْنَهَا﴾<sup>(٩)</sup>.

فالرباط في الآيتين مؤلفٌ من نطاقين هما: (جهنم) بالنصب، و(الطاغين). وكلاهما بنفس الصورة في كليهما.

أما (ما ب) و(ما بآ) فهذا اللفظان هما مركز أو نقطة شدّ هذه الأنظمة ويسمى بها المهج بـ (الشدّ)، وهو دوماً مختلفاً إعراباً داخل النطاق.

وي influx هذا المصطلح -كما يُدعى- في الكشف عن بعض المقاصد القرآنية والحقائق المتصلة مع بعضها في مختلف الموضع.

#### هـ. الاقتراض:

يُقصد بالاقتراض مجيء ألفاظ بعضها في التراكيب المختلفة في موضع متباعدة.

أو مجيء مركبات في تراكيب.

مثلاً: تكرار ذكر مفردة (القلب) مع مفردة (الكفر) في صيغ إعرابية مختلفةٍ يعدهُ في هذا المنهج اقتراناً لفظياً. وكذلك تكرار ذكر (العقل) مع (الشرك)، فهذا يعدهُ اقتراناً لفظياً بين ذكر العقل والشرك.

ويفيد هذا الاقتران في الكشف عن حقائق جديدة في كل القرآن وعلى مختلف المستويات ويعدهُ أساساً لعمل المنهج.

#### و. الشعاع:

هو أبسط أنواع الاقتران المنفصل في الطبقة الأولى، ويشير إلى العلاقة بين لفظين اقترن كلُّ منهما مباشرةً بلفظٍ أو مركبٍ، ولم يتصلَا مع بعضهما في كل القرآن في أيٍ موضع مثل: (والسماء ذات/البروج) و(السماء ذات/الحبك) (السماء ذات/الرجع). فالبروج والحبك والرجع هي ألفاظٌ مرتبطةٌ بشعاعٍ مع بعضها البعض. وتفييد معرفة الشعاع حالياً في (تخمين) وجود علاقة بين الآيات وال سور والواقع والمفاهيم، والتنبئية إلى مواضع الأربطة بأخذ عنوان بحثي عنها.

#### ز. المحور:

إذا اقترن لفظُ أو مركبٌ بعدِ من التراكيب ثلث مراتٍ أو أكثر محافظاً على وضعه الاستباقي والإعرابي سويةً سماه المنهج محوراً للتراكيب الثلاثة أو ما هو أكثر.

مثل لفظ (رجال) بالرفع في هذه التراكيب:

﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾<sup>(١٠)</sup>، ﴿رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾<sup>(١١)</sup>، ﴿رَجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًا بِسِيمَاهُمْ﴾<sup>(١٢)</sup>، ﴿رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنَّ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١٤)</sup>.

فهذا اللفظ (رجال) يعدهُ المنهج محوراً، وهو بحسب قواعده يعني نفس

الشخص في النظام القرآني.

وتفيد معرفة المخاور في رصد العلاقات بين الآيات وتوسيع دائرة الاقتران ووضع التسلسل الزمني للحوادث إلى منافع أخرى كثيرة جداً.

#### ح. الفارز:

إذا تكرر استخدام مركب معين مثل (الذين آمنوا) واقترب به في بعض الموضع مركب آخر مثل (و عملوا الصالحات) سمي المنهج اللغوي المركب الثاني بـ (الفارز). حيث يحدد المركب الثاني مجموعة أصغر ضمن مجموعة أكبر. يستعمل المنهج هذا المصطلح لمعرفة التفاصيل في مختلف العقائد والتكتونيات والفنانات من خلال تحديد المجموعات.

#### ط. الترتيب:

يُقصد به في هذا المنهج التسلسل الذي عليه الألفاظ في تركيب معين أو في مركب ما. ففي القرآن يكون هذا التسلسل مقصوداً ولا يؤدي المعنى التام سواه.

#### ي. المعنى التام:

يريد به المنهج المعنى الكلي للجملة التامة (التركيب)، فهو معنى خاص بالجملة لا للفظ. والمعنى التام لا يدرك، ولكن تدرك أجزاء منه بحسب قوة الكشف للاقترانات المتصلة والمنفصلة وعدد الطبقات.

يستعمل هذا المصطلح لشرح قواعد المنهج وبيان بعض مناهي الإعجاز.

#### ك. المعنى الذهني:

ويقصد به المنهج المعنى المبادر للذهن عند استلام لفظ أو تركيب معين سعياً أو قراءةً، ويعتبره المنهج معنىًّا نسبياً متقلباً في المكان والزمان والأشخاص.

## ل. المعنى الأصلـي:

يُقصد به في هذا المنهج المعنى الذي لا يوصـف إلا بجملةٍ طويلةٍ من المفردات لأجل شرح مفردةٍ ما بحيث يكون هذا الشرح جامعاً لكل الاستعمالات الصحيحة (نسبةً)، ويقوم بتصحيح الاستعمالات المعجمية أيضاً.

يعـرـف المنهـج الـلفـظـي عـلـى المعـنى الأـصـلـي مـن خـلـال الـاقـتـران فـي النـظـام الـقـرـآنـي وـعـلـى ضـوئـه يـتـمـكـن مـن تـصـحـيـح الـمعـاجـمـ وـعـرـفـة الـاستـعـمـالـ الصـحـيـحـ مـن غـيرـهـ.

## م. المعنى الحركـي:

يـقـصـدـ المـنـهـجـ بـهـ الـمـعـنىـ مـاـ قـبـلـ الـأـصـلـيـ الـذـيـ يـطـابـقـ حـقـيـقـةـ وـجـوـهـرـ الـمـسـمـىـ فـيـ حـرـكـتـهـ الـأـوـلـىـ فـيـ الـوـجـودـ، وـهـوـ الـمـعـنىـ الـذـيـ يـصـفـ الـمـسـمـىـ وـصـفـاـ حـقـيـقـيـاـ شـامـلاـ.

### مثالٌ توضيحيٌ:

لتـوضـيـحـ الـمـعـانـيـ الـثـلـاثـةـ السـابـقـةـ نـورـدـ الـمـثالـ الـآـقـيـ:

فلـفـظـ (ترـابـ) مـثـلـاـ لـهـ ثـلـاثـ مـعـانـيـ هـيـ:

الـمـعـنىـ الـذـهـنـيـ: وـهـوـ الـمـعـنىـ الـمـتـبـادـرـ، وـهـوـ مـتـغـيـرـ دـوـمـاـ وـيـنـطـوـيـ عـلـىـ اـسـتـعـمـالـاتـ مـجـازـيـةـ فـيـ كـلـامـ الـمـخـلـوقـينـ كـمـاـ فـيـ قـوـلـهـمـ (وـجـدـتـهـ تـرـابـاـ) أـيـ لـشـحـوبـهـ إـنـ كـانـ الـمـقصـودـ بـهـ رـجـلـاـ، أـوـ لـتـهـشـمـهـ إـلـىـ قـطـعـ نـاعـمـاـ إـنـ كـانـ الـمـقصـودـ بـهـذـاـ القـوـلـ شـيـئـاـ مـنـ زـجاجـ مـثـلـاـ.

الـمـعـنىـ الـأـصـلـيـ: إـنـ الـمـقصـودـ بـالـتـرـابـ وـفـقـ هـذـاـ الـمـعـنىـ: (الـأـجزـاءـ وـالـقـطـعـ الدـقـيقـةـ الـمـتـشـابـهـةـ وـالـتـيـ إـذـاـ اـجـتـمـعـتـ اـنـبـقـتـ مـنـهـاـ حـرـكـةـ مـمـكـنـةـ)ـ.. وـهـذـاـ الـمـعـنىـ مـمـكـنـ إـطـلاقـهـ عـلـىـ أـيـ شـيـءـ يـتـصـفـ بـهـذـاـ الـوـصـفـ وـلـيـسـ فـقـطـ عـلـىـ التـرـابـ الـمـعـرـوفـ.

الـمـعـنىـ الـحـرـكـيـ: هـذـاـ الـمـعـنىـ يـصـفـ حـقـيـقـةـ كـلـ جـزـءـ وـدـقـيقـةـ فـيـهـ (أـيـ التـرـابـ) وـصـفـاـ جـوـهـرـيـاـ دـاخـلـيـاـ يـطـابـقـ تـكـوـيـنـهـ.

إذن فالمعنى الذهني هو جزءٌ من المعنى الأصلي اللغوي، والمعنى الأصلي في اللغة هو جزءٌ من المعنى الحركي.

ولما كان القرآن لا يستعمل إلاَّ المعنى الحركي فإنَّ شرح ألفاظه عن طريق المعنى الذهني الاصطلاحي المتغير يجعل القرآن متناقضاً ويُفقد نظامه الحكم. وهذا السبب (أي المعنى الحركي) قالوا : إنَّ المعنى التام للعبارة القرآنية الكاملة هو شيءٌ لا يُدرك، وإنما تُدرك أجزاءً منه عن طريق الاقتران.

وبعبارة مختصرة نخترل توصيف المنهج القصدي، والدليل الذي تم صياغته لإثبات مدعاه مركب من أمور:

- ١-أنَّ النظام الحكم في القرآن يقتضي أن يكون لكل لفظ دلالته المختلفة.
- ٢-أنَّ الإياع بالترادف ينافي فكرة الوضع، أي وضع الألفاظ معانٍ محددة من قبل الوضع، بل وضع الحروف أيضاً.
- ٣-أنَّ الالتزام بوجود معانٍ للحروف يعني من الترادف ودلالة الألفاظ المتعددة على معانٍ واحدة؛ لأنَّه لا يمكن أن يؤدي المعنى المحدد المقصود للقائل إلاَّ لفظاً واحداً أو ترتيباً واحداً.

لماذا يرفض فكرة الترادف والمجاز وغيرها من أساليب اللغة العربية؟

أول ما يمكن ملاحظته على هذا المنهج أنه يعتمد على نظرية لغوية حديثة تتبنى وضع الحروف وأنَّ لها معانٍ مستقلة في نفسها، بخلاف ما هو المعروف من أنَّ الحروف ليس لها معنى مستقل في نفسها وإنما معناها متقوم بغيرها. وأساس هذه النظرية يبني على العلامات الصوتية، أي أنَّ للألفاظ دلالة سابقة ثابتة، وهذا الأمر يجعل اللغات جميعها ترجع إلى أصل واحد، فيما لا يكون للأصوات أي قيمة مسبقة في المبدأ الاعتراضي.

وتشكل هذه الفرضية المسبقة أساساً للانطلاق نحو عملية تحطئة لتراث

تفسيري وفقهي وأصولي ممتد لقرون، دون أن يكون للحل القصدي سوى إشارات قرآنية ونبوية.

فهو في الواقع لا يرقى لمستوى المنهج أو النظرية، وإنما هو فرضية تقوم على أساس التخمين والاحتمال وتستخلص من الاحتمال يقيناً غير مطرد وثابت، فلذا من المناسب التعبير بالاتجاه بدلاً عن المنهج، وبالفرضية بدلاً عن النظرية. ويسجل هذا الاتجاه إشكالية يعتبرها أساس رفضه لكون القرآن خاصاً لأساليب اللغة العربية، وهي تمثل في أنه لا فائدة من الاعتقاد بأن القرآن هو كلام الله - تعالى - من جهة، ثم التعامل معه على أنه يجري مجرئ كلام الخلق في (قواعد وأساليبه) من جهة أخرى، إذ النتيجة المتحصلة في النهاية أنه مثل كلام المخلوقين. وقد ارتكز سابقاً هذا الاتجاه على مبدأ المغایرة بين كلام الخالق والمخلوقين.

### المناقشة الأولى:

#### معنى نزول القرآن بلغة العرب:

من أهم عوامل حفظ اللغة العربية هو اهتمام المسلمين بها، هذا الاهتمام الذي كان له منطلقه الديني، وهو كون القرآن قد نزل بلغة العرب، ففهم كتاب الله يتوقف على هذه اللغة.

وتشكل الآية ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾<sup>(١٥)</sup> الشاهد الرئيسي على مقوله مشهورة بينهم من أن القرآن نزل بلغة العرب وأساليبهم.

الاتجاه القصدي يرفض هذه الفكرة من أساس، وينحو لتفسير الآية منحى آخر، فيرى أن القرآن له نظامه الخاص ولا يجري على لغة العرب.

يقول هذا الاتجاه: أمّا الآية، فالله عزّوجلّ لم يقل إنّه كتاب عربي، بل قال: إنّه كتاب إلهي بلسان عربي، واللسان هو شيء غير القواعد والأساليب، ولعل نظره في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدَّقٌ لِّسَانًا

عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشِّرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾.

ويلاحظ على هذا الكلام:

الآيات الواردة كلها تنص على أنه كتاب عربي، فلاحظ قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(١٧)</sup>، وكذلك ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾<sup>(١٨)</sup>، و﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عَوْج﴾<sup>(١٩)</sup>، و﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢٠)</sup>، و﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبِّ بَفِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعْيِ﴾<sup>(٢١)</sup>، وفي جميع هذه الآيات ورد: (أنزلناه)، (جعلنا)، (أوحينا)، فهل هذا كله يدل على أن القضية هي مجرد لسان؟! ولا أدرى، كيف تم نسيان جميع هذه الآيات مع أن طريقة القصدية هي يقتضي ملاحظة كل ما ورد حول هذه المفردة لتحصيل المعنى.

هذا مضافاً إلى أنّ غموضاً يكتنف المراد من كون القرآن إنما نزل باللسان العربي فقط دون أن يكون عربياً، فهل هو مجرد استخدام الحروف العربية دون الخصوص لنظام اللغة؟! هذا ما يظهر أنه المراد لدى الاتجاه القصدي، وهذا يرفض تطبيق قواعد البلاغة العربية على النص القرآني.

وهنا نسأل: عن السر في عدم مخالفة القرآن لقواعد العرب النحوية، ولماذا رفع الفاعل، ونصب المفعول، وغير ذلك من عشرات القواعد، أي: إن سؤالاً يتوجه للتفصير القصدي عن الفرق بين قواعد النحو وقواعد البلاغة حتى يؤمن بتطبيق قواعد النحو دون البلاغة.

مضافاً إلى مسألة أخرى، وهي قضية الإعجاز القرآني وتحدي العرب بالإثبات بثل هذا القرآن، ولبيان هذا التحدي يقال: إن القرآن الكريم كان معجزة ببيانه وأسلوبه -إضافة إلى المضمون-. وهذا الجانب من الإعجاز لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان بلغة القوم؛ لأنّ (التحدي) -الذي هو محتوى الإعجاز- إنما يكون مقبولاً

إذا كان باللغة التي يتكلم بها الناس، وإلا فلا معنى لأن نتحدى من يتكلم بلغة بأن يأتي بكتاب من لغة أخرى. وقد كان التحدي في هذا الجانب من الإعجاز باعتبار ما كان يولييه ذلك العصر من أهمية خاصة للبلاغة والبيان، الأمر الذي كان له أثر كبير في الخصوص النفسي لؤلؤة العرب لبلاغة القرآن وبيانه.

ومن هذا المنطلق لا تكون دعوى التفسير القصدي بالخروج عن أساليب اللغة العربية البلاغية وعدم نزول القرآن بها إلا خروجاً عن مسألة التحدي هذه، لأنّ التحدي في المعجزة إنّما يكون بما هو الموجود بين أيدي الناس، وما كان في أيديهم عبارة عن اللغة العربية بكل ما تحمله من خصائص بلاغية.

#### المناقشة الثانية:

يقع هذا الاتجاه التفسيري المبني على الالتزام بوجود معنى للحراف أمام إشكالأساسي، وهو أنه إذا كان للحرف معنىً فهذا يعني عدم وجود ما عرف بالمهمل في اللغة، وهو الألفاظ التي لا تدل على معنىً.

وللإجابة عن ذلك يقول الاتجاه القصدي: إنّ هذه المهملات لها معانٍ لم تصل إليها البشرية، بل هي معانٌ مختزنة، وتتطور البشرية كفيلة بإيصالها إلى هذه المعاني.

#### ويلاحظ على هذا الكلام:

لا أتصور أنّ هذه الطريقة التبسيطية لمشكلة أساسية تقف حائلاً أمام هذا الاتجاه كفيلة بحلّ المشكلة. إنّ هذه اللغة التي عمرت قرونًا لم نجد أنّ مهملاتها أصبحت لها دلالة على معانٍ.

مضافاً إلى مسألة أخرى أساسية، وهي أنّ التفسير القصدي يعتمد على التتبع لاستعمالات المفردة القرآنية ليستخرج المعنى القرآني والذي يقارب ما يصطلاح هذا التفسير عليه بالمعنى الحركي. وهنا إذا أردنا أن نلحظ قضية تدرج نزول القرآن وعدم نزوله دفعة واحدة -على مسامع العرب والمسلمين الأوائل بوصفه أمراً

قطعيًاً- فهل كان المسلمون الأوائل -أي في عصر النزول التدريجي- يتوقفون في فهم المعنى إلى أن يكتمل القرآن؟! أو أنَّ القرآن كان يفهم بما هو ظاهر الكلام بالرجوع إلى ما تحويه أذهانهم من معانٍ للمفردات والتركيب اللغوية.

إنَّ ما يصل إليه التفسير القصدي من خلال تبعه للمفردات سوف يشكل ظهوراً خاصاً، فهل هذا الظهور هو الظهور العرفي الذي قامت أدلة حجية الظواهر القرآنية -والباحثة تفصيلاً في علم الأصول- على إثباته؟! وهكذا تشكُّل مسألة الحجية عقبة أساسية أمام اعتماد هذا النحو من التفسير.

### المناقشة الثالثة:

ليست مقوله رفض المجاز بجديد التفسير القصدي، فقد نقل إنكار المجاز في القرآن من ابن القاس من الشافعية، وابن خويز منداد من المالكية، وحكي عن داود الظاهري وابنه، وأبي مسلم الإصبهاني.

وشبهتهم أنَّ المتكلم لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعيير، وهو مستحيل على الله سبحانه، فهو باطل.

ويجيب عنه الزركشي: "بأنَّه لو وجب خلو القرآن من المجاز لوجب خلوه من التوكيد والحدف، وتنمية القصص وغيره، ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن" (٢٢). وهذا الجواب من قبل الزركشي لم يأتِ التفسير القصدي على ذكره وتبنيه.

إذا كان الاتجاه القصدي يرفض وجود المجاز في القرآن وكان ذلك ضمن قواعده، ويرفض الرجوع إلى المعاجم، مسجلاً عليهم أنَّهم لم يميزوا المعنى الحقيقي من المجازي، فكيف يصل إلى المعنى الحقيقي؟!

فإن تبع الاستخدام القرآني وتتبع المفردة اللغوية أو اللفظ المصطلح عنده لن يوصله إلى المعنى الحقيقي ما لم يكن مسبوقاً بمعنى ما.

وهنا نسأل: من أين يأتي هذا المعنى؟ هل يدخل صاحب هذا الاتجاه إلى عملية التفسير مجرداً عن كل المعاني التي يحملها في ذهنه للمعنى اللغوية، ويحاول الوصول إلى المعنى؟ وفي الأساس هل ذلك ممكن حتى نتحدث عنه؟

والملاحظة الأخرى على مقوله رفض المجاز تكمن في ملاحظة الداعي إلى التزام المفسرين بضرورة المجاز في بعض الكلمات، ويتحدث عبد القاهر الجرجاني في كتابه (أسرار البلاغة) عن ضرورة المجاز، مستشهدًا بالآيات الثلاث التالية: ﴿هُلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَّٰلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾<sup>(٢٣)</sup>، قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفَّا صَفَّا﴾<sup>(٢٤)</sup>، قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾<sup>(٢٥)</sup>.

ويقول موسى ضرورة المجاز: "لأن الإتيان والمجيء انتقال من مكان لمكان، وصفة من صفات الأجسام، وأن الاستواء إن حمل على ظاهره لم يصح إلا في جسم يشغل حيزاً أو يأخذ مكاناً".

هذا وللمجاز ضرورة أخرى أيضاً، كما في مثل قوله تعالى:

﴿وَعَصَى آدُمْ رَبَّهُ فَغَوَى﴾<sup>(٢٦)</sup>، فكيف يمكن لهذا المنهج شرح هذه الآية بناء على أنه لا بجاز، لا سيماء بناء على تتبع المفردة القرآنية، وقد ورد في فرعون قوله: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾<sup>(٢٧)</sup>، كما ورد عن فرعون أيضاً: ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةُ الْكُبْرَى \* فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾<sup>(٢٨)</sup>.

وأما مفردة غوى، فقد نفها القرآن عن النبي ﷺ في سورة النجم حيث قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾<sup>(٢٩)</sup>:

وكذلك قوله تعالى على لسان يونس: ﴿وَذَا الْثُوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُعَاصِبًا فَظَلَّ أَنَّ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَّ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣٠)</sup>.

ولو أردنا أن نتبع كلمة (الظالمين) لوجدنا أنّ الذم كله ورد مقترباً بهذا اللفظ، فلاحظ قوله تعالى: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣١)</sup>، ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣٢)</sup>، ﴿فَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣٣)</sup>، إلى الكثير من الموارد التي وردت فيها هذه المفردة.

وهذا ما نجده في موارد أخرى معنى كلمة (الضالين) مثلاً، فسنجد أنها وردت في: ﴿عَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾<sup>(٣٤)</sup>، ﴿وَإِذْ كُرُوْهُ كَمَا هَدَاهُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾<sup>(٣٥)</sup>، ﴿قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَا كُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾<sup>(٣٦)</sup>.

كما وردت على لسان موسى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ \* قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾<sup>(٣٧)</sup>.

فلا بد لهذا النهج من الالتزام بنحو من التأويل لما ورد على لسان يونس أو موسى.

#### تطبيق على هذا الاتجاه:

##### التقييد بصيغة الجمع مع تعدد الجموع:

من المعلوم أنّ في العربية أكثر من جمع للمفرد الواحد. وقد دأب أصحاب المعاجم وتابعهم النحويون والمفسرون على اعتبار الجموع المتعددة شيئاً واحداً، فيقولون مثلاً: (أخ: مفرد ويجمع على إخوة وإخوان).

أنّ النهج اللفظي يكشف النقاب عن هذا الخطأ الفاحش -كما يصفه- الذي أدى إلى اضطراب اللغة عموماً، والتختبط في معرفة آيات القرآن خصوصاً.

ومثال ذلك التفرقة بين لفظ (إخوة) ولفظ (إخوان) في القرآن:

فلفظ (إخوة) جمع يستخدم في القرآن للإخوة في الرحم فقط، ولفظ (إخوان) هو جمع يستعمل للروابط التي لا تقوم على صلة الرحم.

#### المناقشة:

الكاتب يصطدم باستخدام القرآن للفظ (إخوة) في غير موارد الرحم، من قبيل **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾**<sup>(٤٦)</sup>.

كما يعبر في آية أخرى بقوله: **﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ يُنْعَمِّيَهُ إِخْوَانًا﴾**<sup>(٤٧)</sup>.

هنا يضطر النيلي للتأنويل وييارس ما استنكره على المفسرين ويقول: الخطاب في آية (فالله) موجه للذين آمنوا، وهو لاء خليط مختلف عن جماعة المؤمنين) فلذا عبر عنهم (إخواناً) –إلى هنا كلامه يتفق مع ما ذهب إليه–، أما في سورة الحجرات فاللفظ –المؤمنون– يراد به في القرآن من كان مؤمناً حقاً، فلذلك سماهم (إخوة)، لأنَّ الصلة بينهم كصلة الأرحام، بل أعظم. هذا تأويل، وهو على خلاف الاتجاه الذي يتبنّاه.

#### ملاحظات تطبيقية أخرى:

أولاً: تقدم أنَّ التفسير القصدي يُنكر وجود الكناية في القرآن، وقد استدلَّ

ويستعرض الآيات التي وردت في القرآن ملاحظاً موارد لفظ (إخوة): **﴿وَجَاءَ إِخْوَةً يُوسُفَ﴾**<sup>(٣٨)</sup>، **﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةً فَلَأُمِّهِ السُّدُسُ﴾**<sup>(٣٩)</sup>، **﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رَّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّهِ كُلُّ حَظٍ الْأُثَيْنِ﴾**<sup>(٤٠)</sup>.

أما موارد لفظ (إخوان) فهي:

**﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾**<sup>(٤١)</sup>، **﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾**<sup>(٤٢)</sup>، **﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمْدُونَهُمْ فِي الْغَيْرِ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾**<sup>(٤٣)</sup>، **﴿وَعَادٌ وَفَرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾**<sup>(٤٤)</sup>، **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾**<sup>(٤٥)</sup>.

إنَّ هذا النظام الذي يكشف الاتجاه عن بعض خطوطه سيغير –بلا شك– الكثير من المفاهيم والعقائد كما تعلم.

لذلك بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ﴾<sup>(٤٨)</sup>.

ولم يصور لنا هنا كيف يكون التعبير بالكتابية من الباطل. مضافاً إلى وجود روايات تتضمن النص على كون هذا التعبير من الكتابية، فقد أورد الكليني في الكافي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «سألته عن قول الله عَزَّوجلَّ: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾<sup>(٤٩)</sup>، قال: هو الجماع، ولكن الله ستر يحب الستر، فلم يسم كا تسمون»<sup>(٥٠)</sup>. ثانياً: وقوع المنهج في التأويل والتخرير: لقد تكرر في التفسير القصدي للجوء إلى التأويل لأي مورد يراه مخالفًا لرأي يتبناه.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ إِنِّي طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعَيْنَ﴾، ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعَيْنَ﴾<sup>(٥١)</sup> يشن التفسير القصدي هجوماً على المفسرين لتصريفهم في الكلمة (قول) بالالتزام بأنّ في الآية مجازاً أو بأنّ الله قد خلق الكلام خلقاً؛ لأنّ القول لا يصدر من الحمد.

ولحل المشكلة يتبع التفسير القصدي الالتزام بأنّ القول هو شيء غير الكلام، متمسكاً لإثبات ذلك بتتابع مفردة (القول) في الاستخدام القرآني، وذلك في الآيات: ﴿سَوَاءَ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفِي بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾<sup>(٥٢)</sup>، ﴿فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَذِبُونَ﴾<sup>(٥٣)</sup>، و﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾<sup>(٥٤)</sup>، ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السَّرَّ وَأَخْفَى﴾<sup>(٥٥)</sup>، و﴿وَإِذْ كُرَّ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾<sup>(٥٦)</sup>، و﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدِيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾<sup>(٥٧)</sup>.

ولكن تتبع هذه المفردة يصطدم بوارد أخرى من قبيل:

﴿إِنِّي أَتَقِيَّنَ فَلَا تَحْضُنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرْضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾<sup>(٥٨)</sup>، ﴿فَقُولًا لَهُ قَوْلًا لَيْتَنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾<sup>(٥٩)</sup>، ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾<sup>(٦٠)</sup>.

فيقول:

أ-إنه لو قال (لا تخضعن بالكلام) لكان يجيز لهنّ الخضوع بالقول، وهو في النفس. فإذا خضع قلب المرأة فإنّها قادرة على إيصاله بلا كلام، فأراد قطع الخضوع من أصله.

ب-أراد سبحانه أن يكون الدين صاراً من قلبيهما، وهو منتهى الحكمة والعدل والمعروف.

ويقول ختاماً: وأما الموارد الأخرى، فعلى الباحث تدبر ما فيها واكتشاف إشاراتها.

من الواضح أنّ هذا يشكل تطبيقاً تعسفيّاً يفتح الباب أمام اختلاف في عملية ملاحظة المفردات أراد التفسير القصدي الفرار منه وجعله محوراً أساسياً في هجومه على المفسرين.

ثالثاً: إنّ مسألة تغيير زمان الفعل عبر اللجوء إلى التقدير هو أمر تفرضه الضرورة، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿كَانَ فِي الْمَهْدِ صَيِّبًا﴾<sup>(٦١)</sup> يرفض المنهج القصدي التصرف في دلالة فعل (كان) على الماضي، ويشدد النكير فيعتبر أن تقدير (يكون) هو من التحرير.

ولكنّنا نقول: لا شك في أنّ كلمة (كان) في الآية لا يمكن حملها على صيغة الماضي، وذلك لأنّ الآية وردت في مقام استغراهم التكليم، والاستغراب إنما يحصل ممّن هو فعلاً في المهد، لا ممّن كان كذلك. وقد ذكر المفسرون العديد من الوجوه لحل هذه المشكلة، ومنهم من حملها على الماضي القريب، وهو الجواب الذي تبنّاه النيلي من جهة أنّها لما أتت به قومها تحمله لم يكن في المهد، فيكون مرادهم إنّه كان قبل أن تأتي به مريم إليهم. ومن الأرجوبة ما تبناه الطباطبائي في تفسيره

(الميزان) من كون كلمة (كان) هنا مجردة عن الزمان. من قبيل ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾<sup>(٦٢)</sup>.

إذن، هنا مشكلة في الدلالة، ومهما يكن الجواب فإنّه لن يخرج عن التصرف في دلالة الكلمة (كان) على الماضي، إلا أن يسعى إلى التأويل، وبهذا يقع في مشكلة أخرى.

مضافاً إلى أنّ حمل (كان) على الماضي القريب يصطدم بآيات أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٦٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَيَّدْتُك بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾<sup>(٦٤)</sup>.

فالفعل (يكلم) و(تكلم) إذا أردنا حمله على زمانه - كما هو منهج التفسير القصدي - فلا بدّ من حمله على صورة حصول التكليم فعلاً.

ولعلّ أوجه ما يمكن أن يقال هنا هو أنّ المراد من قوله: (في المهد) هو حالة الصغر والطفولة، لا سيما بلاحظة إتباعها بقوله (وكهلاً) في الآية الواردة في سورة آل عمران.

رابعاً: فرع التفسير القصدي على نظريته في نفي الترافق مقولةً، وهي أن اختلاف الترتيب في الآي القرآني يدلّ على تكرر الحادثة. وذكر نموذجاً لذلك ما ورد من قصة موسى عليه السلام مع بنى إسرائيل ودخولهم القرية.

يقول: إنّ تكرر الآية مع الاختلاف في الترتيب دليل على تكرر الحدث وعدم إمكان حمل المتكرر القرآني على أنه حدث واحد. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا اذْ خُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِكْمَةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٦٥)</sup>، مع قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِكْمَةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٦٦)</sup>؛ إذ لا يمكن حمل الآيتين على

حدث واحد في التفسير القصدي، بل الحدث نفسه كان مكرراً في واقعه التاريخي. وقد التفت المفسرون إلى هذا الاختلاف في التعبير القرآني، وذكروا وجوهاً لذلك. ونحن لسنا هنا في صدد ملاحظة هذه الوجوه ومدى صحتها، ولكن لنا أن نتوقف مع التفسير القصدي قليلاً، وذلك بلحاظ أن الداعي الذي بعثهم للالتزام بتكرر الحادثة عند تغيير الترتيب هو تأسيسهم لقاعدة نفي الترافق المترفرفة على إيمانهم بوضع المروف وكوتها ذات معاني، ولو أردنا أن نسير وفق هذه الطريقة، فلا بد أيضاً -بل من الأولى- أن يكون تغيير الكلمة موجباً لتعدد الحادثة، وأن لا يحمل على الحادثة الواحدة، لوحدة الملك الحاكم في الموردين ووحدة القاعدة هذه.

ولكن هذا لا يمكن الالتزام به، ولنلاحظ بعض الموارد القرآنية كنموذج لذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بَعَصَارَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنَّاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُّهُمْ وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾<sup>(٦٧)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْ مُوسَى إِذَا سَتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بَعَصَارَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنَّاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾<sup>(٦٨)</sup>. ففي الآية الأولى استخدم القرآن كلمة (انفجرت) وفي الثانية (انbjست).

٢- قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾<sup>(٦٩)</sup>، وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيَ﴾<sup>(٧٠)</sup>. ففي الآية الأولى استخدم القرآن كلمة (ولد) وفي الثانية (غلام)، فهل هذا من تكرر الحدث؟  
 ٣- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَقَرَزَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَنْوَهُ دَاخِرِينَ﴾<sup>(٧١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَنُفْخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٧٢)</sup>. ففي الأولى (فقرع)، وفي الثانية (فصعق).  
 ٤- ولاحظ أيضاً: ﴿رُدِدْتُ إِلَيْ رَبِّي﴾<sup>(٧٣)</sup>، و﴿رُجِعْتُ إِلَيْ رَبِّي﴾<sup>(٧٤)</sup>، وكذلك

﴿فَأَرْلَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾<sup>(٧٥)</sup>، و﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾<sup>(٧٦)</sup>.

ختاماً: نؤكد ما بينهاء سابقاً، من أنّ ما ذكره الكاتب لا يرقى لمستوى المنهج أو النظرية، وإنما هو فرضية تقوم على أساس التخمين والاحتمال، وتستخلص من الاحتمال يقيناً غير مطرد وثابت؛ فلذا من المناسب التعبير بالاتجاه بدلاً عن المنهج، وبالفرضية بدلاً عن النظرية.

## الهوامش:

\* هذا البحث هو عبارة عن مجموعة من المحاضرات التي ألقاها ساحة الشيخ غازي عبد الحسن السماك في جامع السيدة فاطمة الزهراء في البحرين وكان ذلك خلال شهر رمضان المبارك من عام ١٤٣٦هـ.

- (١) هذه التسمية فيها تسامح لما سيتضح من نتيجة البحث.
- (٢) النيلي، عالم سبيط، النظام القرآني.. مقدمة في المنهج اللغظي، إعداد فرقان محمد قي ومهدي الوائلي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣، مكتبة بلوتو: ١.
- (٣) فرانز كليمنس أونوراتوس هيرمان برنتانو ١٨٣٨م - ١٩١٧م، فيلسوف وعالم نفس نساوي.
- (٤) ادموند هوسرل ١٨٥٩م - ١٩٣٨م، فيلسوف ألماني ومؤسس الظاهريات.
- (٥) هذا المقطع عبارة عن تلخيص من كتاب النظام القرآني للنيلي فيما يرتبط بأسس ومبادئ المنهج اللغظي.
- (٦) سورة النحل: ٨٩.
- (٧) سورة محمد: ٢٤.
- (٨) سورة النبأ: ٢١.
- (٩) سورة ص: ٥٥.
- (١٠) سورة النور: ٣٧.
- (١١) سورة الأحزاب: ٢٣.
- (١٢) سورة الأعراف: ٤٦.
- (١٣) سورة التوبة: ١٠٨.
- (١٤) سورة الفتح: ٢٥.
- (١٥) سورة يوسف: ٢.
- (١٦) سورة الأحقاف: ١٢.
- (١٧) سورة يوسف: ٢.
- (١٨) سورة طه: ١١٣.
- (١٩) سورة الزمر: ٢٨.

- (٢٠) سورة فصلت: ٣.
- (٢١) سورة الشورى: ٧.
- (٢٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج ٢، ص ٢٥٥.
- (٢٣) سورة البقرة: ٢١٠.
- (٢٤) سورة الفجر: ٢٢.
- (٢٥) سورة طه: ٥.
- (٢٦) سورة طه: ٢١٢.
- (٢٧) سورة المزمل: ١٦.
- (٢٨) سورة النازعات: ٢١ - ٢٠.
- (٢٩) سورة النجم: ٢.
- (٣٠) سورة الأنبياء: ٨٧.
- (٣١) سورة الجمعة: ٥.
- (٣٢) سورة البقرة: ١٢٥.
- (٣٣) سورة البقرة: ١٩٣.
- (٣٤) سورة الفاتحة: ٧.
- (٣٥) سورة البقرة: ١٩٨.
- (٣٦) سورة الأنعام: ٧٧.
- (٣٧) سورة الشعراء: ١٩ - ٢٠.
- (٣٨) سورة يوسف: ٢٨.
- (٣٩) سورة النساء: ١١.
- (٤٠) سورة النساء: ١٧٦.
- (٤١) سورة البقرة: ٢٢٠.
- (٤٢) سورة الإسراء: ٢٧.
- (٤٣) سورة الأعراف: ٢٠٢.
- (٤٤) سورة ق: ٣.
- (٤٥) سورة الحشر: ٢٨.

- .٤٦) سورة الحجرات: ١٠.
- .٤٧) سورة آل عمران: ١٠٣.
- .٤٨) سورة الأحزاب: ٥٣.
- .٤٩) سورة النساء: ٤٣.
- (٥٠) وسائل الشيعة، الحر العاملی، ج ٢٠ باب ٦٧ من كتاب السکاح ح ٣.
- (٥١) سورة فصلت: ١١.
- (٥٢) سورة الرعد: ١٠.
- (٥٣) سورة النحل: ٨٦.
- (٥٤) سورة الأنبياء: ١١٠.
- (٥٥) سورة طه: ٧.
- (٥٦) سورة الأعراف: ٢٠٥.
- (٥٧) سورة ق: ١٨.
- (٥٨) سورة الأحزاب: ٣٢.
- (٥٩) سورة طه: ٤٤.
- (٦٠) سورة طه: ١٠٩.
- (٦١) سورة مريم: ٢٩.
- (٦٢) سورة النساء: ٩٦.
- .٦٣) سورة آل عمران: ٤٦.
- .٦٤) سورة المائدة: ١١٠.
- .٦٥) سورة البقرة: ٥٨.
- .٦٦) الأعراف: ١٦١.
- .٦٧) البقرة: ٦٠.
- .٦٨) الأعراف: ١٦٠.
- .٦٩) آل عمران: ٤٧.
- .٧٠) مريم: ٢٠.
- .٧١) النمل: ٨٧.

- .٦٨) الزمر: (٧٢)  
.٣٦) الكهف: (٧٣)  
.٥٠) فصلت: (٧٤)  
.٣٦) البقرة: (٧٥)  
.٢٠) الأعراف: (٧٦)

نقد المنهج التقديري في تفسير القرآن الكريم

الشيخ غازي عبد المحسن السمائل

# أوّل تعقيب بعد الصلاة

## ما هو؟

الشيخ محمد علي خاتم

بمجرد أن يسلّم المصلي في الركعة الأخيرة من كل فريضة يكون قد خرج من الصلاة، ومن ثم يشرع المصلي بالتعقيب وله الأجر العظيم على تعقيبه الذي لا بد من التصاقه بالصلاحة، ولو حصل فاصل كما لو اشتغل بالمنافعات والكلام قبل التعقيب وبعد التسلیم، فإنه لا يكون تعقيباً لأن التعقيب يكون عقیب الصلاة إذ: "يعتبر أن يكون متصلةً بالفراغ منها غير مشتغل بفعل آخر ينافي صدقه الذي يختلف بحسب المقامات من السفر والحضر والاضطرار والاختيار، ففي السفر يمكن صدقه حال الركوب أو المشي أيضاً كحال الاضطرار، والمدار علىبقاء الصدق والهيئة في نظر المشرعة، والقدر المتيقن في الحضر الجلوس مشتغلاً بما ذكر من الدعاء ونحوه، والظاهر عدم صدقه على الجلوس بلا دعاء أو الدعاء بلا جلوس إلا في مثل ما مر" <sup>(١)</sup>.

لذا لو تأخر بهذه التعقيبات كما لو قام من مقامه مثلاً فقد لا يصدق عليه أنه معقب فيما لو عاد وجاء بالتعقيبات.

وقد يصدق عليه أنه معقب إذا قلنا بأن "الإقبال بالقلب والبقاء على هيئة التشهد وعدم الكلام قبله وخلاله والحدث وعدم الاستدبار وعدم مفارقة المصلى وكل مناف في صحة الصلاة أو كمالها"<sup>(٢)</sup> كلها من وظائف كمال التعقيب.

وذلك بالاستناد على مثل قول الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في سؤاله عَنْ يخرج حاجة ويرغب أن يكون معقباً: «إن كنت على وضوء فأنت معقب»<sup>(٣)</sup>، إلا أن هذا لا يتم بعد القول بأن له ثواب المعقب وليس هو معقب حقيقة<sup>(٤)</sup>، ويشهد له قول الشهيد في الذكرى: "قد ورد أن المعقب يكون على هيئة المشهد في استقبال القبلة، وفي التورك، وأن ما يضر بالصلاحة يضر بالتعليق"<sup>(٥)</sup>.

ومن اشتغل بالتعليق كان له ثواب المصلى، أما ما ورد من تعقيبات كثيرة كما هو مذكور في مظانه، منها: التكبير، تسبيح الزهراء، الدعاء وله صيغ مختلفة، قراءة سورة الحمد وأية الكرسي وأية الشهادة ﴿شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٦)</sup> وأية الملك ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَا لِكَ الْمُلْكُ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعَزِّزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلِّلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٧)</sup> وغيرها من التعقيبات الثابت استحبابها بعد الفريضة وهي بعينها مستحبة للنافلة.

**والسؤال الذي نحاول الإجابة عليه هو: هل للتعقيبات المذكورة ترتيب معين أم أن المكلف مخير في ترتيبها كيف ما شاء؟**

**الجواب:** هو أن بعضها مرتب وبعضها الآخر ليس كذلك فالمصلى له أن يرتب كما يشاء، وسأذكر المرتب منها، ومنه يتضح أن ما لم أذكره فهو من التعقيبات غير المرتبة فللمكفل أن يأتي به مع غيره من دون رعاية الترتيب ضرورة أن لا يختلف صدق التعقيب عليه.

أما ما ورد من التعقيبات بصورة مرتبة فروایات متعددة تفرز لنا ترتيبين:

الأول: أن يكبر المصلّي مرّة أو ثلاثاً بعد التسلیم ثم يقرأ الدعاء الخاص.

١- صحیحة المفضل بن عمر قال قلت لأبی عبد الله علیہما السلام لأی علة يکبر المصلّی بعد التسلیم ثلاثة يرفع بها يديه؟ فقال علیہما السلام:

«لأنّ النبي علیہما السلام لما فتح مكة صلّى بأصحابه الظهر عند الحجر الأسود فلما سلم رفع يديه وكبر ثلاثة وقال "لا إله إلا الله وحده وحده، أنجز وعده ونصر عبده وأعز جنده وغلب الأحزاب وحده، فله الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قادر" ، ثم أقبل على أصحابه، فقال: لا تدعوا هذا التكبير وهذا القول في دبر كل صلاة مكتوبة، فإنّ من فعل ذلك بعد التسلیم وقال هذا القول كان قد أدى ما يجب عليه من شكر الله تعالى على تقویة الإسلام وجنته»<sup>(٨)</sup>.

ولا يخفى أنّ المفضل من وقع الخلاف في وثاقته المعتمد وثاقته وإن وجد ما يستفاد منه تضعيقه كقول النجاشي: "مفضل بن عمر أبو عبد الله، قيل أبو محمد الجعفی: كوفي، فاسد المذهب، مضطرب الروایة، لا يعبأ به، وقيل: إنه كان خطابیاً، وقد ذكرت له مصنفات لا يعول عليها..."<sup>(٩)</sup>.

وكذا ما قاله ابن الغضائري: "المفضل بن عمر الجعفی، أبو عبد الله، ضعیف متهافت، مرتفع القول، خطابی، وقد زید عليه شيء كثير، وحمل الغلامة في حديثه حملأً عظیماً، ولا يجوز أن يكتب حديثه"<sup>(١٠)</sup>.

إلا أنّ هذه مناقشة بوجوهه منها: تصريح الشیخ في اعتماده عليه وأنه غير مطعون عليه، ومنها: أن ابن شهر آشوب عده من أصحاب الصادق علیہما السلام بل قد عده الشیخ المفید من خاصة أبي عبد الله علیہما السلام وبطانته، وثقاته الفقهاء الصالحين، من روی النص بالإمامية من أبي عبد الله علیہما السلام على ابنه أبي الحسن موسى علیہما السلام، منها: وجود الروایات المادحة.. وغيرها<sup>(١١)</sup>.

٢- صحیحة أبی بصیر عن أبی عبد الله علیہ السلام قال: «قُلْ بَعْدَ التَّسْلِيمِ اللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يَحْيِي وَيَمْتَدُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمْتَدُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ صَدْقَةٌ وَعْدَهُ وَنَصْرٌ عَبْدَهُ وَهُزْمُ الْأَذْرَابِ وَهُدُوِّ الْلَّهُمَّ اهْدِنِي مَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ إِنَّكَ تَهْدِي مِنْ تَنْشَاءِ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ»<sup>(١٢)</sup>.

ولا کلام في سند الروایتین فهو معترض.

أما الدلالة في الروایتین فواضحة في الترتيب كما أنها لم تلحظ تسبیح الزهراء علیہ السلام خصوصاً في الروایة الثانية فهي واردة عن الإمام الصادق علیہ السلام بعد أن كان التسبیح بخلاف الأولى التي كانت عن النبي علیہ السلام حيث كانت ولم يكن التسبیح إذ ذاك، ولو احتملنا وجوده فعدم ذكره من النبي علیہ السلام - خصوصاً في هذا المحدث - يثبت أنّ موقع التسبیح ليس هو بعد التسلیم مباشرة وقبل بقية التعقیبات.

الثاني: أن يسبّح تسبیح الزهراء ثم يهلل مرة واحدة أو من دون تهليل.

١- رجل عن أبی عبد الله علیہ السلام قال: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دَبْرِ الْفَرِيضَةِ تَسْبِيحُ فَاطِمَةَ الْمَائِةِ مَرَّةً وَأَتَبَعَهَا بِـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) مَرَّةً غَفَرَ لَهُ»<sup>(١٣)</sup>.

وهذه الروایة مرویة في ثلاثة مصادر معتبرة إلا أنها معلولة بالإرسال فتسقط عن الاعتبار.

ولكن لو قلنا بالاعتبار فهي لا تتنافى ما تقدم من روایات الترتيب السابق لأنّ التسبیح دبر الفريضة يصدق على صورة إيقاعه بعد الدعاء المأثور وبهذا يبعد احتمال أنّ مفاد الروایة هو أنّ التعقیب لا يبدأ بالتكبيرات بل يبدأ بتسبيح الزهراء علیہ السلام ومن ثم التهليل مرّة واحدة على خلاف ما هو المعروف بين الناس حيث يهللون مرّة واحدة - بعد التکبير ثلاثاً - ثم ينتهيون إلى التسبیح.

٢- محمد بن يعقوب عن الحسين بن محمد عن عبد الله بن عامر عن علي بن مهزيار عن فضالة بن أبيويه عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «من سبّح تسبّيح فاطمة عليه السلام قبل أن يثني رجله من صلاة الفريضة غفر الله له، ويبدأ بالتكبير»<sup>(١٤)</sup>.

هذه الرواية معتبرة سندًا، وهي تدل على تحديد موقع التسبّيح وهو من بعد السلام إلى ما قبل ثني الرجلين، وهذا المد إما عبارة عن بقاء المصلي على حالة الجلوس التي انتهى بها في الصلاة أو أنه كناية عن عدم انشغال المصلي بغير التعقيب، وعلى كلا الاحتمالين لم يحدد الإمام كون التسبّيح لا بد من كونه أول التعقيبات. فلا دلالة واضحة على الترتيب.

ثم إن المراد من التكبير في ذيل الرواية من قوله عليه السلام: «ويبدأ بالتكبير» هو التكبيرات الأربع والثلاثون في تسبّيح الزهراء عليه السلام، إلا إذا احتملنا أن قوله عليه السلام: «ويبدأ بالتكبير» أنه يقصد الله أكبر ثلاثاً بعد التسلیم بقرينة أن الإمام ليس في مقام بيان كيفية التسبّيح حتى نحتمل أن مراده هو إذا أردت أن تشرع في تسبّيح الزهراء فعليك أن تبدأ بالتكبير.

لكن يبعد هذا الاحتمال ورود بعض الروايات التي تذكر أكثر من كيفية للتسبّيح مخالفة لما هو المعروف حيث ورد في استحباب تسبّيح الزهراء عليه السلام عند النوم أن يبدأ بالتسبّيح ثم التحميد ثم التكبير<sup>(١٥)</sup>، وبعضاها يبدأ بالتكبير ثم التسبّيح ثم التحميد<sup>(١٦)</sup>، ويحتمل صدور هذه الصيغة للتقوية إذ إن مذهب العامة على ذلك الترتيب<sup>(١٧)</sup> أو لا خصاصتها بوقت النوم مثلاً...

وعلى هذا فالإمام عليه السلام عندما قال: «ويبدأ بالتكبير» قد أشار إلى الصيغة الصحيحة المعروفة؛ وهي لزوم أن يبدأ المصلي بالتكبيرات والمكلف مخير في تقديم

التسبيح على التحميد أو العكس، فهو عليه في مقام البيان في هذه الفقرة من جهة ما يبدأ به من تسبيح الزهراء عليهما السلام.

#### النتيجة:

بناء على ما تقدم نقول: إن الصحيح في ترتيب التعقيبات بعد التسليم - وجمعًا بين الروايات - أن يكبر المصلّى ثلثًا ثم يقرأ الدعاء الخاص ثم يسبّح تسبيحة الزهراء عليهما السلام محافظًا على جلسته ومنصراً عن فعل المنافيات للصلة ومن ثم يهلل مرة... وبعد هذا للمصلّى أن يعقب بما شاء بالترتيب الذي يشاء. ويمكن أن يصلّي على النبي وآلـه بعد التكبير وقبل الدعاء الخاص كما سيتضح.

#### تساؤل:

قد يقال: لما كان تسبيح السيدة فاطمة الزهراء عليهما السلام أفضل التعقيبات على الإطلاق فلا بد من أن يكون هو المقدم على جميع التعقيبات حتى على الصلاة على النبي عليهما السلام؟

#### الجواب:

أولاً: لا كلام في كون التسبيح أفضل التعقيبات فلم يرد فيها ما ورد فيه، فمما ورد مضافاً إلى الروايتين الأخيرتين ما عن أبي جعفر عليهما السلام:

«من سبّح تسبيح فاطمة عليهما السلام ثم استغفر غفر له، وهي مائة باللسان وألف في الميزان وطرد الشيطان وترضي الرحمن»<sup>(١٨)</sup>.

وعنه عليهما السلام أيضاً قال: «ما عبد الله شيء من التحميد أفضل من تسبيح فاطمة عليهما السلام ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله عليهما السلام فاطمة عليهما السلام»<sup>(١٩)</sup>.

عن أبي خالد القماط قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ يَقُولُ: «تسبيح فاطمة عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ في كل يوم في درب كل صلاة أحب إلي من صلاة ألف ركعة في كل يوم»<sup>(٢٠)</sup> وغيرها من الروايات.

لذا قال بعض علمائنا حول أفضليته أنه: «أفضل الأذكار كلها تسبيح الزهراء عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ، وقد أجمع أهل العلم كافة على استحبابه»<sup>(٢١)</sup>.  
وكونه أفضل التعقيبات لا يلزم تقديمه عليها. ولو تزّلنا وقلنا باللازم كان ينبغي تقاديمها حتى على التكبيرات الثلاث ولم يقل بهذا أحد.

ثانياً: ورد في المعتبر عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ أنه قال:  
«أعطي السمع أربعة: النبي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ والجنة والنار والحرور العين، فإذا فرغ العبد من صلاته فليصل على النبي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ وليسأل الله الجنة وليستجير بالله من النار ويسأل الله أن يزوجه الحرور العين، فإنه من صلى على النبي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ رفعت دعوته، ومن سأله الجنة، قالت الجنة: يا رب أعط عبدك ما سأله. ومن استجار بالله من النار، قالت النار: يا رب أجر عبدك ما استجارك منه. ومن سأله الحرور العين قلن: يا رب أعط عبدك ما سأله»<sup>(٢٢)</sup>.

وهذه الرواية تذكر رجحان التعقيب بالصلاحة على النبي وآلـه دون أن يسبقه شيء لتفريعه بلفاء «...من صلاته فليصل على النبي...» ولو لم تطبق الطائفة على كون التعقيب الأول هو التكبيرات الثلاث لأمكن القول بأنّ التعقيب الأول بعد التسليم هو الصلاة على النبي وآلـه، ولعلّ انصراف الطائفة عن التعقيب قبل التكبيرات بالصلاحة على النبي وآلـه هو عدم استظهارهم من الفاء التعقيب بلا مهلة أو أنـهم لا يعتبرون الفصل بالدعاء المأثور مهلة فيصدق عليه التعقيب حتى مع

إيقاعها بعده لا سيما إذا لحظنا قول الإمام عثيمان في صحيح أبي بصير المتقدمة: «قل بعد التسليم اللهم أكبر لا إله إلا الله...».

ثالثاً: لا يصح الاعتماد على فقرة «قبل أن يثني رجله» إذ مضافاً إلى ما تقدم من عدم استظهار الترتيب، أئن نقول بوجود روایات تذكر نفس هذه الفقرة لبعض الأدعية مما يقال في النسبية لا بد أن يقال فيها مما يؤكّد عدم إرادة الترتيب كما ورد عن النبي ﷺ: «... من قال ذلك عقيب الصبح والمغرب قبل أن يثني وركيه لم يلق الله عزّ وجلّ عبد بعمل أفضل من عمله إلا من جاء به مثل عمله»<sup>(٣٣)</sup>.

#### أي التعقيبات يقدم عند التزاحم

قد يضيق وقت المصلّي عن الإتيان بالتعقيبات على الترتيب المتقدّم ففي هذه الصورة لا ينبغي الشك في تقديم أفضلها وهو تسبيح الزهراء علیها السلام.

#### الهوامش:

- (١) السيد اليزدي، العروة الوثقى، ج ١، ص ٥٤٧ فصل في التعليب.
- (٢) الشهيد الثاني، الفوائد الملبية لشرح الرسالة النفلية، ص ٢٤٤.
- (٣) الحر العاملی، وسائل الشيعة، ج ٦، ص ٤٥٧ باب ١٧ من أبواب من أبواب التعليب ح ١.
- (٤) الحدّث البحري، الحدائق الناضرة ج ٨، ص ٥٠٧.
- (٥) نقلأً عن المصدر السابق.
- (٦) سورة آل عمران: ١٨.
- (٧) ن ف: ٢٦.
- (٨) الوسائل ج ٦ ص ٤٥٢ باب ١٤ ح ٢.
- (٩) انظر: معجم رجال الحديث، ج ١٩، ص ٣١٧.
- (١٠) انظر: معجم رجال الحديث، ج ١٩، ص ٣١٨.



- (١١) انظر: معجم رجال الحديث، ج ١٩، ص ٣١٨ - ٣١٩.
- (١٢) الوسائل ج ٦ ص ٤٧٢ باب ٢٤ ح ٧٢.
- (١٣) الوسائل ج ٦ ص ٤٤٠ باب ٧ ح ٣.
- (١٤) الوسائل ج ٦ ص ٤٣٩ باب ٧ ح ١.
- (١٥) الوسائل ج ٦ ص ٤٤٦ باب ١١ ح ٢ و ٣.
- (١٦) الوسائل ج ٦ ص ٤٤٥ باب ١٠ ح ٣.
- (١٧) انظر: الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزييري ص ١٨٩ "أن يقول: سبحان الله ثلاثاً وتلذتين، ويقول، الحمد لله ثلاثاً وتلذتين، ويقول الله أكبر ثلاثاً وتلذتين عقب كل صلاة".
- (١٨) الوسائل ج ٦ ص ٤٤٢ باب ٨ ح ٣.
- (١٩) الوسائل ج ٦ ص ٤٤٢ باب ٩ ح ١.
- (٢٠) الوسائل ج ٦ ص ٤٤٢ باب ٩ ح ٢.
- (٢١) العلامة الحلي، منتهي المطلب، ج ١، ص ٣٠٢.
- (٢٢) الوسائل ج ٦ ص ٤٦٦ باب ٢٢ ح ٦.
- (٢٣) الشهيد الثاني، الفوائد الملبية لشرح التفلية، ج ١، ص ٢٥٠.

# فلسفة القيم في حياة

## الإنسان\*

الشيخ علي فاضل الصددي

مقدمة: في مفردة (القيمة) في الكتاب العزيز:

قال الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا هَذَا فِي رَبِّي إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة «قيماً» بكسر القاف وتحفيف الياء وفتحها، [وقرأ]  
الباقيون بفتح القاف مع تشديد الياء<sup>(٢)</sup>، فأما من قرأ بالتحفيف فإنه أراد المصدر، مثل  
الشبع..<sup>(٣)</sup>، والقيمة - بالكسر فالفتح كالصغير والكبير - مخفف القيام وصف به الدين  
للمباغة في قيامه على مصالح العباد<sup>(٤)</sup>، كما حذفت في خيم<sup>(٥)</sup>، [المخففة عن خيام  
جمع خيمة]، [وفي مقابل ذلك ما ذكره ابن خلويه بقوله:] والحجّة لمن خفف أنه أراد  
جمع قيمة وقيمة كقوتهم حيلة وحيل<sup>(٦)</sup>، وقد قرأ عاصم وابن عامر «قياماً» في قوله  
تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيمَاتٍ لِلنَّاسِ﴾ «قيماً» بدون الألف<sup>(٧)</sup>، وقال  
الرااغب: "وقرئ **قيماً** <بمعنى قياماً، وليس قول من قال: جمع قيمة - بشيء"<sup>(٨)</sup>.

## مفهوم القيم:

وبعد هذه الإطلاة القرآنية تعالوا -أيتها الإخوة والأخوات الكرام- لنتعرف جملةً أمور تدخل في موضوع الورقة المقدمة بين يدي حضراتكم: أحدها، القيم مفهوماً، فنقول: القيم -التي هي جمع قيمة- عبارة عن المُثل العليا والمبادئ السامية، التي يراد لها أن تتّبع وتأخذ طريقها إلى سلوك الفرد والجماعة، والتي بتمثلها يرقيان، وبالتحلّف عنها يتسلّلان، والتي يقاس تقدّم وتحضّر الفرد والمجتمع بالإضافة إليها، وهي قد تضاف إلى الإنسان كعنصر أو نوع لا تميّز بحسبه بين أصنافه، فيقال عنها بأنّها قيم إنسانية، وقد تضاف إلى الإيجابي من أخلاقه، فيقال عنها بأنّها قيم أخلاقية، ولما لم يكن بين القيم الإنسانية والأخلاقية قام المبادنة -جاز أن تكون واحدة من القيم الإنسانية وأخلاقية.

## القيم الإنسانية:

وحيثما تقيد القيمة وتحدد سعتها بالإنسان كعنصر أو نوع -كما تقدّم- فهذه القيمة تحتم أن يعامل الذكر والأنثى على أساسها من حيث مما صنفان للإنسان، ويعامل الصغير كما الكبير، والفقير كما الغني، والأسود كما الأبيض، والضعف كما القوي، في ظل الإنسانية الجامحة لهم أجمع وبلا لحاظ أيّة امتيازات أو سيئات (نعم يتحتم أن يعاملوا وأن يتعاطى معهم سلباً وإيجاباً) بنسق واحد وبلا أدنى تمييز بعد عدم لحاظ التمايز.

ولا يراد بالقيم حين تضاف إلى الإنسان فيقال القيم الإنسانية أنّ الإنسان هو الحاكم بها وأنّها من أحكامه ومنتجاته وإملاءاته، بل هي قيم صالح كل أفراد الإنسان على خلفيّة إنسانيته، وغالب تلکم القيم تفرضها الفطرة والعقل السليمان من النوازع والأهواء والمصالح الخاصة، ويكون دور الشرع المقدّس دور المرشد لما يحتمله سليم الفطرة والعقل.

ومن القيم الإنسانية بلحاظ الذكورة والأنوثة والعنصر واللون والقومية والوضع المعيشي قيمة الكرامة، وقد أرشد إليها الكتاب العزيز قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾<sup>(٩)</sup>، ومن القيم الإنسانية بلحاظ الذكورة والأنوثة مثلاً حُقّ وقيمة الحياة، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمُسْكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾<sup>(١٠)</sup>، فالحكم بالموت على الأنثى من حكم الجاهلية الجهلاء، على خلاف ما يقره العقل الفطري.

#### القيم الأخلاقية:

وحينما تقيّد القيمة وتضيق دائرتها بالأخلاق فيراد بها مجموعة الأخلاق السوية والنبيلة، التي لا يُنكر فردٌ فضيلتها، وإن تخلّف عن موافقتها، بلا فرق بين ما يراد للفرد أن يتحلى بها وتعود طبعاً له كالعدل والصدق والأمانة والإحسان والصبر والشجاعة والحلم والعفو والإيثار والمواساة والمداراة والرفق والقناعة والعفة وشبيهات هذه الفضائل من القيم الأخلاقية، أو يراد للمجتمع أن يتمثلها وتغدو طابعاً له كالتكافل والتعاون والتناصح والتراحم ومشاكلاها.

ولا ينبغي إغفال ما للوحي والدين من دور في بلورتها في الأذهان وتركيزها في النفوس وتمكيّنها في السلوك سيما بعد ربطه بحمل السلوك وكل حركة - وإن كانت للقلب - بالجزاء واليوم الآخر.

وقد استحسننا الكتاب العزيز على تلکم القيم الأخلاقية، فقال الله سبحانه عن العدل والإحسان: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾<sup>(١١)</sup>، وقال سبحانه عن الأمانة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا...﴾<sup>(١٢)</sup>، وقال سبحانه عن الصدق والصبر وعفة الفرج: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرَاتِ... وَالْحَافِظِينَ فُرُوجُهُمْ

وَالْحَافِظَاتِ وَالَّذَا كَرِيْنَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالَّذَا كَرِيْتِ أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيْمًا<sup>(١٣)</sup>،  
وقال سبحانه عن عفة يوسف الصديق عليه السلام: ﴿وَرَأْوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ  
وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَادَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ  
الظَّالِمُونَ﴾<sup>(١٤)</sup>، وقال سبحانه عنها على لسان امرأة العزيز: ﴿..وَلَقَدْ رَأَوْدَتْهُ عَنْ  
نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾<sup>(١٥)</sup>، وقال سبحانه عن العفو والحلم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ  
وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِيْنَ﴾<sup>(١٦)</sup>، وقال سبحانه عن الإيثار: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ  
مِسْكِينًا وَبَيْتِيْمًا وَأَسِيرًا﴾<sup>(١٧)</sup>، وقال سبحانه عن التكافل والمواساة: ﴿..وَبُيُّثِرُونَ عَلَى  
أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَاصَّةً وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(١٨)</sup>،  
وقال سبحانه عن التعاون: ﴿..وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى..﴾<sup>(١٩)</sup>.

### القيم الأخلاقية وتأثيرها في السلوك الإنساني (فلسفة القيم الأخلاقية):

ثم إن لكل واحدة من تلك القيم الأخلاقية ونظيراتها فلسفة أو فلسفات تخصّها ولسنا بصدّ التعرّض إليها فعلاً، كذلك لمجموع تلك القيم فلسفة أو فلسفات عامة تستند إليها، فالسلوك الإنساني على مستوى الفرد والمجتمع حين يستجيب إلى تلكم القيم، ويصدر عنها، وتكون رائده والمهيمنة عليه فلا حالة تتجلّى تلك الفلسفات العامة، وهي ما يلي:

**أولاً:** الحفاظ على طهر القلوب وزكاة النفوس، فما من عقيدة أو طريقة إلا وتوصي بضرورة ذلك، فـ(العفة) والنأي بالقلب عن منبهات الشهوة مثلاً مما يؤمّن طهره، قال الله سبحانه: ﴿..وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقْلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ..﴾<sup>(٢٠)</sup>، وطهر القلب وزكاته يفضيán إلى سعادة الإنسان، قال سبحانه بعد الأيان المؤكدة: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَاللَّهُمَّا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا \* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَاهَا﴾<sup>(٢١)</sup>، ﴿.. وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَاهَا﴾<sup>(٢٢)</sup>.

ثانياً: صلاح شؤون الفرد والمجتمع، وقربها من الإيجابيات؛ فإن العدل مثلاً قيمة أخلاقية أساسية تؤمنُ من ذلك، فعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ : «أكرم الأخلاق السخاء، وأعْنَاهَا نفعاً العدل»<sup>(٢٣)</sup>، وعن النبي ﷺ: «العدل حُسْنٌ، ولكن في الأمْرَاءِ أَحْسَنٌ»<sup>(٢٤)</sup>.

ثالثاً: أن يعمّ لدى الأفراد الشعور بالأمن على أنفسهم ومصالحهم ومكتسباتهم.

رابعاً: شيوخ الطمأنينة والثقة بين أفراد المجتمع.

خامساً: قيام الحضارات الراقية ونهضة الأمم الخيرة.

سادساً: أن تنعم الإنسانية بالخير والمحبة والسلام.

ونعود لنقول بأن الإيمان بالله واليوم الآخر وبما وعد وتوعد به فيه يعقب مخافة من الله سبحانه تأخذ بالفرد في صراط القيم الأخلاقية، وتجعل سلوكه في ضوئها سلوكاً سوياً، وقد حدثنا الكتاب العزيز عن رائد الخير والمحبة والسلام هابيل بأنه واجه تصميم أخيه بقتله بقوله - كما حكاه الله سبحانه على لسانه - : **﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَعْتَذِنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لَا قُتْلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾**<sup>(٢٥)</sup>، فبني (السلام) كقيمة إنسانية وأخلاقية سوية وراقية على مخافة الله سبحانه، و«الإسلام» - كما عن النبي ﷺ: «أَنْ تُسْلِمَ قَلْبُكَ، وَيَسَّرْ لِلْمُسْلِمِونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ»<sup>(٢٦)</sup>، و«ال المسلم» - كما عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : «مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ»<sup>(٢٧)</sup>، و«المؤمن» - كما رواه أبو حمزة عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ : «مَنْ آمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ قُلْتُ : وَمَا بَوَائِقُهُ؟ قَالَ : ظَلَائِهُ وَغَشَّمُهُ»<sup>(٢٨)</sup>.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وأستغفر الله لي ولكلِّكم، وصَلَّى الله على محمد وآلِه الطاهرين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

#### أفكار الورقة باختصار:

■ (كمقدمة للورقة): جاءت مفردة (القيم) في الكتاب العزيز في قوله سبحانه:



﴿فُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٢٩)</sup>، ومن المحتمل أن تكون جمع قيمة بحذف ألف، كما في خيم المخفة عن خيام جمع خيمة.

- القيم هي المثل العليا والمبادئ السامية، وتمثلها من الفرد والمجتمع في السلوك يرقيان، ويقاس التحضر وعدمه بذلك.
- القيم الإنسانية قيم عاليا لا يُمايز على قاعدة الإنسانية بين فردٍ فيعطها، وآخر فيحرم منها، ومن القيم الإنسانية التي أرشد إليها الكتاب العزيز قيمة (الحياة) و(الكرامة).
- القيم الأخلاقية: هي مجموعة الأخلاق السوية، ومنها (العدل)، (الصدق)، (الأمانة)، (الإحسان)، (الصبر)، (الحِلْم)، (الإِيْثَار)، (الرِّفْق)، و(العَفْة)، وشبيهاتها، وقد استحدثنا الكتاب العزيز عليها أجمع.
- للقيم الأخلاقية -وبنحو المجموع- فلسفتها وتأثيرها في السلوك الإنساني، ومن الفلسفات لمجموع القيم الأخلاقية ما يلي:
  - صلاح شؤون الفرد والمجتمع.
  - أن يعمّ الأمن على الأنفس والمصالح والمكتسبات.
  - شيوخ الطمأنينة والثقة بين أفراد المجتمع.
  - قيام الحضارات الرافقة ونهضة الأمم الخيرية.
  - أن تنعم الإنسانية بالخير والمحبة والسلام.

(إلفات) الوازع الأكيد للالتزام بالقيم الأخلاقية والإتيان بها هو المخوف من الله سبحانه؛ استلهاماً من مقوله رائد الحبة والخير والسلام (هابيل) -التي حكها الكتاب العزيز عنه- ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣٠)</sup>.

## **التصنيفات:**

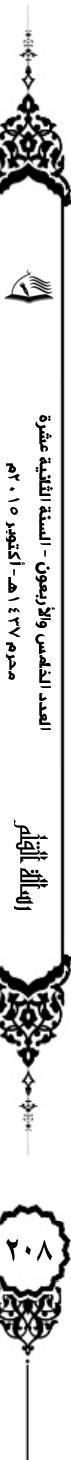
- أُوكِدَ على أهميّة بل ضرورة العمل على موضوع هذا المؤقر، وأرحب بصورةٍ أكيدة على تفعيل العديد من الفعاليات من محاضرات ومواسم ولقاءات وكتابات..(إلخ) في هذا الموضوع.
  - التواصي والتنسيق مع سائر الفعاليات من خطباء وأئمة الجماعة وبرامج المساجد ووو على أن يأخذ موضوع المؤقر المساحة الواسعة.
  - التركيز على الأخلاق العملية من جهة، والبعد عن التعاطي النظري والتنظيري الجرد من جهة أخرى، ومن البرامج الجدية للمبلغين والوعاظ في هذا الجانب أبواب جهاد النفس من كتاب وسائل الشيعة.
  - التركيز على بعض القيم الأخلاقية باهتمام استثنائي، وأخصّ منها قيمة (العفة).
- والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على محمد وآلـه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وقع الفراغ من تحريرها في الثاني من رجب ١٤٣٦ هـ

## الهوامش:

\* ورقتي في (مؤتمر القيم الأخلاقية) الذي أقامته جمعية التوعية الإسلامية - برعاية سماحة الشيخ محمد صالح الربيعي (سلّمه الله). يوم العشرين من رجب الأصبّ ١٤٣٦هـ الموافق للتاسع من مايو ٢٠١٥م، تلا هذه الورقة الشيخ علي حسن أحمد عاشور الصدّي (دام موفقاً).

- (١) الأنعام: ١٦١.  
(٢) التبيان في تفسير القرآن ٤: ٣٣٢.  
(٣) م. ن: ٣٣٣.  
(٤) الميزان ٧: ٣٩٣، موهب الرحمن ١٤: ٥٠٥.  
(٥) إملاء ما من به الرحمن ١: ١٦٧.  
(٦) الحجّة من القراءات السبع: ١٢٧.  
(٧) معجم القراءات القرآنية ٢: ٢٣٩.  
(٨) المفردات: ٤٣٤.  
(٩) سورة الإسراء: ٧٠.  
(١٠) سورة النحل: ٥٨ - ٥٩.  
(١١) سورة النحل: ٩٠.  
(١٢) سورة النساء: ٥٨.  
(١٣) سورة الأحزاب: ٣٥.  
(١٤) سورة يوسف: ٢٣.  
(١٥) سورة يوسف: ٣٢.  
(١٦) سورة الأعراف: ١٩٩.  
(١٧) سورة الإنسان: ٨.  
(١٨) سورة الحشر: ٩.  
(١٩) سورة المائدّة: ٢.  
(٢٠) سورة الأحزاب: ٥٣.  
(٢١) سورة الشمس: ٧ - ٩.  
(٢٢) أضفتها على الورقة لاحقاً لقراءتها.  
(٢٣) ميزان الحكمة ١: ٨٠٨.



مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى الْفُضُولِ  
مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى الْفُضُولِ

.٩٠٠) كنز العمال ١٥: .

.٢٨) سورة المائدة:

.٢٦) كنز العمال ١: ٢٦ ح ١٧.

.٢٧) معاني الأخبار: ٢٣٩ ب معنى المسلم ح ١.

.٢٨) الكافي ٢: ٦٦٨ ب حق الجوارح ١٢.

.٢٩) الأنعام: ١٦١.

.٣٠) سورة المائدة: .٢٨

فلسفة القيم في حياة الإنسان

الشيخ علي فاضل الصدقي



# Resalat Alqalam

Islamic, Enlightening & Comprehensive

- Advisory Board :

Sh. Abdulla Ali Al daqaq  
Sh. Ali Fadhel Alsadadi  
Sh. Ghazi Abdulhassan

- General Supervisor :

Sh. Abdulraoof Hassan Alrabia

- Editor in Chief:

Sh.mohammed ali khatam

- Editor in Director:

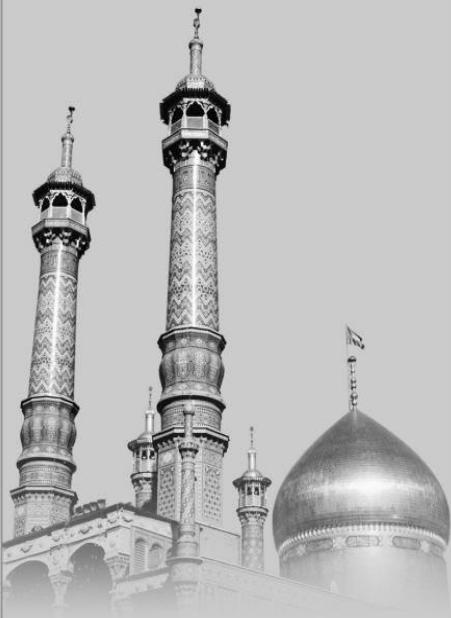
Sh.Abbas Ali Alsayegh

- Chairman of the Editorial Board:

Sh.Aziz Hassan Salman

- Editorial Board:

S.Jalal Adnan Alawi  
Sh.Ali Aqeel Aljamri  
Sh.Mansoor Ebrahim Aljubaili



A Periodical Magazine Issued by the  
Bahraini Students  
of the Educational Hawza the  
Holy City of Qom



## ثورة كربلاء

ثورة كربلاء ثورة الدين الحق على دين مشوش ممزوج بالجاهلية، مسخر لخدمة الطواغيت، مخدر للأمة، إباهي إلى حد كبير، مبرر للظلم، يشع للأثرة والنهب والاستحواذ بغير حق على الثروة.

وثورة عقل في قمة النضج والرشد وال بصيرة على عقول قاصرة مجت بلا رشد، ولا حكمة، ولا بصيرة.

ثورة عقل تنتور بهدایات الله على عقول لعبت بها الجاهلية، وأعمتها شهواتها، وأضلتها الطغيان.

كرباء ثورة القيم الروحية الظاهرة في أعلى ظهرها ونقاوتها، على قيم الطين الهاشطة، والشهوات المادية المتدنية، والحيوانية والبيئية حين تكون السيادة لها على الإنسان.

وثورة الإرادة الإيمانية الحية القوية الخيرة على إرادة الشر في الطغاة، والإرادة المسحوبة والمهزومة للأمة أمام الرغبة والرهبة، ودنيا السلطان وبطشه ونقمته.

وهي معركة تحاكي معركة الداخل في نفس الإنسان، والجانب من النفس جانب هذه القوى أو تلك القوى جانب الإيجاب أو السلب المنتصر في معركة النفس هو الذي يُعين لي موقعي في هذا المعسكر أو ذلك المعسكر في معارك الخارج.

خطبة الجمعة (٣٢٤) ١٤٣٦ هـ - ٧ نوفمبر ٢٠١٤ م